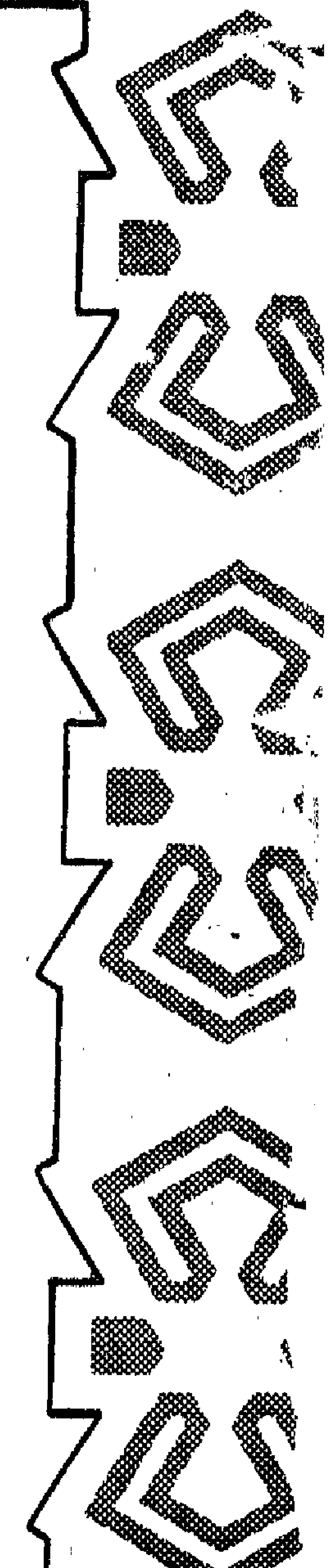




في كل مقالة لذة دائمة

يوليو ١٩٤٦

بعض ما تقرأ في عددنا القادم

لا تتغيَّر حال قوم حتى يغيِّروها بأنفسهم : هذا وصف تجربة اجتماعية فى قرية مصرية تمّت على أيدٍ مصرية . يراد بها أن يقهر سكانها الأعداء الثلاثة — المرض والجهل والفاقة ، وقد تعاون فيها السكان تعاوناً صادقاً ، فأصابت من النجاح حتى صارت مثالا يحتذى فى مصر وسائر البلاد الزراعية فى أرجاء الأرض .

كيف دخلت « الديمقراطية » أذربيجان : أخذ الروس يجلون عن هذه الولاية الإيرانية الصغيرة ، ولكن ما خبر الآراء والمبادىء السياسية التى خلفوها فيها ؟ وكيف قام فيها نظام سياسى اجتماعى جديد فحلّ محلّ نظام الإقطاع القديم ؟ وما هو شعور أهل أذربيجان حيال هذا « التحرير » ؟

السياسة العالمية الوحيدة التى تجدى : ينبغى أن يكون الغرض الأول هو منع نشوب حرب عالمية ثالثة . وأعظم ما ينطوى على خطر الحرب هو العلاقات بين روسيا والولايات المتحدة . سفير الولايات المتحدة الأسبق فى لندن يبسط أصول هذه العلاقة وما ينبغى أن تقوم عليه من قواعد مطابقة لمقتضى الحال .

كيف تستمتع وتنتفع بأربع وعشرين ساعة كل يوم : أديب من أكبر أدباء هذا القرن — هو أرنولد بنيت — يبذل لك النصح والإرشاد حتى تستطيع أن تجعل كل ساعة من يومك ، ساعة نابضة بالمتعة والنفع وفيض الحياة الزاخرة . مختصر كتاب جليل الخطر .

READER'S DIGEST

(Reg. U.S. Pat. Off. Marca Registrata)

AL-MUKHTAR MIN READER'S DIGEST — VOL. 6, NO. 35, JULY 1946

تصدر شهرياً فى بليزانتفيل ، نيويورك ، بالولايات المتحدة الأمريكية — وتصدر طبعات إنجليزية ، وأسبانية ، وبرتغالية ، وسويدية ، وفنلاندية ، وعربية — وتصدر دار الطباعة الأمريكية للعميان بلويزفيل كنتكى طبعتين للعميان إحداهما طبعة « برايل » وأخرى على « أقراص مسجلة » .

قسم التحرير : رؤساء التحرير — ده ويت ولاس ، ليلى أتشيسون ولاس

سكرتير التحرير : كنيث و . باين ، مدير التحرير : الفريد س . داشيل

قسم الإدارة : المدير العام — ا . ل . كول ، المدير المساعد — فرد د . طمسون

الطبعة العربية : — التحرير والإدارة : ١٤ — شارع القاصد بالقاهرة . تليفون : ٤٢٣٦٤

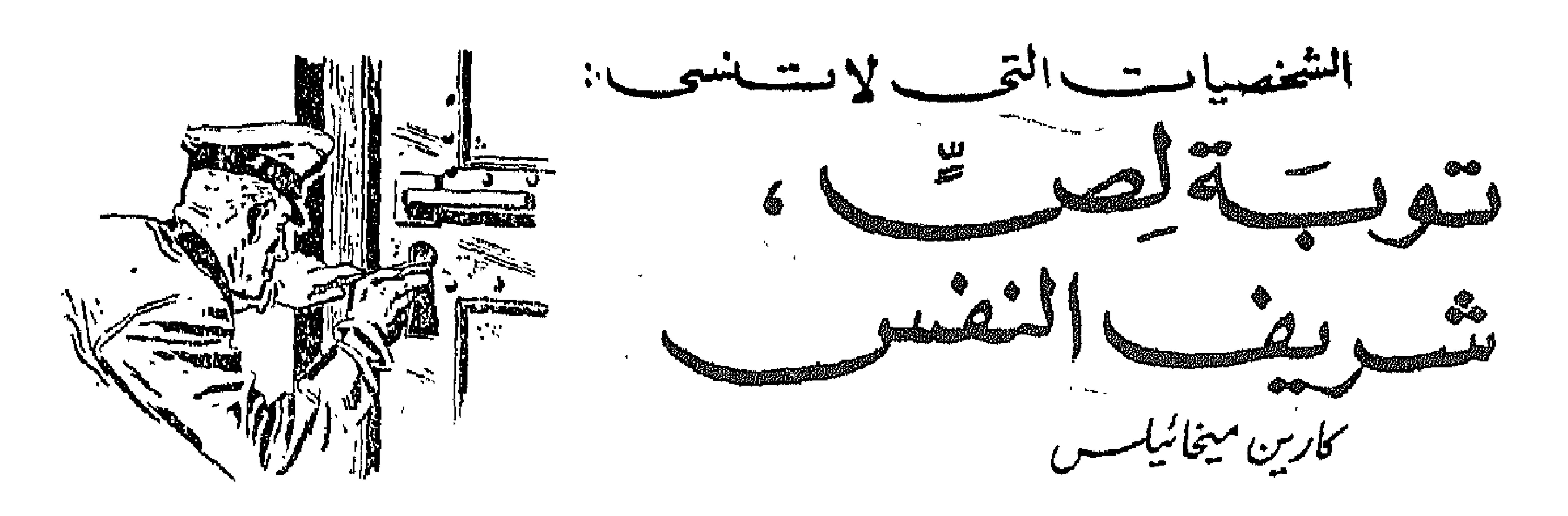
المدير العام ورئيس التحرير : فؤاد صروف

مصر والسودان — ثمن النسخة ٣ قروش صاغ — قيمة الاشتراك السنوى ٣٠ قرشاً صاغاً

فلسطين وشرق الأردن ٣٥ ملاً — العراق ٣٥ فلساً — سوريا ولبنان ٣٥ قرشاً

الاشتراك السنوى ما يعدل ٤٠ قرشاً مصرياً

الطبعات الدولية — المدير العام : باركلى أتشيسون



الشخصيات التي لا تنسى :

توبة لص ، شريف النفس

كارين ميخائيليس

عندنا في الدنمارك قبل الحرب كثير من صغار اللصوص ، أما عتاة المجرمين فقليل . فمن أجل ذلك ريع الناس لما اشتهر أمر «هانز بيترسن» ووصف بأنه « أخطر لص عات » . وهو وإن كان قد قضى نصف سنوات عمره الأربعين في السجن إلا أنه لم يكن من العتو المخيف بحيث يظن ، لأن أنفته كانت تجعله يربأ بنفسه عن تلويثها في أي جريمة دنيئة، وعن أن يوقع أذى بإنسان.

وكان بيترسن متخصصاً في الآثار القديمة، فهو يسطو على البيت من البيوت، وفي اليوم التالي يرسل إلى الصحف وإلى مكتب الشرطة بياناً مفصلا يذكر فيه على وجه الدقة ما أخذه ومبلغ قيمته . وإذا اقتحم بيتاً كان صاحبه فاسد الذوق ، فإنه يصف ما فعله في ترتيب الأثاث وتنسيقه، أو يكشف لهم عن زيف آثار مدرجة في عداد النفائس .

وكانت أروع مغامراته قضاءه آخر الأسبوع في بيت رئيس الشرطة ، وكان قد خرج بأسرته في الريف . وقد نوه بيترسن في تقريره المعتاد بأناقة البيت ، ولكنه ذكر أن لوالب السرر قد تراخت وضعفت، وأن الأطباق الصينية قد تشققت .

والدنماركيون قوم يغتفرون كل ذنب إذا وجدوا فيه ما يضحكهم، فلا غرو إذا وجدوا في مغامرات هذا اللص أكبر متاع . فلم يكن أحد من الناس يود لو قبض الشرطة على هانز بيترسن أو « هـ.ب» كما يسمونه اختصاراً . وكنا جميعاً نحس أن الشرطة لم يكونوا يطاردونه إلا احتفاظاً بما يجب لهم من هيبة، وأنهم كانوا يستملحون النكتة استملاح سائر الناس لها . وكان الرجل لطيف الأدب مع أولي الأمر، وكانوا يقابلون هذا التلطف

* كارين ميخائيليس صاحبة هذه القصة المقتبسة من تجاربها الخاصة ، سيدة دنمركية تعيش الآن في الولايات المتحدة . وهي من أعلام الأدب في بلادها ، وقد راج بعض مصنفاتها الأربعين في القارة الأوربية، وبلغ أحدها — وهو «السن الخطرة» مبلغ أكثر الكتب رواجاً في أمريكا. ولقد كتبت في هذه الأيام ترجمة لحياتها بالاشتراك مع لينور سورسبي وستنشر في الخريف القادم .

منــه بمثله . ولكن قُبض عليه آخر الأمر .

وتولى هو الدفاع عن نفســه ، وذكر للمحكمة أنه لما كان محبوساً فى أوائل أيامه وعده أحد النـاس أن يعاونه إذا استقام وأحسن السيرة ، فلما خرج كان كل ما نال من معونة سراويل عتيقة. ولم يكن ثمة أدنى شك فى صدق سريرة نفسه، ومن أن المرارة التى أعقبتها خيبة أمله هى التى أثارت ثأره على المجتمع .

واعترف أيضاً أنه كان يأخذ ما يسطو عليه إلى لندن ، وأن له هناك متجر آثار ، استخدم فيه رجلاً مؤتمناً يديره ، وكان يخفى عنــه مصدر البضاعة. وقد أغلق المتجر بطبيعة الحال بعد اعتقاله وحبسه .

ولقد ألفيتُنى موطدة العزم على أن أبذل له المعونة الأدبية التى لا خفاء فى شدة حاجته إليها ، فكتبت إليه أننى سأكون عونه على بناء حياة جديدة له حين يُطلق سراحه .

وكان الظاهر كل الظهور فى رسائله أنه يحلم باليوم الذى يحيى فيه حيـاة مستقرة ، فقصدت الملك ، والتمست منــه العفو عن الرجـل . فسألنى جلالتــه : هل أدرك ما فى الأمر من مخاطرة. فقلت: « ياصاحب الجلالة. لا يساورنى البتة خوف، سوف أجعله ضيفى حتى تظهر لنا سيرته ومسلكه » .

لم يَعِد جلالته بشىء ، غير أنه ما حلّ عيد ميلاد جلالته حتى عُفى عن صديقى اللص بيترسن .

وكتب إلى بيترسن يقول إنه لا يستطيع أن يوافينى فى بيتى بجزيرة تورو قبل أسبوع ، فلديه من الشئون ما لا بد له من قضائها فى بلدة سفندبورج المجاورة . فلما أن قدم آخر الأمر ، ورأته أمى ينزل من السيارة حسن البزة ، نحيف القوام ، مع تقوّس الظهر بعض الشىء ، لم تصدّق عينيها ، وصاحت متعجبة : « أهــذا الرجل لصّ ؟ لكأنه أستاذ من العلماء ! »

وبعد الغداء ، صحبت ضيفى إلى أحــد الأكواخ القائمة فى حديقتى الفيحاء . وهو مأوى صغير ، ولكنه لطيف ، لا تغيّبه الشمس . ونظر الرجـل فيما حوله وابتسم وقال: « عجباً ، إنه لسكن تستريح إليه نفس ساكنه »، وجعل يفكّ حقائب كثيرة أنيقة من جلد مراكش وجلد التمساح ويخرج ما فيها، وهو يقول إن حقائبه الكبيرة ستصل بعد قليل . وقد وصلت محزومة بالحديد ، مملوءة بالسجاجيد الشرقية الفاخرة وطرائف الآنية والكتب .

وذات يوم تذكرت أن زيت الغاز فى مصابيح مثواه قد أوشكت أن ينفد زيتها فحملت إليه مقداراً منه ، فلما قرعت الباب

أجابنى ، ولكنه تركنى أنتظر . وسمعت جلبة رفع الأثاث وهدّة سقوطه ، وصوت جرّه على أرض الغرفة . وأخيراً فتح لى الباب ، فإذا الغرفة قد تغيرت معالمها بما نسّقه فيها من الطرائف الفنية على نحو يشهد له بالذوق السليم .

وقال لى بصوت هادىء : « لقد أقمت متراساً وراء الباب » :

فقلت : « ولكن لِمَ ؟ »

قال : « حقاً ، يالك من غريرة ! إنك لا تعرفين هؤلاء الناس — نزلاء السجن . فما ذهبت إلى سفندبورج إلا لكى أؤمن على أشيائى هذه من السرقة . فإذا جاءت أوراق التأمين لم يكن بى حاجة إلى تكلف هذه الحيطة . أما الآن فيستطيع أىُّ لصّ أن يتسلل إلى هنا ويسرق نفائس كتبى ! »

وكان بيترسن لطيف المدخل على الناس فلم يلبث أن دعاه الداعون فى كل ناحية من أنحاء الجزيرة — حتى لقد دعاه القسيس إلى داره . وهو فى المجلس يخلب السامعين بما يقصه عليهم من مخاطراته القديمة فى السطو ، ويبين لهم كيف كان يفتح الأقفال بدبوس من دبابيس الشعر ، وكيف كان ينسلّ من فتحة لا تتسع لغير رأسه .

وأما فى سائر أيام الأسبوع فكان من عادته أن يلزم كوخه ويعكف على كتابة مذكراته . ومما يؤسف له أنه كان يميل إلى تفخيم الكلام مع قلة بضاعته من اللفظ مما جعل كتابته تبعث السأم فى النفس . ولقد عرضتُ عليه ذات يوم أن أساعده ، فقال فى خيلاء : « سيدتى العزيزة ، لا شك عندى فى حسن مقصدك . ولكن لك أنت أسلوبك الذى لا حق لى فى تنقيحه ، وأنا لى أسلوبى ! » وكان يتحرى الإتقان والتأنق والدقة فى منهجه ، ولكنه كان بطيئاً غاية البطء . وهو يذهب إلى أن هذا البطء إنما جاءه من أنه كان مقصوراً فى السجن على العمل الآلى دون غيره .

ولم تنقض بضعة أشهر حتى حقق أمنية عزيزة طال ما تمناها ، فافتتح مخزناً جميل المنظر لبيع الأسفار القديمة والكتب النادرة فى كوبنهاجن . ولم يكن ما كسبه فى السجن يفى بمقدار رأس المال اللازم ، ولكن المهتمين بأمره من المحامين ورجال الأمن والقضاة وغيرهم ساهموا فى جمع المال له .

وكان الرجل رقيق الحاشية ، جم الأدب مع زبائنه ، ولكنه لم يكن يملك نفسه من الرغبة فى تعليمهم وإرشادهم . فإذا سأله أحدهم عن قصّة خفيفة طفق صاحبنا يحاضره محاضرةً طويلة يُندّد بإضاعة المرء وقته فى قراءة مثل هذه التفاهات . أما القصص البوليسية فكان يأبى أن تكون

عنده ، وكان يقول : « إنى أربأ بنفسى عن أن أبيع كتباً تجعل الناس طغاما أو وحوشاً »

وذات يوم لاقى شابة جميلة تعمل فى بعض الشركات المشهورة فى كوبنهاجن فوقعت فى نفسه وأحبها ، وظهر أن ماضيه المريب لم يكن ليعوقه عن أن ينال الحظوة عند الفتاة. وقد كان يوم زواجهما يوما مشهوداً ، وأقيم العرس فى دار أحــد الأعلام من وكلاء القضايا لدى المحكمة العليا ، ودعا إليه كثيراً من زملائه . وكان زواجاً موفقاً .

وكان بيترسن يرسـل إلىّ فى موعـد العفو عنه من كل عام هدية صغيرة ومعها كلمة منه . وقد يأتى أحياناً هو وزوجته فى الصيف إلى جزيرتى الصغيرة فيقضيان شهراً فى الكوخ الصغير . ولقد آنست فيه أنه لم يصبح صاحب متجر مُجِـدّ فحسب، ولكنه أصبح أيضاً زوجاً مدبراً متبصراً . ورجلا مسالماً متواضعاً . لقد تغير حال اللص القديم كل التغير .

ثم جاء الألمان واحتلوا الدنمارك .

وعرف الألمـان كل شىء عن بيترسن، وكان عندهم فى قائمة الذين قد يرجى منهم النفع، وسرعان ما أصبح يُرى فى كل مكان مع الضباط الألمان ، وقد يؤاكلهم أحياناً وينادمهم. ولبس حلة عسكرية ألمانية جميلة الهندام والتفصيل، وعاد إلى كبريائه وخيلائه كسابق عهده . فامتلأت صدور أصدقائه الأقدمين مقتاً له واشمئزازاً منه ، وكانوا قد انضموا إلى حركة المقاومة الخفية، واتصلوا اتصالهم الوثيق بإنجلترا يتلقون منها الإرشادات والعتاد للقيام بأعمال التخريب .

وكان الألمان قد استولوا فى جزيرة « رفشـــالو » على مصنع مهم لأجزاء الطائرات ، فاعتزم رجال المقاومة نسف المصنع ، وعكف مئات من الناس على تدبير الخطة. والتحق كثير منهم بالمصنع ، ودبر بعضهم ما سيكون من حوادث السيارات ومن المشاجرات فى الشوارع والتبليغات الكاذبة عن شبوب الحرائق ، ليشغلوا البوليس الألمانى فى كوبنهاجن فى الليلة المحددة لنسف المصنع .

كان موعد التنفيذ فى منتصف الليل فى ليلة من ليالى المحاق ، وتمّ اختيار جماعة يتولون أمر حراس المصنع من الألمان . ونجح المؤتمرون فى تهريب الديناميت إلى داخل المصنع وهيئوه للاستعمال . وأزفت الساعة .

غير أن الخطة مع مقاربتها للكمال كانت مشرفة فيما يبدو على الإخفاق ، فقد بذل المخربون ما وسعهم من جهـد ، ولكنهم لم يعرفوا كيف يفتحون الأقفـال

المضروبة على الأبواب الفولاذية الضخمة .

وقبل الليلة المحددة بيومين ، تلقى أحد رؤساء المؤتمرين رقعة . وكان الرجل قد تلقى من قبل رقاعاً غيرها مكتوبة بالخط نفسه توقفهم على خطط الألمان دون أن يعرف أحد مرسلها ، ولكن هذه الرقعة كانت ممهورة باسم المرسل . وهذا نصها : « سأكون عند مدخل المصنع فى منتصف الليل بعد يومين ، وسأكون مرتدياً حلة عسكرية ألمانيــة ، وسأفتح الأقفال » ، والتوقيع « هـ . ب » .

أيجمل بهم أن يثقوا به ؟ فلما بلغ منهم اليأس عزموا أن يبتدروا هذه الفرصة .

وجاء فى الموعد المحــدد مرتدياً حلته النازية ، وأخمدت أصوات الحرس الألمان القريبين من المدخل ، واتسع الوقت بضع دقائق للفئة المتجمعة فى الظلام قادمة لنسف المصــنع . وقال هـ . ب . وهو هادىء : « جئت براً بوعدى ، ولا أريدمنكم سوى شىء واحد . إذا حدث لى حادث فاحرصوا على محــو الوصمة التى وصم بها اسمى . أما زوجتى . . . »

وكف عن الكلام ، وانحنى على القفل يفتحــه ، ولم تمض ثلاث دقائق حتى فتح الباب .

وكان يستطيع الآن أن ينجو بنفســه سالماً ، ولكنه أبى وقال : « أريد أن أشعل فتيلاً واحداً بنفسى » . وكان كل شىء مهيأً . فأعطيت الإشــارة وانتشر الرجال إلى أماكنهم فى أنحــاء المصنع . وكانت لحظة انتظار ثقيلة . ثم عاد رجال تفجير الديناميت واحداً بعد واحد يعدون سراعاً خارج البناء ، ووقفوا على مسافة مأمونة وشهدوا الإنفجار ، وكان عظيما زلزل الأرض وأضاء السماء فى نطاق أميال عــدّة . ولم يبق من المصنع شىء إلا حطام آلات ملتوية وأنقاض .

ولــكن هانز بيترسن ، على ما أبداه من سرعة فى فتح القفل ، كان شديد البطء فى إشعال فتيل الديناميت الذى أراد إشعاله ، فكان الرجل الوحيــد الذى لم يخرج من المكان . إنها لخاتمة عظيمة ، وإنه ليهجس فى نفسى أنها الخاتمة التى لو خُــيّر لاختارها . ومن يدرى ؟ فلعله هو الذى اختارها .

القراء فئتان : فئة تقرأ لتذكر ، وفئة تقرأ لتنسى .

[وليم ليون فلبس]

علموا أولادكم الحياة

« وكس » رجلا نستعين به على قضاء كل حاجة ، فرأيته يوماً يشطر فسائل نبات الراوند ويعيد غرسها ، فالتفت إلىّ وقال : « إن الراوند يموت إذا لم تشطر فسائله فى الحين بعد الحين » ثم قال : « وكيف حال أخيك الصغير ؟ »

فطفر الدمع إلى عينى ، فقد كنت شديدة الغيرة من أخى الوليد الذى كان يستأثر بعناية أبوىّ وحنانهما . وكأنى وكس كأنه لم يلاحظ ما بى ، قال : « أظن أن أبيك وأمك يشملانه باهتمامهما فى هذه اللحظة . وقد يبدو أن لهما ما يشغلهما عن أن يحوطاك بحبهما كما كانا يفعلان ، ولكن الحب شىء غريب — كنبات الراوند ، إذا شطر شطرين ازداد نمواً » .

ومضى فى حديثه : « نعم . كنت أحبُّ أمى حبًّا جمًّا ، ثم لقيت فتاة فأحببتها وتزوجتها . ثم رزقنا طفلا ثم آخر ، ولكن إفاضة حبنا على كلّ طفل جديد لم تنتقص ذرّة واحدة من حبنا لأخيه . الحب — كنبات الراوند — إذا شطر ازداد نمواً » .

وحدقت فى سيقان الراوند المشطورة المثبتة فى الأرض ، وإذا الغيرة قد ذهبت عنى . وعلى أن حبّ أمى موزّع علىّ وعلى أخى الوليد ، فإنه ينمو ويزداد كهذه السوق الحمر من الراوند .

وطالما تردّدت كلمات وكس فى نفسى كلما أكلت الغيرة والأثرة قلبى ، فتردّنى إلى التقدير السليم والنظرة الصادقة الهادئة .

[مسز ه . أ . ونر]

كنت وأنا طفل أقبل على عملى ممتلئاً حماسة ، ثم لا ألبث حتى تفتر حماستى . وفى صباح يوم من أيام الصيف جرّب والدى أمامى تجربة ، فأمسك عدسة كبيرة تجمع أشعة الشمس وسلطها على صحيفة ، فكان إذا نقل العدسة فوق الصحيفة لا تعقب أثراً ، فإذا أمسك بها فوق نقطة بعينها ولم يحركها ، اجتمعت أشعة الشمس فى تلك النقطة وأحدثت فيها ثقبا .

ففتننى مارأيت ، ولكننى لم أدرك مغزاه ، ففسر لى أبى أن مبدأ التجربة يصدق على كل شىء نعمله . وأن النجاح فى الحياة يقتضينا أن نحصر جهدنا فى العمل الذى بين أيدينا حتى ننجزه . وقد يغرينا الإخفاق بأن ننفض يدنا منه ، فلا نكاد نفكر فى ذلك حتى يعرض لنا الحل الموفق ، كما يظهر الثقب فى ورقة الصحيفة على حين فجأة .

وكثيراً ما لقيت منذ ذلك اليوم ما يثبّط همتى ، فتذكرت هذه الحادثة — فثابرت ووُفقت .

[جون لويس فيلسيلو]

كان شقيقاى يتنازعان دائماً على أيهما يلعب بعربة الصغار . ولم يكن فى وسع أبوىَّ أن يشتريا لهما عربة ثانية . فأعلن أبى ذات مساء أن كلا منهما له أن يلعب بها خلال أسبوع ، على أن يتولى فى الوقت نفسه ملء الصندوق الذى تحفظ فيه حطب الوقود . وأما الذى لا تكون العربة من نصيبه فله أن يصرف وقته كما يشاء . فظننا أولاً أن هذا تدبير محكم ، ولكنهما ما لبثا حتى أدركا أن الانفراد فى اللعب وفى العمل ليس فيه من التسلية ما يرومان . فتدرجا فى المشاركة فى اللعب بالعربة ، مقابل المعاونة فى ملء الصندوق بالحطب ، وانتفى الخصام من حياتهما ، وما زالا حتى اليوم يداً واحدة فى كل عمل يعملانه . [لوسيل سيبيسن]

كان أحد أصدقائى واحداً من ثمانية أولاد ، وكان لا بد لأبيهم من أن يحرص كل الحرص على كل مليم . فكان إذا طلب أحد أولاده بعض المال لشراء شىء يريده ، يخرج المبلغ المطلوب ، دون أن يعطيه إياه ويقول : « سأضع هذا المال فى الصندوق على الموقد وليس لك أن تمسه مدة أسبوع . فإذا وجدت بعد أسبوع أنه لا بد لك من مضرب للتنس فخذه واشتره به ، وإذا وجدت أن حاجتك إلى المضرب ليست فى المنزلة التى ظننت فخذه وأودعه فى المصرف باسمك » .

وقد دأب على هذا حتى شبّوا ، وصار لكل منهم فى المصرف حساب ، جمعه من ثمن أشياء ظن أن حاجته إليها ماسّة ، فما لبث بعد الأسبوع المضروب أن استغنى عنها . وأما الأشياء التى ابتاعوها فكانت مما له قيمة فى تقديرهم . [أليسون كوين]

كنت وشقيقتى البالغة من العمر أربع سنوات ، نتمشى ذات مساء مع أبى ، وإذا بها تطلب منه ان يحملها ، فقد بلغ منها الجهد . فلما قال لها إنه مجهود أيضاً ، جعلت تعول . فلم ينبس ببنت شفة ، وأخرج سكينة وقطع عوداً من شجرة وقال : « خذيه إنه جواد كريم تستطيعين أن تركبيه إلى البيت » ففعلت وسبقتنا إلى البيت ، ناعمة بما فعلت .

فضحك والدى وقال : « وكذلك الحياة قد يبلغ منك تعب العقل أو البدن أحياناً ، حتى ليلوح لك أنك عاجزة عن المضى ، فتجدين عوداً — قد يكون صديقاً أو أغنية أو قصيدة أو زهرة أو بسمة طفل — فتتخذينه « جواداً » تبلغين عليه غايتك » .

وأخذت اليوم أقول لأولادى الثلاثة أن هناك جواداً يستطيع أن يجوز بهم كل عقبة تعترضهم ، وما عليهم إلا أن يفتحوا عيونهم ويبحثوا عنه » . [مسز ت . إدورد براون]

الترف مهلكة للحضارة

بروس هتشيسن
مختصرة من مجلة "ماكلينز"

لو بعث حياً أحد أبناء روما فى القرن الخامس ، وقدّر له أن يزور مدينة وشنطن اليوم ، لقطع بأن الرواية القديمة لمّا تتمّ فصولها .

ولو أخذت بظواهر الأمور ، لهالك ما ترى من مشابه بين عاصمة الولايات المتحدة اليوم وعاصمة الإمبراطورية الرومانية قبيل انهيارها — دواوين الحكومة الضخمة التى حصرت فيها أعمال الدولة حتى كادت ترزح تحت كثرة موظفيها ، والمشكلات الجديدة المستعصية التى تكاد تنشأ من كل حل يعرض للمشكلات القديمة ، ونشوة الترف ، وضخامة الديون التى كدستها الحكومة فى الحالين ، لكى تهيىء للناس ملاهى ومطاعم .

وإذا قدّر للأمة الأمريكية أن تتفكك وتنحل ، فمن المستحيل أن تُرأب صدوع هذا العالم الممزّق الأوصال ، فى عهدنا على الأقل . ولكن وشنطن ليست الأمة الأمريكية ، والأمة الأمريكية ليست فى سبيل التفكك والانهيار .

بل تراها ، على نقيض ذلك ، قد بدأت تحس بقوتها وتستعمل تلك القوة لأول مرة فى تاريخها . وعلى استعمال هذه القوة يتوقف مصير حضارة الإنسان فى المستقبل القريب .

وإذا نفذنا ببصرنا إلى ماوراء غشاء الفوضى ، تبينا فى وشنطن حركة سياسية من أحفل الحركات السياسية بالرجاء فى تاريخ العالم ، ولكنها لا تزال فى مستهلها . ومن الممكن أن يتبدد شملها قبل أن تبلغ غاية قوتها .

إن الحضارة التى تعدّ الرجل رجلا لاعبداً ، نشأت أولا فى اليونان ، ثم انتقلت إلى روما ،

* الكاتب هو مساعد رئيس تحرير صحيفة « وينيبج فرى برس » . ومجلة « ماكلينز » هى أكبر مجلات كندا .

ثم قضى عليها فى عهد الإمبراطورية الرومانية ثم توارت فى ظلام القرون الوسطى ، ثم استكشفتها بريطانيا ، ومنها انتقلت إلى مستعمرات بريطانيا فى القارة الأمريكية . ولقد مُزّقت ديار الحضارة فى أوربا كل ممزّق ، وصار المصباح الذى أشعل أولاً فى أثينا إلى أيدى الأمة الأمريكية . وهذه الحقيقة هى أهم الحقائق السياسية فى عصرنا هذا .

أن تحويل هذه الحقيقة إلى قوة دافعة نافعة ، هو أعظم مهمة واجهتها الأمة الأمريكية على الإطلاق ، وثالث ماامتحنت به فى تاريخها . وقد أبلت أحسن البلاء فى الامتحان الأول بزعامة جورج وشنطن يوم ظفرت باستقلالها . وأبلت بلاء حسناً فى الامتحان الثانى بزعامة لنكلن يوم صانت الوحدة الأمريكية فى حرب أهلية دامية . وأما الامتحان الثالث فما هو بأقلّ من أن تقبض على زمام الزعامة الأدبية فى عالم حر غير مستعبد .

والمهمة الجديدة وإن كانت تبدو اليوم فذّة معقدة ، إلا أنها ليست فى الحقيقة إلا بقية تالية للمحنتين الأوليين. وموجز القول أن هذه المهمة هى أن تنشر فى العالم قاطبة تلك المبادىء التى آمن بها بناة أمريكا ، وهى حق الإنسان على اختلاف أجناسه فى الحياة والحرية وطلب السعادة .

إن الفوضى المتفشية فى العاصمة الأمريكية اليوم ، حيث ترى الحرب قد احتدمت بين الفريقين من حزب الحكومة ، وحيث تجد الحلول المرتجلة للمشكلات ، وحيرة رجال كان ينبغى أن يعرفوا تمام المعرفة إلى أين تتجه سياسة الدولة ، ولماذا — كل ذلك لا يعد دليلا على الانحلال كما يبدو لأول وهلة ، بل هو دليل على حياة زاخرة وقوة جديدة . فنحن نرى الآن بأعيننا أقوى أمة ظهرت فى الأرض ، قد أخذت تتململ مما تعانيه من رغبة الإنشاء والتعمير ، لا من حشرجة الموت والفناء . ونحن نرى بأعيننا هذه الأمة الأمريكية تخضع نظامها السياسى ونظامها الاقتصادى ، ودخائل نفوس أبنائها ، حتى تلائم كلها طبيعة هذا العالم الجديد الذى كان لها اليد الطولى فى المعاونة على إيجاده .

وقد أنشأ الولايات المتحدة رجال حاولوا أن يعتزلوا العالم . فمنذ كان وشنطن إلى أن جاء عهد روزفلت ، كانت سياسة الأمة الأمريكية أن تعنى بشأنها فى داخل حدودها وكان لها الغلبة على كل محاولة ترمى إلى تعديلها . ولكن كان من عجائب القدر أن الشعب الأمريكى نفسه هو الذى قضى قضاء

مبرماً على هذه السياسة بين عشية وضحاها، يوم صنع القنبلة الذرية.

والسياسة التى تناقض سياسة العزلة تقضى على العالم بأحد أمرين: إما أن يكون يداً واحدة تحت ظلال الحرية، وإما أن يتفانى ويصير هباء منثوراً. فأخطر مسألة فى عصرنا هذا هى: هل تنجح السياسة الجديدة أو لا تنجح؟ وهى لايمكن أن تنجح بغير زعامة الولايات المتحدة، فهى الأمة الوحيدة التى اجتمعت لها المزايا التى تؤهلها لهذه المهمة — القوة الحربية، والقدرة الصناعية، وأهمها جميعاً الآراء السياسية.

نعم، لقد اجتمعت لها كل المزايا، ولكن هل تستخدمها؟ وفى أى الأغراض تستخدمها؟

لقد وُجِّهت هذه الأسئلة فى أدق الأوقات وأحرجها، فقد أخذ الناس يرددونها الآن فى فترة مشابهة للفترة التى أعقبت الحرب الأهلية الأمريكية، وللفترة التى أعقبت الحرب العالمية الأولى، وذلك حين يأتى السلام فتفتر النفوس ويشتد الشوق إلى طمأنينة فى العيش لايفسدها مفسد. وهم يرددونها الآن بعد أن فقدوا الزعيم الذى ارتضوه قبل أن ينجز عمله وانتقلت بموته السلطة إلى أيدى رجال غير محنكين، كما حدث بعد مصرع لنكلن وشلل ولسن. ولكن إذا خارت اليوم نفوس الأمة الأمريكية، كما خارت بعد لنكلن وولسن، فلن تنجو من عواقب ذلك أمة من أمم الأرض.

إن الأمة الأمريكية تستطيع أن تكون لها القيادة فى العالم الحر زمناً ما على أسلوبها وطريقتها. وأمامها الآن أحد طريقين: إما أن تقتفى أثر الإمبراطوريات القديمة التى أصابت الغنى والثراء، ولم يكن لها من همٍّ فى الحياة سوى أن تسيطر على العالم وتلتهم موارد خيراته. وإما أن يكون همها فى الحياة أن تنفع العالم وتنقذه من الشرور، فتنفع نفسها وتنقذها من الوبال.

ولا يستهينن أحد بقوة أولئك الأمريكيين الذين يودون أن يسيروا على المنهج الأول، فالعزلة لاتزال حية ولها أنصار أقوياء، وقد لبست ثوباً جديداً، سداه ولحمته حماية النفس، ببسط نفوذ القوة الحربية الأمريكية وراء حدود أمريكا.

إن الاستعمار — وهذا الضرب من حماية النفس لايخرج عن أن يكون استعماراً — قد استنكرته الأمة الأمريكية ولاتزال تستنكره، ونبذته بعد أن جربته تجارب لم يطل عهدها. ثم إن الولايات المتحدة هى أول دولة عظيمة فى التاريخ لاتحتاج إلى أن تسيطر على أية دولة أخرى، وذلك لأن وفرة مواردها تغنيها عن موارد الدول

الأخرى . ولم تشهد عصور التاريخ فرصة تتيح لأغنى دول العالم وأقواها من الوجهة المادية ، أن تصير أعظمها وأقواها من الوجهة الأدبية أيضاً .

فإذا فرضنا أن الولايات المتحدة قد عزمت على أن تتوسل بمنزلتها وزعامتها لكى تسدى الخير إلى العالم ، لا لكى تنشىء إمبراطورية أمريكية ، وجب علينا بعد ذلك أن نفحص أخلاق أمريكا . وهذه مسألة أخطر شأناً من كل مسألة ، لأن أعظم مشكلة تواجهها الإنسانية ، إنما هى مشكلة أخلاقية ، لا سياسية ولا اقتصادية .

فما هى أخلاق الشعب الأمريكى ؟ وما أثر الحضارة الأمريكية فى حياة عامة الناس ؟

لقد كانت الجمهورية الأمريكية يوم أنشئت ، تمثل حرية الفرد تحت سلطان الله ، أكثر من أن تمثل مطامع النفوس وحب المال . فمبادىء الديمقراطية الأمريكية يوم نشأت ، لم تكن منفصلة عن عقيدة دينية راسخة ، ولا عن معانى الفضيلة فى حياة الناس .

وأخطر ما أصاب الحياة الأمريكية فى هذه الأجيال الأخيرة ، ولعله أعمقها أثراً ، هو تصدّع هذه المبادىء الأصيلة . ولم يزل أمر الحياة والحرية شيئاً مقدساً فى أمريكا اليوم ، كما كان يوم نُصّ عليه فى وثيقة الاستقلال . وأما طلب السعادة فقد أصابه من الفساد والتحوّل ما يجعله منكر الصورة فى عيون بناة الجمهورية الأول .

والشعب الأمريكى هو أول شعب أتيح له الرّخاء الشامل ووَفرة كل ما يحتاج إليه من أشياء ، ولم تتح مثل هذه الفرصة فى العصور السابقة إلا لعدد قليل من بلاد صغيرة ولفئة قليلة من الطبقات المميّزة . أما الشعب الأمريكى فقد كان فى حوزته نصف قارة ملأى بضروب الموارد التى لا غنى عنها ، وجاء ذلك فى العصر الذى يسَّر فيه الاختراع تحويل هذه الموارد إلى بضائع . وبهذا الاتحاد الفَذّ بين القوتين ، استطاع الأمريكيون أن يبلغوا مستوى رفيعاً فى المعيشة ، وسمّوه طلب السعادة .

بيد أن هذا المستوى الرفيع من العيش لم يفض إلى مستوى رفيع من السعادة ، فكم من شعوب تراها أقل غنى من أمريكا ولكنها أقرب منها إلى السعادة . وإذا نظرنا إلى كل ما تنطوى عليه الحياة الأمريكية : من أدب ، وجريمة ، وطلاق ، ومن جهود يائسة للفرار من الحقائق الماثلة بين عينيها وتوسّلها بهذه الصناعات الضخمة الضَّحلة التى ترمى إلى الترفيه والتسلية ، وما فيها من قلق وسآمة تدفع الناس إلى العجلة فى حياتهم ، رأينا عندئذ أنهم لم ينجحوا فى طلب السعادة .

وعلة ذلك بلاريب هى أن الفكرة الأصيلة التى قام عليها كيان هذا الشعب ، والعقيدة الدينية والإيمان المتغلغل فى القلوب قد جعلت كلها تضمحل وتضعف . فقد صرف الشعب الأمريكى وجهه عن السعادة الباطنة التى تستشعرها القلوب ، وبهرته مفاتن السعادة الظاهرة ، وبريقُ الاستمتاع الزائل بالترَفِ المبتدع ، وكلاها مُفْضٍ إلى فتنته وضلاله .

إنه القوة الدافعة التى أنشأت شعباً من بين عدد قليل من الفلاحين المجاهدين والحطابين فى الغابات النائية ، لم تكن هى إيمانهم بالأشياء بل إيمانهم بالرجال. أما اليوم فقد صار همُّ الشعب الأمريكى فى حياته وسياساته أن يبتدع أشياء كثيرة، ظناً منه أن ذلك يفضى إلى تنشئة رجال أفضل وأقوى. وأصبح المذهب الذى اعتنقه كل حزب سياسى ، وكل رجل سياسى ناجح ، وكل رجال الأعمال والعمال ، هو أن كل مشاكل الإنسانية خليقة أن تنحل ، إذا استطعنا أن ننتج قدراً كافياً من البضائع ونحسن توزيعه، أما الدخل القومى الذى لم يسمع بمثله أسلافهم، فقد غالوا فى تمجيده حتى عَدُّوه دليلا على أخلاق الأمة ، وأسمى مقياس للنجاح . وكل امرىء خلق أن يعلم ، إذا هو درس دخائل حياته ، أن هذا باطل ، وتقدير غير دقيق فى جملته .

وقد أصبح البحث عن الحق عند ملايين من الناس هو البحث عن طراز جديد من أحواض الحمام ، كما كان يفعل الإمبراطور كاليجيولا قبل انهيار الإمبراطورية الرومانية على يد البرابرة . وكما كان مجلس الشيوخ الرومانى يرفع ناساً إلى مرتبة الألوهية ، ترى هوليوود اليوم هى التى تتولى مثل ذلك العمل .

أهذه هى الفلسفة، أم هذه هى طريقة الحياة التى تنوى أمريكا أن « تصدّرها » لسائر العالم ؟ أم ترى المثل العليا الأمريكية لا تعد إلا نافلة النوافل ، فتشحن كأنها فضلة من الفضلات مع شحن الآلات والأدوات ؟

لقد تغلغلت المصنوعات التى تصدرها أمريكا فى كثير من بقاع هذا العالم الظامىء إليها ، وصار مستوى المعيشة الرفيع فى أمريكا غاية تتطلبها الإنسانية للخلاص من متاعبها ، وترى أنه هو الحل لكل لغز ، وأنه هو سِرُّ الحياة التى لا يفْنَى نعيمها.

بيد أن مستوى المعيشة ليس إلا المرحلة الأولى فى الطريق المفضى إلى مُستوى صحيح للحياة . أما الرخاء فلا نفع فيه إلا على قدر ما يهيىء من جوّ يكفل سعادة العقل والنفس . بيد أن السعادة فى الحضارات

الغابرة، كانت تذوى وتذبل قبيل أن تستتب للناس أسباب الرخاء.

وعلى ذلك، فلن تتبين مشكلة الحضارة الأمريكية فى المناقشات الدائرة على الألسنة فى مسائل السياسة الداخلية والخارجية، بل تتبينها فى حياة عامة الناس من أهل أمريكا. وهذه المشكلة هى: أيدخل فى وسع أول شعب اجتمعت له ثروة لا تكاد تحد، أن يسيطر عليها وينتفع بها فى بلوغ السعادة وتثقيف العقل، أم تراه يصير إلى ماصارت إليه شعوب خالية كانت أقل منه فتفسده الثروة وتدمر كيانه؟

وهذه المشكلة ليست اليوم قاصرة على أمريكا وحدها، بل هى مشكلة عامة، وذلك لأن أساليب أمريكا فى الفكر والعمل قد أخذت تنتشر فى جميع أرجاء الدنيا، ولأن العالم الحر المرموق لا يمكن أن تتوطد أركانه بغير معونة أمريكا

وإذا قدر لنا فى هذا العصر أن ننشىء، لأول مرة فى التاريخ، حضارة عالمية مقبولة صالحة للبقاء، وإذا كتب على الحضارة كما نعرفها أن تبقى وتستمر، فينبغى إذن أن تقوم على أساس من المثل العليا للديمقراطية، لا على وفرة الرخاء وحسب. وليس فى الوسع أن ينشىء الناس حضارة تبقى على الزمن، يكون أساسها أن يتوفر لكل أسرة سيارتان، فإن مثل هذه الحضارة لا تكون أفضل فى جوهرها من مشهد برّاق فى أفلام هوليوود، تراه ماثلا لعينيك على الشاشة، ولكن لا حقيقة له.

ولا تحسبن أن المشاكل كلها هى: هل يستطيع الشعب الأمريكى أن يجد حلا لمشاكل العالم الاقتصادية والسياسية؟ بل هى: هل يستطيع أن يجد حلا لمشكلة حياته الخاصة، فيصون فضائله العريقة من داء الترف الذى سل الحياة من جميع الأمم الخالية التى انغمست فى مفاتنه، ثم دمرها تدميراً.

ولن نجد حل هذه المشكلة فى عاصمة أمريكا، بل نجده فى الآلاف المؤلفة من بيوت الأمريكيين، وبين نكرات لا يعرفهم أحد، من رجال ونساء تقوم بهم هذه التجربة الجديدة العجيبة فى الاجتماع البشرى، وهؤلاء، وإن جهلوا، هم اليوم مناط رجاء العالم كله.

«وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميراً» [قرآن كريم]

إن صرف دول العالم عن الانسياق في تيار الثورة ، أمر له شأن خطير .

أتنصرف دول أوربة عن الشيوعية ؟

ستانلي هاي

أعتقد أن مستقبل الشيوعية من حيث هي قوة عالمية ، مرتبط بنجاح حكومة العمال في بريطانيا أو إخفاقها . فقد يتقلص ظلّ الشيوعية الدولية وقوتها إذا نجحت حكومة العمال ، وقد يتسع مجال سلطانها إذا أخفق زعماء حكومة العمال وفشلت سياستهم .

وأبني رأيي هذا على سببين : أما الأول فلأن الشيوعيين أنفسهم يرون هذا الرأي . فمنذ ما بدأت تتجلى سياسة العمال في قالب إصلاح ديمقراطي معتدل ، أبانت الشيوعية الدولية في صحافتها وخطبها عن اعتقادها بأن العمال البريطانيين هم القوة السياسية التي ينبغي للشيوعيين أن يقهروها .

وأما السبب الثاني فهو أن الذي أراه قد بدأ يتم . فالشهور التسعة التي انقضت منذ قامت حكومة العمال في بريطانيا ، قد أضعفت الشيوعية الدولية ، وعزّزت الأحزاب السياسية المعتدلة في أوربة .

وقد كتب وليم هارد على إثر نجاح العمال في الانتخاب فقال : « إن بريطانيا الشبيهة بالاشتراكية والبعيدة عن الشيوعية، تستطيع بتأثير القدوة وبفضل نفوذها ، أن تساعد إلى حدّ كبير على تلطيف ما يدفع إليه اليأس من انقلاب جماهير الناس وتحوّلهم إلى الشيوعية في غربي أوربة جملة » *

وقد تحقق هذا القول تحققاً عجيباً .

كانت بلاد أوربة المحررة، قبل ظفر حزب العمال، تبدو ثمرة يانعة للقاطف «الأحمر» .

وقد نشرت مجلة لايف مجموعة من الصور للمظاهرات الشيوعية الضخمة التي قامت في أوربة من البلجيك إلى اليونان ، فقالت في وصفها : « أمواج الشيوعية تكتسح أوربة » .

ونشرت مجلة ستردای إيفنج بوست مقالا افتتاحياً في ذلك العهد جعلت عنوانه : « أوربة الشرقية تنحرف إلى اليسار » .

ونشرت مجلة تايم عرضاً صحفيًّا فقالت : إنك لا ترى في أوربة كلها بشائر نجاح

---

* « حكومة العمال البريطانية » ، المختار : ديسمبر سنة ١٩٤٥ ص ٢٣

للعناصر المعتدلة غير الشيوعية ، إلا فى دولة واحدة هى تشيكوسلوفاكيا .

وقد نبّه ليلاند ستو إلى « أن الحرب قد جعلت جماهير أوربة أدنى إلى الثورة » . وأبرق درو ميدلتون إلى صحيفة نيويورك تايمز قبيل الانتخاب العام فى بريطانيا فقال : « إن الاتحاد السوفيتى مسيطر على أفكار الناس وأحاديثهم فى كل مدينة أوربية على غربى نهر الإلب . فالاتحاد السوفيتى والشيوعية هما فى نظر الملايين من عمال أوربة الغربية مناط الرجاء والأمل فى إنشاء عالم أفضل من عالمنا هذا » .

وقد ظفر العمال البريطانيون فى الانتخابات التى تمت يوم ٥ يوليو ١٩٤٥ ثم تولوا الحكم ، فأسفر ذلك عن عواقب خطيرة الشأن . فكتب الدكتور سفير نوربرج الفيلسوف السياسى الثاقب الرأى ، وأحد رجال هيئة الأمم المتحدة للإغاثة والتعمير ، فقال : « لم تكد النتائج تعرف ، حتى هبت الأمم الأوربية المحررة إلى الأخذ ببرنامج العمال البريطانيين ، ورحبت به بديلا وملاذاً من الشيوعية » . وكتبت فيرا ميكيليس دين ، مديرة البحث فى جمعية السياسة الخارجية ، فصلا مسهباً بعد انقضاء ستة أشهر على ظفر العمال البريطانيين فختمته بقولها : « أخذت دول أوربة تجنح جنوحاً قوياً إلى الاستقرار بزعامة الأحزاب السياسية المعتدلة » . وهذه الأحزاب هى كحزب العمال البريطانيين تسعى إلى الإصلاح الاقتصادى والاجتماعى الديمقراطى المنظم . قالت مسز دين : « إن هذه الأحزاب تدرك أن خير وسيلة للحيلولة دون استفحال مطالب الشيوعيين المتطرفة ، هى القيام بأعمال الإصلاح التى طال تأجيل كثير منها » .

ومنذ تولى العمال البريطانيون زمام الحكم فى بلادهم ، أجريت انتخابات حرة فى ستّ من الدول الأوربية المحرّرة ، فلم يفز الشيوعيون فى واحدة منها . وقد كان ما أحرزوه من نجاح ، دون ما كان يتوقعه ويخشاه المطلعون من مراقبى الأحداث السياسية .

ففى أوائل الصيف الماضى ، كان فوز الشيوعيين فى النرويج يُعدّ أمراً محققاً ، فرضى حزب العمال النرويجى أن يعقد ائتلافاً مع الشيوعيين من أجل الانتخاب لكى يحتفظ بوحدته . فلما ذاع خبر ظفر العمال البريطانيين ، انفصمت عرى هذا الائتلاف . وتمت الانتخابات فى النرويج يوم ٨ أكتوبر ، فنال الشيوعيون ١٢ فى المئة من الأصوات ، وأحد عشر مقعداً وحسب من مئة وخمسين مقعداً . أما حزب العمال فنال ٤٥ فى المئة من الأصوات ،

وستة وسبعين مقعداً . فكتبت جريدة نيويورك تايمز تعليقا على ذلك فقالت : « هذا خذلان كبير للشيوعيين » . وصاحت صحيفة نيو تايمز الشيوعية : « وقعوا فى قبضة أحزاب اليمين بفضل العمال البريطانيين » .

وقد اشترك الشيوعيون فى حكومة الدنمرك المؤقتة بعد تحريرها ، لأن الحرب رفعت من منزلتهم على ما يلوح ، إلا أن الدنمرك انحرفت إلى اليمين فى انتخابات أكتوبر ، ولم يكن فى حكومة الدنمرك الجديدة شيوعىٌّ واحد .

وتمت الانتخابات فى البلجيك يوم ١٧ فبراير ، وعدد المقاعد فى مجلس النواب ٢٠٢ فظفرت أحزاب الوسط واليسار المعتدل بمئة وثمانية وسبعين مقعداً ، وظفر الشيوعيون بأربعة وعشرين .

وفى شهر أغسطس الماضى كتب درو ميدلتون رسالة قال فيها: إن انتخاباً يتم فى منطقة الاحتلال الأمريكى فى ألمانيا يسفر عن ظفر الشيوعيين الألمانيين بثلاثين فى المئة إلى خمسة وأربعين فى المئة من الأصوات. وقد تم الانتخاب فى يناير ١٩٤٦ فبلغ عدد الأصوات ثلاثة ملايين ، وكان نصيب الشيوعيين مئة وعشرة آلاف — أى أقل من ٤ فى المئة . وكان فى رأس الأحزاب الفائزة حزب الديمقراطيين الاشتراكيين المعتدل ، وهو أدنى الأحزاب شبهاً بحزب العمال البريطانى . وفى أوائل شهر مارس أبى ممثلو هذا الحزب فى برلين ، بأغلبية خمسة أصوات ضد صوت واحد ، أن يقبلوا اقتراحاً أيده الشيوعيون تأييداً قوياً ، مؤداه أن يأتلف الحزبان .

أما فى فرنسا ، قبل نشوب الحرب ، فقد كان الحزب الشيوعى — وأعضاؤه المقيدون يناهزون المليون — أقوى حزب شيوعى خارج الاتحاد السوفيتى . ومن المتفق عليه أن قوته ازدادت ازدياداً عظيماً خلال الحرب ، ولكن فوز حزب العمال فى بريطانيا أيقظ أحزاب الأحرار غير الشيوعيين فى فرنسا. فلما أجريت الانتخابات العامة فى فرنسا يوم ٢١ أكتوبر الماضى ظفر الشيوعيون بمئة وواحد وخمسين مقعداً فى الجمعية التأسيسية ، ولكن نصيب الحزب الشيوعى من مجموع الأصوات بلغ ١٣ فى المئة وحسب ، وإذا أضفنا إليه الجماعات المنتمية إليه بلغ هذا النصيب ٢٧ فى المئة .

أما الذى لم يكن متوقعاً ، فهو نجاح حزب الحركة الشعبية الجمهورية ، وهو حزب جديد يستوحى مبادىء الدين ويدعو إلى أعمال سياسية واقتصادية تكاد تكون مطابقة لما يدعو إليه الاشتراكيون

الفرنسيون والعمال البريطانيون .[1] وحزب الحركة الشعبية الجمهورية يجارى الاشتراكيين الفرنسيين ، برغم معارضة الشيوعيين أشد المعارضة ، فى الدعوة إلى توفيق الصلة ببريطانيا . وهذا الحزب لم يشترك قبل فى انتخابات عامة ، ومع ذلك ظفر بمئة وأربعين مقعداً ، وهو عدد يقرب من عدد المقاعد التى ظفر بها الشيوعيون . فإذا ضمت إلى مقاعد الاشتراكيين والأحزاب المنتمية إليهم ، البالغ عددها ١٤٣ مقعداً ، صار عدد مقاعد أحزاب التقدم الحر المنتظم المشايعة لبريطانيا ٣٨٣ مقعداً .

ففرنسا — كما بينت صحيفة كرستيان سينس مونيتور) قد اتجهت إلى اليسار ولكنها لم تتجه إلى الشيوعية [2].

إن انصراف أوربة عن الشيوعية إلى الديمقراطية الأصيلة ، هذا الانصراف الذى استحثه ظفر العمال فى بريطانيا ، قد جاوز أوربة الغربية إلى أوربة الجنوبية والشرقية التى كانت تعد معقلا للشيوعيين . فقالت : مجلة تايم : «هذا أعظم خبر سياسى فى أوربة. إنه خبر قيام معارضة جديدة — معارضة للشيوعية — وهى تقوم فى بلاد كانت المعارضة فيها تعد معجزة ، فى هنغاريا والنمسا ورومانيا وبلغاريا وبولندة ويوغسلافيا » .

وقبل أن تتجلى عواقب ظفر العمال البريطانيين ، ورد فى رسالة إلى صحيفة كرستيان سينس مونيتور مايلى : « إن هنغاريا قد انحرفت الآن انحرافاً كبيراً إلى اليسار . . . ويبدو أن الشيوعيين الذين يتبوأون منزلة عظيمة الشأن ، هم اليوم الزعماء وأولو الأمر » .

ولكن لم يكد شهر أغسطس يشرف على نهايته حتى كانت تصريحات زعماء العمال البريطانيين «قد أحدثت أثراً عظيماً هنا» على ما جاء فى رسالة إلى نيويورك تايمز من بوداست ٠ وتمت انتخابات هنغاريا فى ٤ نوفمبر فنال الشيوعيون ١٥ فى المئة من مجموع الأصوات . وأما حزب « صغار الملاك » الذى يوصف بالتقدم والاعتدال ، فنال نحو ٦٠ فى المئة من الأصوات . فكتبت مسز دين تقول : إن هنغاريا قد انحازت إلى « الأخذ بالنظم السياسية المعتدلة»

أما فى النمسا التى يحتلها الروس فقد أجريت الانتخابات يوم ٢٦ نوفمبر ، وقبيل التصويت قال راديو موسكو فى إذاعة : « إن العالم يتوقع من النمسا أن تقطع صلتها بالماضى

(١) «الثورة الفرنسية الجديدة » . المختار : يونيو ١٩٤٦ ص ٨٩

(٢) تؤيد هذا نتيجة الاستفتاء فى الدستور الذى أجرى يوم ٥ مايو .

قطعاً صريحاً حاسماً » . وبرغم هذا الإنذار الواضح بوجوب الاقتراع للشيوعيين ، لم يظفر الشيوعيون بأكثر من ٥ فى المئة من مجموع الأصوات الذى بلغ ٣ر٥٠٠ر٠٠٠ صوت . وأما الديمقراطيوان الاشتراكيون، وهم أقرب الأحزاب شبهاً بحزب العمال البريطانى ، فأحرز أكثر من ٤٠ فى المئة ، فقالت صحيفة « الديلى وركر » الشيوعية الأمريكية بلهجة النائح : « هذا انتخاب فرضته الولايات المتحدة وبريطانيا على النمسا فى وقت لم يكن الشعب النمسوى مهيَّأ له » .

أما إيطاليا ، فقد كتب هربرت ل. ماثيوز فى نيويورك تايمز يقول : « يلوح أن الشيوعية أخذت تفقد مكانتها» . وقد اشتد ساعد الأحزاب غير الشيوعية فى رومانيا فى العهد الأخير ، حتى اضطرت حكومة رومانيا الخاضعة لسيطرة الشيوعيين أن تفسح مكاناً فيها لممثلى هذه الأحزاب . ويؤخذ من تحقيق صحفى نشر فى صحيفة كرستيان سينس مونيتور منذ عهد قريب: « أن مكانة أحزاب الوسط واليمين تزداد ازدياداً مطرداً» فى تشيكوسلوفاكيا . وحتى فى بولندة ، حيث لا مراء فى تفوق الشيوعيين ، ترى أن «حزب الفلاح » غير الشيوعى « يزداد نفوذه ازدياداً مطرداً » .

وليس ثمة ريب فى أن هناك عوامل أخرى سوى ظفر حزب العمال البريطانى ، أفضت إلى هذا الانحراف عن الشيوعية الدولية . منها فى بعض البلاد وجود الجيش الأحمر المحتل ، ومنها عقائد الهيئات الدينية الأوربية المناهضة للشيوعية ، ومساعيها فى سبيل أغراضها .

بيد أن الاتجاه فى أوربة ليس اتجاهاً إلى مناهضة الشيوعية وحسب ، بل هو على ماجاء فى نيويورك تايمز: «انبعاث الديمقراطية فى عالم قد أخذه اليأس منها » ، ولذلك « كان فوز حزب العمال البريطانى تأييداً جديداً للديمقراطية ، بدلا من أن يضربها الضربة القاضية كما قدر بعضهم » . فحكومة العمال صارت — على ما قال وليم هارد — « مركزاً » تلتف حوله الجماعات المبعثرة الواهنة التى وقفت نفسها على التقدم الاقتصادى والاجتماعى ، وعلى الحرية أيضاً ، وهى جماعات ترمى إلى القيام بأعمال الإصلاح ، متوسلة بالوسائل الديمقراطية فى نطاق نظام ديمقراطى صحيح .

وليس فى هذا شىء يباغت الشيوعيين الدوليين . فقد أكثر ماركس ولنين من إنذار خلفائهما بأن أعظم مايهدد الشيوعية ليس هو الرأسمالية الطليقة ، فالرأسمالية فى رأيهما ، تنطوى على عناصر انحلالها . وأما العدو الأول للشيوعية ، فهو

الاشتراكيون والديمقراطيون الاشتراكيون والأحرار — أى كل من أبى أن يأخذ بمنهج الشيوعيين فى الثورة العنيفة والدكتاتورية، فمضى يحاول أن يكسب الجماهير بما يعرضه عليهم من منهج ديمقراطى للإصلاح الاقتصادى

وفى كل مكان عجزت فيه الشيوعية الدولية عن منع قيام هذه الحركات ، احتالت على الانضمام إليها والاستمتاع بنفوذها . ثم تحاول ، إذا ما سنحت الفرصة المواتية ، أن تقوض دعائمها . وإليك ، على سبيل المثال ، الخطة الشيوعية الرسمية كما وضعها لنين لتقويض أركان حكومة العمال الأولى التى قامت فى بريطانيا سنة ١٩٢٤ :

« ينبغى لنا أولا أن نساعد هندرسن وسنودن حتى يتغلبا على لويد جرج وتشرشل. وثانياً ، أن نقسر الكثرة من طبقة العمال على الإيمان بأن هندرسن وسنودن وأضرابهما لا قيمة لهم على الإطلاق ، وأنهم من الطبقة الوسطى، وفيهم غدر وخيانة ، وإفلاسهم محقق . وثالثاً ، أن نستعين بخيبة أمل الكثرة من العمال لتقريب اللحظة الخليقة بنجاحنا فى إسقاط الحكومة » .

وقد أدرك الشيوعيون العواقب التى يحتمل أن يسفر عنها ظفر العمال فى انتخابات السنة الماضية ، فطلبوا مرتين أن يسمح لهم بالانتظام فى الحزب، لكى يتبوأوا المنزلة التى تمكنهم من الانتفاع بهذا الظفر إن تحقق . فرفض طلبهم فى الحالين . فلما تمت الانتخابات طلبوا مرة ثالثة أن ينتظموا فى الجماعة المظفرة ، فرُدُّوا خائبين . وقد جاء فى رسالة حزب العمال التى رفضت هذا الطلب:

« إن الحوادث التى وقعت خلال رُبع قرن مضى ، لم تدع مجالاً للشك ، فى رأى اللجنة التنفيذية القومية، أن برنامج الحزب الشيوعى وأهدافه البعيدة ، تختلف اختلافاً أصلياً عن برنامج حزب العمال وأهدافه » .

فصاحت الصحف الشيوعية المغيظة : « غطرسة » . « كلام مبتذل » . « استهانة عجيبة بحقائق السياسة » .

وقالت صحيفة ديلى وركر الشيوعية الأمريكية : « لقد أمرت الأحزاب الاشتراكية الأوربية بأن اقطعى صلتك بالشيوعيين تضمنى تأييد البريطانيين . وهذا هو لباب سياسة بيفن » .

إن هذه الأساليب وهذه الهجمات ، والذعر الذى تنبعث منه ، لتدلُّ دلالة واضحة على مدى انصراف المعتدلين عن الشيوعية . وحقيقة الأمر أن بلوغها هذا المدى البعيد جعل هذه الحركة التى تتزعمها بريطانيا موضوعاً من رؤوس الموضوعات فى الحملة السياسية

الروسية التى سبقت الانتخابات الأخيرة . فقد وقف زعماء الحزب ، وفى طليعتهم ميخائيل كالنين رئيس الاتحاد السوفيتى ، شطراً كبيراً من وقتهم وخطبهم ، على استنكار « القوى الرجعية » أى الأحزاب الاشتراكية والديمقراطية الاشتراكية التى جددت نشاطها . قال كالنين فى إنذاره : « إن التقاليد المأثورة عن فاندرفلت (الاشتراكى البلجيكى) ورامزى مكدونلد وأشباههما لم تزل حية ، وقد جددت نشاطها بعزم جديد » .

فلما تقابل إرنست بيفن وأندريه فيشنسكى فى اجتماع مجلس الأمن ، لم يكونا ممثلى دولتين عالميتين وحسب ، بل أهم من ذلك شأناً ، أنهما كانا يمثلان طريقتين فى الحياة مختلفتين اختلافاً أصيلا . وقد قالت آن أوهير ماكورميك فى صحيفة نيويورك تايمز : لقد دار الجدال الحق « بين الاشتراكى والشيوعى . وكل مطلع على التيارات التى تجتاح العالم بعد الحرب ، يعلم أن أحد تناقض سياسى وفكرى هو الذى نراه يقوم بين هاتين الفلسفتين » .

وليس ثمة شك فى أن الفلسفتين كلتيهما تنبعان من ماركس ، ولكن هربرت ماثيوز يقول : « إن الفرق العظيم بينهما ، هو أن الاشتراكية اتجهت اتجاهاً مطرداً إلى مذهب الأحرار ، وأما الشيوعية فولت وجهها شطر مذهب الدولة الجامعة » .

« والحقيقة فى أوربة هى أن النزاع الحق ليس بين المحافظين والشيوعيين ، بل بين اليسار الديمقراطى الذى يشمل الاشتراكيين والأحرار ، وبين الشيوعيين » ، كما يقول ولتر ليبمان .

بيد أن سلامة جميع الأمم الديمقراطية ورخاءها تقتضيان منها أن تواجه هذه الحقيقة . وعلى أن الاتجاه إلى الاعتدال يستوقف النظر ، فإن الشيوعية الدولية لم تحزم أمرها على التقهقر العام ، وقوى الإصلاح الديمقراطى لم تستيقن بعد من أن الغلبة ستكون لها .

وعلى أن الشيوعيين لم يظفروا فى أى انتخاب ، فإن قوتهم قد زادت إذا قيست بما كانت عليه قبل الحرب . وإن ما دربوا عليه من نظام دقيق ، وما لهم من تجربة ومال وافر ، كل ذلك يؤهلهم للتقدم والقبض على زمام الأمور — إذا ترددت الأحزاب الديمقراطية المعتدلة أو أخفقت ، لنقص فى شجاعتها أو عجز فى إدراكها ، أو ضعف فى مؤيديها .

وهذه الحقيقة — لا ما فى نفوسنا من تحيز أو آراء متحجرة — هى التى ينبغى أن توجه التفكير الديمقراطى فى الشهور والسنوات الحرجة المقبلة .

« إن النفوذ السياسى الذى تتمتع به هذه الجماعة من الأمهات النازيات يهدد مستقبل ألمانيا والعالم »

زوجات بعض الوقت

سيجريد شولتز

مختصرة من مجلة « ماكولز »

كانت متمددة على عشب غضّ مخضلّ، وكان طفلها الأشقر يدرُج لاعباً على مقربة منها، فبدت رفّافة الحسن فى ثوبها الزاهى الكاشف عن مفاتنها، والذى اتخذته لساعات التشمُّس. وكانت وراءها بحيرة « تيجرن » تتألق صفحة مائها فى الضوء، وتنعكس عليها صورة جبال الألب الشاهقة فى جنوب ألمانيا.

مررنا بها على عجل فى سيارة جيب، فقال الجاويش الشاب: « إنها لفتاة رائعة، وكثيراً ما أنعم بصحبتها حين أفرغ من العمل، أما طفلها ففى مثل عمر طفلى »

فلم أنبس ببنت شفة، وحدجنى ببصره ومضى يقول: « إنها ليست من العابثات وهذه لاتعرف أحىٌّ زوجها أم ميت، وقد مضت ثمانية شهور لم تتلقّ منه كلمة »

وقد خيّل إلى أن هذه الفتاة التى لوّحتها الشمس بسمرة محبّبة، لاتبدو امرأة محزونة مفجوعة، لاهى ولا أولئك الحسان اللواتى نمن تحت أشعة الشمس على رمال الشاطىء فى أقرب مكان إلى مواقع الجيوش المحتلة. فسألت صاحبى: « أليست سعيدة الحظ، إذ أتاح الله لها أن تعيش فى هذا الفردوس مع طفلها دون أن تضطرّ إلى العمل؟ أهى من ذوات الثراء؟ »

فتردد الجاويش هنيهة ثم قال: « يبدو أن مالها وفير، فملابسها أنيقة ومقتنياتها نفيسة. وقد جاءت إلى أحد مستشفيات الولادة فى هذه المنطقة يوم دمرت القنابل بلدتها، ولم تزل مقيمة هنا منذ ولدت طفلها ».

فلما عدت إلى ميونخ ذكرت ما حدث للدكتورة مرجريت شوارتز التى نجت من عذاب ١٩ شهراً فى المعتقلات، وهى تعرف خبيئة أمر النازيين، وقد سألتنى: « ألا تعلمين أنك مقيمة فى قلب منطقة « ليبنزبورن » حيث تكثر منازل الشابات المتعصبات وأبنائهن؟ ألم يخبرك أحد بذلك؟ »

وقد علمت بعدئذ أن كثيرين ممن يعرفون أمر « ليبنزبورن » لم يشاؤا أن يتحدثوا عنها، ولا عجب فى ذلك، فأهل الفضل من الناس فى جميع أرجاء الأرض يتجنبون الإشارة إلى مباءات الغوانى فى مدنهم،

ومنطقة « ليبنزبورن » تبدو فى نظر العابر مباءة للغوانى تديرها حكومة النـازى ، ولكنها فى الحقيقة كانت منذ أول عهدها أبعد غرضاً من هذا .

وقد أنشأ النازيون هيئة « ليبنزبورن » — ومعناه « نبع الحياة » — لكى يديموا سيطرتهم على الممتازين من الألمان قوة وجراءة . فقد كانت هذه الهيئة تتـولى المزاوجة لتكثير السلالة المتفوقة ، وتُعدّ المنازل الفخمة للمسرة والمتعـة ، وتنشىء أفضل مستشفيات الولادة ومحاضن الأطفال ، وتدير مراكز متعددة للتدريب السياسى .

وكان همها الأول أن توفر الفتيات اللواتى يصلحن أن يكن زوجات بعضَ الوقت ، لعالقة الشباب من رجال « الحرس المختـار » ، المتصفين بجميع الخصـائص الوراثية التى قرر خبراء هتلر فى علم السلالات أنها نافعة فى « تحسين السلالة » . وإذن فينبغى أن تخلد هذه الخصائص بأن يتزوج هؤلاء الشبان فتيات يتصفن بخصائص الجنس المطلوبة ، بعد أن يثقفن أتم تثقيف بمبادىء العقيدة النازية .

وقد استولى رجال الحرس المختار على المنازل الأنيقة فى هذه الرقعة ، وحولوها بيوتاً للمزاوجة . ويوم كان عامة الناس فى ألمانيا يقترّون على أنفسهم ويرضون بالقليل، كان نزّال منطقة « ليبنزبورن » ينعمون بخيرات أوربة . وكانت سـيارات الحرس تنقل إليهم ما يُصادر من أطايب الطعـام والخمر والفراء والجواهر وغيرها من أسباب الترف ، فإذا بقى من هـذا شىء لا يريده هؤلاء الـنزّال ، بيع فى السوق السوداء وأضيف ريعه إلى ثروة الذين تضمهم هيئة « ليبنزبورن » .

كان حشد النساء لهذه الهيئة أمراً سهلاً ، فقد ظل النازيون عدة سنوات يرسخون فى نفوس الفتيات أن المرأة التى لا تنجب ولداً ، عارٌ وسُبَّة . فلما كثر عدد القتلى من الرجال فى الحرب ، استبد بالنساء الألمانيات خوفهن أن يصرنَ عوانس .

ودأبت هيئة « ليبنزبورن » على إعداد رسائل مشـوّقة وإرسالها إلى المدرسات وبنات الأسر الكريمة ، وإلى المجندات فى القـوات المسلحة . وكانت هذه الرسائل تصف منازل قائمة فى أجمل بقاع ألمانيا ، تقضى إحداهن فيها إجازتها ، وتبيّن ما دبر هناك من مزايا للأم وطفلها فى المستقبل . وقد أُعدّت لهنّ أسـباب العناية الطبية الممتازة ، فتتمتع بها الفتاة ثلاثة أشهر قبيل الوضع وزمن الرضـاع ، فى منزل ممتاز للولادة تختاره لنفسها .

وكانت الفتاة التى ترضى أن تكـون

زوجة بعضَ الوقت ، تعطى مالاً لشراء جهازها أو لتنفق منه ما تريد فى التجمل والتصنيع . أما مبلغ المال الذى تناله فعلى قدر مافى بدنها من صفات مستحبّة ، وما فى عقلها من آراء مرضيّة .

ثم تعطى مجموعة من صور رجال الحرس المختار الذين دنا موعد إجازتهم ، فتختار منها صورة صاحبها . وإذا خشيت أن تستنكر أسرتها ماتفعل ، فهيئة « ليبنزبورن » تتبنى الوليد وتعهد به إلى « زوجين كبيرين من جماعة الحرس المختار ، فيتوليان تربيته التربية النازية القويمة » . وإذا أرادت أن تظل على صلة بطفلها فما عليها إلا أن توفى نفقة قدرها ٤٥ ماركا كل شهر ، حتى تستطيع ان تجد له منزلا موافقاً تعيش فيه .

وقد هُرعت إلى « ليبنزبورن » كل متعصبة أو مغامرة من النساء اللواتى أغراهن مافى المعيشة هناك من ترف وبذخ ، وقد تركت هذه المعيشة فى نفوسهن أثراً واضحاً لاريب فيه . إن إنجابهن أطفالا يعدّهم خبراء النازيين نماذج للسلالة الممتازة ، قد جعل أمومتهن آصرة قوية بينهنّ وبين المذهب النازى . فهنّ يرَينَ أنفسهن قوّامات على مذهب النازى فى طهر السلالة . وتراهنّ اليوم مازلن محتفظات بولائهنّ للنازية فى هذه الفوضى المخيمة على ألمانيا ، وما يلوح خلالها من أن النظام النازى قد انهار إلى الرّغام . فهن أمهات أبناء هتلر .

ومعظم من رأيت من نساء «ليبنزبورن» فاتنسات أنيقات ، وكثيرات منهن يطلبن عملا فى هيئة الحكومة التى تدير ألمانيا الآن ، ولهنّ من فتنتهنّ وجمال أطفالهن — وهن يزعمن أنهن يطلبن العمل من أجلهم — ما يمهّد لهنّ سبيلهن . وقد صارحتنى إحداهن فقالت : « إذا كان مع إحدانا طفلٌ وسيم ، كان أيسر عليها أن تدخل منطقة الاحتلال الأمريكية أو البريطانية » .

وأهل الفضل من الألمان يهولهم ما لهؤلاء النسوة المترجمات من نفوذ فى مكاتب الحلفاء فى ألمانيا . وهن اللواتى يقرّرن فى معظم الأحيان مَنْ مِنَ الألمان يؤذن له بأن يعرض قضيته على أصحاب السلطان .

ماعدد نساء «ليبنزبورن» ؟ «ربع مليون على الأقل » ، وهذا هو رأى السيدة هيلدجارد التى كانت هى نفسها إحدى أمهات « ليبنزبورن » ، وقد كانت قيّمة على سجلات الهيئة قبل أن تدمر . ومعظم النساء يقمن فى المناطق التى يحتلها الأمريكيون والبريطانيون . وكثيرات منهن يتظاهرن بأنها « مهاجرات من مدن خربتها القنابل» وهن مجهّزات بمال وافر وأوراق مزيفة ،

فيعينهن ذلك على أن يبدأن حياتهن بدءا جديداً .

وقد برقت أسارير وجه السيدة هيلدجارد ساعة بدأت تتحدث عن رسالة أمهات « ليبنزبورن » وأثرهن فى مستقبل الأمة . قالت : « من المصادفات أن الأسلحة السرّية التى وعدنا بها هتلر لم تتم فى أوانها ، والقنبلة الذرية تبين عن مقدار ما تفعله الأسلحة السرّية » . وقد سمعت هذا الكلام نفسه من أرملة راينهارد هيدرتش مؤسس « ليبنزبورن » . وسمعته من غيرها ، أفيشكُّ أحد أن هذا الكلام سيطبع طبعاً فى نفوس أبنائهن ؟

حادثت سكرتيرة أحد منازل الولادة فى « ليبنزبورن » فقالت لى مفاخرة : « حين جاءنا وفد هيئة الأمم المتحدة للاغاثة والتأجير ، قال إن أطفالنا أصحُّ الأطفال فى أوربا كلها . ولا عجب فى هذا ، فقد كنا فى منزلة ممتازة حتى انقضت الحرب » .

وقد كانت هيئة « ليبنزبورن » عظيمة الثراء ، وكان أعضاؤها يؤدون ماعليهم فى كل شهر . وقد أُوصى جميع الأطباء الألمان بأن يكتتب كلٌّ منهم بخمسة ماركات كلَّ شهر « من أجل خير السلالة » . وأما رجال الصناعة الذين كانوا يستهدفون لغضب الحكام ، فكانوا يسترضونهم بأن يهبوا هذه الهيئة مبالغ كبيرة . ولما استولى الأمريكيون على مصرف ميونخ كان حساب « ليبنزبورن » يبلغ عشرين مليون مارك . وكان ثلثهُ نقداً ، وكان الباقى مثمرّاً فى أسهم بلجيكية وهولندية وتشيكية مصادَرة .

وعدت إلى الجاويش الذى أرانى أول أمّ من أمهات « ليبنزبورن » ، فوجدته قد عرف حقيقة أمرها ، وأن نشاطها لا يفتر فى بث دعايتها . فقال : « تُرى كم نستغرق من الزمن حتى نتعلم كيف نميز بين أهل ألمانيا الأخيار وبين هذه الشراك الجميلة الفاتنة التى لا تكاد تخطىء حبائلها » .

طال انتظارى فى عيادة الطبيب ، وقد غُصَّت بالمنتظرين ، جلس بعضهم وظل الآخرون وقوفاً . وكان الحديث بينهم يدور على غير موضوع واحد ، وجلسنا ننتظر — وننتظر — وننتظر . وأخيراً قام شيخ من مقعده متثاقلا وقال : « أرى أن من الخير لى أن أعود إلى البيت وأموت ميتة طبيعية » .

[مسز پول ديفس]

لقد آثر هذا المحامى أن يقول : « سأبذل ما أستطيع من جهد » على أن يقول : « ينبغى للناس أن يبذلوا جهداً فى علاج هـذا الأمر » .

الاتحاد العالمى قد حان حينه

أ . ك . آرمسترنج

مختصرة من مجلة "كرستيان هيرالد"

حدث ذات يوم أثنـاء انعقاد المجلس التشريعى لولاية ميسـورى فى دورة عام ١٩٤٥ ، أن دخل على الأعضاء المـكبين على عملهم رجـل غريب ، وقدم إليهم نفسـه قائلا إنه يسمى « روبرت لى همبر » المحامى ، وزعم أنه قد وضع صـيغة قرار لإقامة اتحاد عالمى ، وطلب من الأعضـاء أن يقرروا التزام مجلسهم بهذا القرار .

فخامر الشك قلوب هؤلاء المشرعين ، فمن عساه يكون هـذا الرجل ؟ وماذا يبتغى بكلماته الرنانة ؟

روبرت لى همبر ، الذى استطاع بقوة رجل فرد أن يظفر بالتأييد لفكرة الاتحاد العالمى من المجالس التشريعية فى ١٤ ولاية أمريكية.

فأشير إليه بأن يوجه كلامه إلى رئيس المجلس طومسون ، وهو من دعاة العزلة السياسية فى أمريكا ، وقال له أحد الحاضرين: « إن استطعت أن تقنعه حتى ينحاز إليك ، لم يعجزك أحد من سائر الناس » .

ولم تمض أيام قلائل حتى أعلن الرئيس طومسون أنه سـيؤيد فى المجلس ذلك القرار لإقامة اتحاد عالمى ، وقال للأعضاء وقد عرتهم الدهشة : « قد أقنعنى همبر بأن السـلم والأمن لا قيـام لهما إلا على سلطان القانون . إن هـذا القول يصدق فى

ولما سأله أحد الحاضرين أن يبين عن معنى قوله « الاتحاد العالمى » ، تبدل حال هذا الزائر الـكهل الطلق المحيا ، فلمعت عيناه بنور اليقين ، وقال إن القرار يرمى إلى مطالبة المجلس بأن يولى وجهه شطر إقامة حكومة عالمية تقوم على سلطان القانون .

ولايتنا ، ويصدق على أمتنا ، فلماذا لا يصدق على الأمم جميعاً ؟ » .

وقبل أن ينصرم العام كان مجلس ولاية ميسورى قد أقر هذا القرار ، وكان همبر قد هرع يزور عواصم بقية الولايات .

وفى الولايات الأمريكية ٤٨ مجلساً تشريعياً

زار همبر منها أربعين منذ سنة ١٩٤٠ ، وقد زار بعضها مراراً ، وكان من أثر ذلك الجهاد الذى يضطلع به فرد واحد ، أن أن أقرت القرار ١٤ ولاية ، ولا يزال أمره معروضاً على ١٩ ولاية أخرى .

وفيما يلى خلاصـة القرار الذى وضعه :
« من الحقائق أن هناك مجتمعاً دولياً يشمل العالم كله ، ولا حكومة له ، وهو بين اثنتين: إما أن تستبد به أنظمة الحكم الجامع المطلق ، وإما أن تجعله الديمقراطية اتحاداً عالمياً يقوم على مبدأ الحرية للأمم والأفراد . والناس جميعاً رعية هـذا المجتمع العالمى ، الذى يجب أن تقوم حكومته على القانون ، لا على المعاهدات » .

ويقصد همبر بهـذا الاتحاد إقامة نظام تحتفظ كل دولة فى نطاقه بسيادتها الداخلية ، بحيث لا تكل من مظاهر سلطانهـا إلى الحكومة العالميـة إلا ما يقتضيه نشر لواء القانون والسلام بين الأمم جميعاً . فهـذا الاتحاد فى نظره هدف عظيم الخطر أكبر من عمل هيئة الأمم المتحدة ، وصرف همـبر همه إلى الدعوة إلى هذا القرار ، وسافر من أجله ٣٠٠,٠٠٠ ميل ، وخطب فى مئات من الأندية والجامعات والاجتماعات العـامة فى خلال السنوات الخمس الماضية .

فإذا وقع بصرك على هـذا المجاهد لم تر إلا رجلا من عامة الناس ، لا تميزه أناقتـه أو أحاديثه أو ملامحه ، ولعلك تحسبه أحد التجار فى مدينة صغيرة ، ولا يخطر بالبـال أن يشيع لمثله ذكر خارج عشيرته .

ولـكنه رغم هذا قد سحر آلافاً من الناس ، وسر ذلك هين : فإن أغلبنا حين يرى الباطل قد فشا فى العـالم يقتصر على الحسرة والأسى ، ولـكن همـبر — على خـلافنا — استخلص من طوفان هـذا الباطل علة واحدة ، وعقـد عزمه على أن يتولى بنفســه علاجها . وهو برهان قائم على ما تفعله « قوة رجل فرد » ، إنه رجل من عُرْض الناس ، ولـكنه رجل قد عقد قلبه على الإيمان بما يستطيع الفرد أن يفعله إذا اجتهد وسعى .

كان همبر جنـدياً فى إحدى فصائل المدفعية فى فرنسا أثناء الحرب العالمية الأولى ، فهالته الحرب وتدميرها . وهذا الهول قد هز بلاجدال قلوب آلاف غيره من المحاربين . ولـكن هذا الجندى وحده هو الذى عقد عزمه إذا ما أريد منع الحرب فى المستقبل ، أن يتكفل هو بالمشاركة فى منع الحروب . هـذا هو منطقه ، ويا له من منطق برىء مستقيم .

واستولى عليه هـذا الخاطر ولم يفارقه حين دخل جامعـة هارفرد ، ثم جامعـة

أكسفورد . ولما استقر به المقام فى إنجلترا وفرنسا ، أقبل على مطالعة التاريخ وتحليل كافة الاقتراحات التى اختمرت فى أذهان البشر لتحقيق التعاون الدولى .

وقد ظل فى باريس عدة سنين يعمل محامياً لإحدى شركات البترول ، ورحل عدة رحلات فى أوربا ، ودرس فيها المشاكل الاجتماعية والسياسية ، وأخذ يتتبع عن كثب أعمال عصبة الأمم وراقب انهيارها . ولما اكتسحت جنود هتلر أرض فرنسا عاد همبر إلى أمريكا . وكان قد توفر له من الموارد ما يستطيع معه أن يبدأ جهاده . وهو يرى الآن أن الرأى العام قد بلغ من النضج مبلغاً يجعله يستجيب لدعوته .

وقد أراد فى أول الأمر أن يضع فكرته موضع التجربة ، فدعا إلى منزله ٣٩ من جيرانه ، تمثلت فيهم عناصر المجتمع الإنسانى المعهود ، فمن بينهم القاضى والعامل والصحفى والبقال وعامل البريد والطبيب والواعظ والحانوتى ، فاجتمعوا فى حديقته تحت شجرة باسقة وأخذوا يتساءلون ، وهم يأكلون الشطائر ، عن غرض مضيفهم من دعوتهم ، فأنبأهم أنه دعاهم للبحث فى أمر قد يكون له خطر عظيم فى تاريخ الإنسانية ، ألا وهو التزامهم بقرار لإقامة اتحاد عالمى . وقرأه عليهم ، وفسر لهم معناه ، وطلب منهم أن يبدوا رأيهم فيه .

فكان القاضى هاملتون أول من تكلم وقال : « أما أنا فأرى أن هذه لحظة تتوج حياتى . ولم يخطر ببالى قط أننا ندعى هنا لنصدر حكما فى مسألة أراها أهم مسألة تواجه الإنسانية» . ثم تلاه آخرون ، وكلهم مؤيد لهمبر ، ثم جمعت الآراء فإذا بهم جميعاً يتعاهدون على مناصرة الاتحاد العالمى .

لم يكن إلا اجتماعاً بين جيران فى حديقة ، ولكنه شجع همبر على أن ينهض بجهاده فيجعله حركة تعم الشعب ، إذ كان يعلم أن المجلس لن يعير فكرته أقل التفات إلا إذا اعتنقها الرأى العام فى دوائر الانتخاب .

فبعث الرسائل إلى أصدقائه وزملائه فى العمل ، وجاب ولاية كارولينا الشمالية يخطب مرتين فى اليوم ، فى المحاكم والكنائس والمدارس ، بل فى ردهات الفنادق — وحيثما وجد فئة قليلة من الناس تستمع إليه . وكل مطلبه من نصيره أنه يتولى الدعاية للفكرة ، وقد وجدت حماسة همبر أنصاراً لها فى كل عشيرة .

وكان همبر يناشد سامعيه أن يكتبوا لنوابهم يطالبونهم بتأييد هذا القرار ، كما كان يبحث عن المدارس والجامعات التى درس فيها نائب الجهة ، فإذ عرفها ألح على مدرسيها وكبار خريجيها أن يؤيدوا دعوته . وأخيراً حمل همبر قراره إلى عاصمة الولاية ،

فأثار فيها جدالا عنيفاً ، ووجه إليه اعتراض طالما سمعه همبر من قبل : « إن هذه مسألة تحتاج إلى مزيد من الدراسة » . وتولى أحد الشيوخ تفنيد هـذا الاعتراض بردٍّ رآه همبر غاية فى البراعة : « إن المدنية لا تستطيع أن تتريث فى سيرها حتى تنضج أذهان زملائى ! » وأخيراً أقر المجلس القرار بأغلبية لا بأس بها .

فانهالت عليه التهانىء من أنصار الاتحاد العالمى ، وألحوا عليه فى أن يرأس الهيئات الأمريكية التى تنادى بتأسيس حكومة عالمية ، ولكن هذا المجاهد فضل أن يمكث حيث هو ، ينشر فكرته بين الشعب وينال تأييد المجالس التشريعيـة فى الولايات . وكذلك قضى سنة ١٩٤١ فى زيارة بعض الولايات ، ونجح فى نيل كثير من الأنصار .

وقد قال أوين روبرتس — العضـو فى المحكمة العليا للولايات المتحدة — إنه لم يقرأ منذ سنين كلاماً يعادل فى خطره ما ورد فى قرار همبر من قوله : « إن عصر المعاهـدات قد مضى ، وحل محـله عصر القانون » وقال نيوكولاس مرى بتـلر مدير جامعة كولومبيا وهو يخاطب همبر : « لو كنت فى مقتبل العمر لما طرقت باب التعليم ، بل لوقفت حياتى على تحقيق الاتحاد العالمى » . وهتف له وندل ويلكى بقوله : « إنى أنصرك بلا قيد ولا شرط » .

وفى سـنة ١٩٤٢ ، ألح أحد مشاهير رجال الكنيسة على همبر أن يقـدم القرار إلى المجلس التشريعى لولاية نيو جرسى ، فلقى معارضة شديدة أثارها فى وجهه رجال السياسة فى الولاية كلها ، وهاجمتـه إحدى الصحف مهاجمة مرة ، ووصفته بأنه أداة فى فى يد الإنجلـيز . وخطب همبر فى إحدى المدارس فتجاهل هذه الحملة ، ولـكنه زار رئيس التحرير فى اليوم التالى فقال له هذا الأخير :

« والآن يا مستر همبر ، لقد هاجمناك بشدة ، فلماذا لم تهاجمنا ؟ »

فسأله همبر وهو يلقى إليه نظرة وديعة : « هل قرأت القرار ؟ » فاعترف له رئيس التحرير بأنه لم يفعل . وظل همبر يحـدثه ساعتين ، والرجل ينصت إليه ويسـأله . ودهش النـاس حين رأوا تلك الصـحيفة تصدر فى اليوم التالى مؤيدة للاتحاد العالمى .

وقد ظل خمسة أشهر وهو يجاهد فى تحريك الرأى العام فى ولاية نيوجرسي ، حتى اضطر مجلسها التشريعى إلى إقرار القرار .

بيد أنه لم يظفر فى سـنتين إلا بنصرة ولايتين اثنتين فحسب ، فانطلق يجـوب الولايات ينشر دعوته للاتحاد العـالمى بين الناس كبيرهم وصـغيرهم ، ويدعو إليها

الحكام وكتبة المتاجر على السواء، فلم تنقض سنة ١٩٤٤ حتى صدقت ولايات شتى على القرار، وفاز فى سنة ١٩٤٥ بتصديق ولايتين أخريين.

ولما فرغ من ولاية ميسورى سنة ١٩٤٥ انتقل إلى ولاية أوكلاهوما، ونال مناصرة حاكمها روبرت كير، ولم تمض أيام قلائل حتى أصدر مجلسها التشريعى بالإجماع قراراً بتأييد الاتحاد العالمى. ثم حذت حذوها خمس ولايات أخرى.

وجهاد همبر — وكل ما ينفق فى سبيله من حرّ ماله — يجرى على أسلوب بسيط ولكنه صادق الأثر. فهو يهبط عاصمة الولاية وحقيبته ملأى برسائل التأييد ليستعين بها فى استمالة المستمعين، ويكون قد زوّد نفسه بكل ما يستطيع الظفر به من مكنون المعلومات عن أعضاء المجلس التشريعى فى الولاية، كتاريخ حياتهم ومنبتهم، وما يحبون وما لا يحبون، فلعله يظفر بمناصرة عضو واحد، فيعينه على تأليف قلوب سائر الأعضاء. وهمبر قلما تخبو حماسته. وكثيراً ما كان يعده أعضاء المجالس التشريعية بأن يخصصوا من وقتهم ١٥ دقيقة يستمعون فيها إليه، فيقضون معه الساعات ينصتون ويتناقشون وهم لا يشعرون.

فإذا ما ظفر بعضو يرضى بتقديم اقتراح للمجلس للتصديق على القرار، طفق يجوب الولاية ليهيىء له تأييد الشعب، ثم يكر راجعاً ليحضر إقرار المجلس للاقتراح.

وأهم ما يعنى به همبر هو نيل نصرة حكام الولايات، وقد كان هؤلاء بين مؤيد متحمس ومعارض مُعاد. وقد قال له حاكم ولاية أوهيو: «لقد رأيت من صواب فكرتك ما جعلنى أعجب كيف أحجم العالم حتى اليوم عن اعتناقها»، ولكن حاكماً آخر قال له وهو غاضب: «لن يصدّق المجلس على أى مشروع بغير موافقتى»، فأجابه همبر وابتسامته لم تفارق شفتيه: «لك هذا يا سيدى الحاكم، ولكن أرجو أن تأذن لى غير كاره أن أبين لأهل الولاية بعض رأيى». وهمبرّ يقيد هذه التجارب ليرجع إليها، فإن الحكام، كما يقول: «حاكم يجىء وحاكم يذهب».

وما أعجب قدرته على تحمل المشاق! فهو يقطع آلاف الأميال فى القطارات والسيارات المزدحمة، ولا يسكن إلا ريثما يخلع قميصاً ويلبس غيره، ثم يمضى يخطب فى إحدى لجان المجالس التشريعية وهو ثابت الجنان واضح الحجة. فإذا ما جاء دور عرض القرار على المجلس، توجه بنفسه يحادث كل نائب من نوابه المئة وشيوخه الأربعين.

وقد كان عليه مرّةً أن يخطب فى إحدى الولايات ٤٥ ليلة متتالية .

وإذا خطب همبر فى المجتمعات العامة ، لم يحاول الاستعانة بالفصاحة وذلاقة اللسان. ولكن كلماته تستهوى القلوب أبداً بفرط إخلاصها وصدقها . وقد وقع همبر فى الربيع الماضى فى مأزق عسير حين وقف يخطب ، فى المجلس التشريعى بولاية مينسوتا ، ولم يكد يبدأ كلامه حتى أخرج أكثر الأعضاء صحفهم من جيوبهم وأخذوا يقرأونها ، فما كان من همبر إلا أن ثبت لهذا التحدى واندفع فى خطبته غير مبال ، فلم تمض بضع دقائق حتى ألقى الأعضاء صحفهم ومالوا إليه ينصتون، فلما فرغ صفق له الأعضاء طويلا . وتم التصديق على القرار بأغلبية ٣٥ صوتاً ضد ٨ أصوات .

ولم يضع همبر خطة لتنفيذ قراره، فهو يعتقد أن تعليم الشعب أن يقبل فكرة الاتحاد العالمى ، يجب أن تأتى فى المحل الأول من خطر الشأن . أما النصوص القانونية وتفاصيل تنفيذ الفكرة ، فيمكن الاتفاق عليها حين تجتمع كافة الأمم معاً للنهوض بهيئة الأمم المتحدة حتى تصبح هيئة قائمة على سلطان القانون لا على موافقة كل دولة وحسب . ولا يزال همبر إلى اليوم متشبثاً بخطته التى ترمى إلى تحريك عواطف الشعب لا إلى إنشاء هيئة عليا تشرف على بث الفكرة فى أرجاء البلاد . ومع ذلك فقد كان من أثر توجيه إلى الشعب أن قامت لجان تعمل على الدعوة إلى الفكرة فى ٢٨ ولاية .

وكأن القدر هيأ له أعظم فرصة حين اجتمع مؤتمر الأمم المتحدة فى سان فرنسسكو فى الربيع الماضى، وكأن المؤتمر يدعوه ليسمع رأى مندوبى الأمم الأخرى عن الاتحاد العالمى . وقد ظل همبر ثمانية أسابيع وهو منهمك فى التحدث إلى مندوبى ٤٠ دولة من خمس وأربعين دولة حضرت المؤتمر . وهو يؤكد أنه وجد أغلبهم يودّون لو تقيم الدول هيئة أقوى من هيئة الأمم المتحدة . وقد قيد همبر فى مذكراته كثيراً من الأقوال التى سمعها من المندوبين ، فقد قال له مندوب كندى : « إن الاتحاد هو الحل الأخير ، فإذا وافقت عليه الولايات المتحدة ، فإننا سنحذو حذوها » .

وقد وجهت إلى همبر أسئلة كثيرة عن رأيه فى ميثاق هيئة الأمم المتحدة فكان جوابه: « إن الميثاق عاجز عن السير إلى أقصى غاية نرجوها، ولكنه خطوة إلى الأمام فى الاتجاه الصحيح . فيجب أن نؤيد هيئة الأمم المتحدة، وندأب على تحقيق الخطوة التالية ، ألا وهى إنشاء اتحاد عالمى . إن فكرة الاتحاد العالمى لن تخفق ، إنها فكرة قد حان حينها » .

قد لا يشيع استعمال طائرة «الهليكوبتر» استعمالا خاصاً بين الأفراد ، ولكنه قد ثبت أن لها منافع جمة .



طائرة "الهليكوبتر" تبلغ أشدها

هارلند مانشستر

مختصرة من مجلة "ليبرتي"

آنه لنا أن ننصرف من العمل في ذلك اليوم ، فعرض على فلويد كارلسون كبير الطيارين المجرّبين في شركة بل للطيران أن أذهب معه . فركبنا في طائرته من طراز « هليكوبتر » وارتفعنا على مهل في الهواء ، ومضينا طائرين فوق ضواحي مدينة بفالو . وكانت السيارات على ٤٠٠ قدم تحتنا تلتزم الحذر في سيرها على شوارع غطاها الجمد ، وكانت سرعتنا ٧٠ ميلا في الساعة ، ولم يلبث كارلسون أن هبط بطائرته هبوطاً رفيقاً في الفناء المعشب خلف بيته .

وكان كارلسون لا يزال يطير كل يوم من المصنع إلى فناء بيته ، لكي يقيم الدليل على أن هذا الضرب من الطيران أمر ميسور ، وهذا لا يعني أنه لا تكاد تنقضي سنوات حتى يتاح لكل من يشاء أن يذهب إلى عمله في مثل هذه الطائرة . وليس ثمة اليوم دليل على أن طائرة الهليكوبتر ستصير يوماً ما مطيّة خاصة قليلة الثمن . فقد قدر ثمنها من طراز « سيدان » بعشرة آلاف ريال إلى خمسين ألفاً ، ويقول لورنس بل : « إنه إذا صنع منها عدد وافر فقد يهبط ثمن ذات المقعدين منها إلى أربعة آلاف ريال أو خمسة آلاف » .

وعلى كل حال فقد امتحنت طائرة الهليكوبتر في أثناء الحرب امتحاناً شديداً فهي اليوم معدّة للقيام بالمهام التجارية . وقد ركبتُ في ضروب شتى من هذه الطائرات ، وحدثت عشرات من الطيارين والمهندسين والمديرين ، وأنا أرى أنه لا تنقضي خمس سنوات حتى نرى ألوفاً من هذه الآلات الغريبة قد أصبحت مطايا تسبح بالناس في جو السماء .

إن فريقاً من صناع هذه الطائرة أخذ يتلقى عنها السؤال بعد السؤال ، من أصحاب المناجم والمزارع الواسعة ، ومن شركات

النقل، ومن غيرهم من الناس الذين يعتقدون أنهم يستطيعون أن يصيبوا مالا وربحاً باستعمال هذه الطائرات. وسر السؤال هو طلب الربح لا مجرد الاستطلاع. وفى الوسع ترتيب المراوح الدوارة على أشكال شتى، ولكنها جميعاً تشترك فى مزية واحدة، هى أن الهليكوبتر هى الطائرة الوحيدة التى ترتفع عن سطح الأرض أو تنزل عليه فى رقعة ضيقة. وفى الوسع أيضاً توجيهها توجيهاً محكماً، ولك ان ترسم على سطح الأرض علامة بالطباشير فينزل صاحب الهليكوبتر عليها تماماً، لا يتقدم ولا يتأخر.

وقد علم فى ربيع ١٩٤٥ أن تسعة من طيارى كندا قد اضطروا إلى الهبوط فى غابات لبرادور البعيدة النائية، فذهبت طائرتان من الطائرات المألوفة لإنقاذهم، بعد أن ركبت عليهما قضبان الانزلاق على الجمد. واستطاعت إحداهما أن تنقذ رجلين وأما الأخرى فتحطمت، فانضم طائرها وملاحها إلى الطيارين الستة، فصار عدد الذين ينبغى إنقاذهم تسعة طيارين. وكان الثلج قد أخذ يذوب فحال دون نزول الطائرات، فطلبوا الغوث من مطار فلويد بنيت فى نيويورك، ففككت طائرة هليكوبتر — من طراز سيكورسكى — ووضعت فى طائرة نقل ضخمة، فطارت بها إلى بلدة فى لبرادور، فركبت أجزاؤها المفككة هناك، فلم تلبث أن أنقذت الطيارين التسعة جميعاً.

ولم تكد تنقضى أيام على ذلك حتى تحطمت طائرة فى برما، وكان بين ركابها جندى سقط جريحاً على قمة جبل يبلغ ارتفاعه ٤٧٠٠ قدم. فوضعت طائرة هيلكوبتر من طائرات الجيش الأمريكى فى طائرة نقل، فطارت بها من أمريكا إلى جبهة برما، وحومت الهليكوبتر فوق القمة، حيث لا تستطيع أية طائرة أخرى أن تحط، ثم حطت فأنقذت الجندى.

وليس ثمة ما يمكن أن يحلّ محل الهليكوبتر فى أعمال الإنقاذ فى البحر، لأنها تستطيع أن تقف فى الهواء فوق سفينة تتقاذفها أمواج البحر، فترفع الناس عن سطح السفينة. وقد اشتركتُ فى تجربة من هذا القبيل فى مطار فلويد بنيت، وقد حلق

كانت طائرة الأوتوجيرو تشبه الهليكوبتر فى الانتفاع بما يشبه « طاحونة هواء » لتحفظ الطائرة محلقة فى الجو. ولكن كان لها محرك فى رأسها، كمحرك الطائرة المألوفة. فحين تكون الطائرة سابحة، تتحرك « الطاحونة » بفعل الهواء المنساب. وقد كان فى وسعها أن ترتفع عن الأرض كأنها تقفز فى الهواء، ولكن الأوتوجيرو لا تجارى الهليكوبتر فى جميع مزاياها، وقد أهمل صنعها الآن.

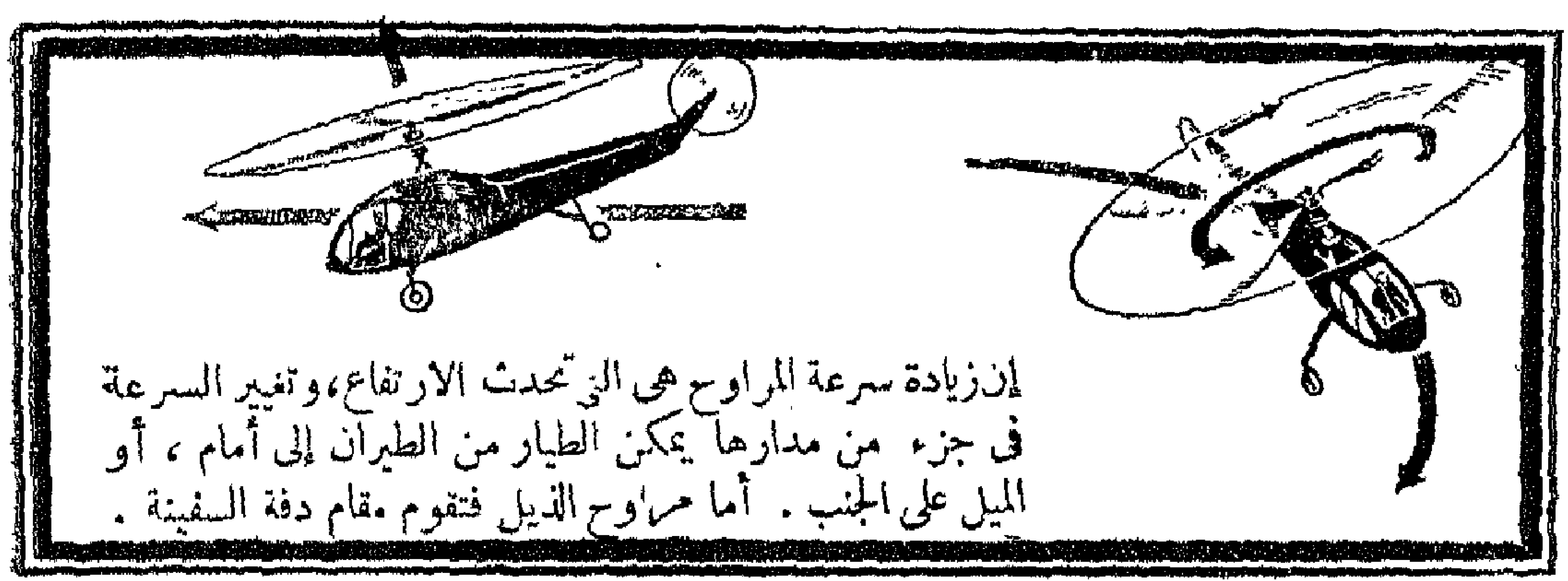
الطيار فوق بهيلكوبتر من طراز سيكورسكى وحوم وأنا أنتظر من ينقذنى . ثم دلىَّ لى الطيار حبلا من أسلاك الصلب طوله ٧٠ قدماً وفى طرفه خطاف ، فوضعت الخطاف فى حلقة مثبتة فى ثوب خاص كنت لابسه ، ثم جُعِل جهاز خاصّ فى الطائرة يسحب الحبل فرفعت من الأرض حتى صرت فى محاذاة باب الطائرة . وقبل ذلك ببضعة أيام استعمل هذا الجهاز الرافع المركب اليوم فى ستين طائرة ، فى عاصفة هوجاء ، فأنقذ بحارين احتمل الموج زورقهما وألقى به على عقبة من الصخر على ساحل أمريكا الشرقى . فإذا كان بين الذين ينبغى إنقاذهم من يعجز عن القعود ، أنزلت له من الطائرة حمالة كحمالة الإسعاف ، فيوضع فيها ، ثم يرفع رفعاً رفيقاً حتى تنزل الحمالة فى منزلها المعدّ لها تحت هيكل الطائرة ، وتبقى هناك بمن فيها حتى تصل إلى وجهتها .

وقد استعملت القوات المسلحة الأمريكية والبريطانية نحو ٤٠٠ هليكوبتر من طراز سيكورسكى فى أثناء الحرب للقيام بمهام تعجز عنها الطائرات المألوفة .

خذ مثلا ذلك الانفجار الذى تم فى مدمرة أمريكية على ساحل أمريكا الشرقى . فقد نقلت طائرة الهليكوبتر مصل الدم اللازم للجرحى فى ١٤ دقيقة من مدينة نيويورك إلى الشاطىء الذى أنزل الجرحى فيه . وقد كانت جميع الطائرات المعروفة عاجزة عن الطيران فى ذلك اليوم ، والمسافة تستغرق أكثر من ساعة بالسيارة أو الزورق البخارى .

وقد شبت النار يوماً فى جسر من الخشب للسكة الحديدية فوق خليج جاميكا فى نيويورك ، فتعذر على المطافىء أن تصل إلى النار المشتعلة ، فحوم رجال خفر السواحل بطائرة هليكوبتر فوق البقعة الملتهبة ، ودلوا أجهزة الإطفاء إلى مكافحى النيران .

ويبدو أن الهليكوبتر هى خير وسيلة لذرمسحوق د . د . ت . وغيره من مبيدات الحشرات . وقد أجريت تجارب اشتركت فيها وزارة الزراعة الأمريكية ، وحين استعملوا الهليكوبتر فى تعفير حقول البطاطس لقتل الحشرات المؤذية ، وجدوا أن تيار الهواء النازل الذى تولده المراوح الدوارة ، يدفع المحلول تحت الورق وحول سيقان النبات فيقتل الحشرات جميعاً . أما الطائرات الأخرى التى تستعمل لرشّ المحلول على المحاصيل ، فينبغى أن تبلغ من الارتفاع ما يمكنها من الطيران فوق مستوى رؤوس الأشجار وغيرها من العقبات التى فى الحقول ،



إن زيادة سرعة المراوح هى التى تحدث الارتفاع، وتغير السرعة فى جزء من مدارها يمكن الطيار من الطيران إلى أمام ، أو الميل على الجنب . أما مراوح الذيل فتقوم مقام دفة السفينة .

وسرعتها تحول دون البذر المحكم فى الحقول الصغيرة . بيد أن الهليكوبتر تستطيع أن تطير على ارتفاع ٢٥ قدماً ، وأن تبطىء سرعتها حتى تصير خمسة أميال فى الساعة، وأن تدور إذا بلغت نهاية خط الزروع كما يدور البغل أو البقرة .

وينتظر أن تخرج من خطوط التجميع بعد بضعة شهور ، طائرات هليكوبتر أقوى مما صنع حتى اليوم، وأقدر على حمل الأحمال وأسرع وأبعد مدى . وهذه الصناعة الصغيرة التى لم تكد تتجاوز السنة الرابعة من عمرها ، تنمو اليوم نمواً سريعاً . كان هتلر قد قهر فرنسا يوم طار سيكورسكى بطائرته الأولى من طراز هليكوبتر مسافة ٢٥٠ ذراعاً ، ولكن قبل انتهاء الحرب فى أوربا ، كانت طائرة هليكوبتر الحربية التى صنعها وميزها بعلامة « ر — ٦ » ، تستطيع أن تطير ٣٢٥ ميلا فى مرحلة واحدة . وقد حلقت منذ عهد قريب طائرة « ر — ٥ » إلى ارتفاع ٢١ ألف قدم ، وطارت بسرعة ١١٤٫٦ ميل فى الساعة ، فسبقت جميع الطائرات من ذوات الأجنحة الدوارة . ويرى سيكورسكى أن الرحلات الطويلة والسرعة العظيمة، هى مزية من مزايا الطائرات المألوفة وستظل كذلك. والحقيقة أنك لا تجد بين الخبراء من يتوقع أن تبارى الهليكوبتر سائر الطائرات فى السرعة والمسافة ، فإن ذلك ليس من شأنها .

وقد رأيت فى مصنع فى فلادلفيا طائرة عجيبة ذات طاحونة دوارة تحمل طيارها وعشرة من الركاب . فهى أكبر هليكوبتر ارتفعت فى الهواء ، وقد وضع تصميمها وصنعت تحت إشراف وزارة البحرية . وقد صنعها فرانك ن . بياسيكى ، وهو شاب فى السادسة والعشرين من عمره ومدير مصنعه الخاص المتوفر على بناء الهليكوبتر .

وقد طارت هـذه الطائرة مُسِفّةً حتى كادت تلامس أغصان الشجر ، وهى تبدو كأنها قِرْش من السمك سابح فى الهواء معلق بأجنحة أفقيـة ودوارة فى مقـدمه ومؤخره . وبياسيكى يتأهب اليوم لصـنع طائرة جبارة تتسع لأربعة وعشرين راكباً ويحركها محركان .

وتصنع الآن ضروب شتى من الهليكوبتر لتباع للناس ، ومنها طائرة « بل » الجميلة التى تتسع لخمسة ركاب ، وهى تشبه سيارة فخمـة مقفلة ، وتستطيع أن تطـير مسافة ٤٠٠ ميل . ومنها طائرة « هوبيكوبتر » التى وضع تصميمها رجل يدعى هـوراس بنتيكوست . فقد اتخذ هذا الرجل المحرك الذى قوته ٢٠ حصاناً ، والمراوح الدوارة، وربطهـا إلى ظهره وطار بها ، فلما هبط صدمت قدماء الأرض فأصابهما أذى،فربط كرسياً ينزل عليه قاعداً . ولا يزال أمامه صعاب ينبغى أن يتغلب عليها، ولكن طائرته هذه خليقة أن تصبح مسلاة رائعة .

وقد كشفت شركة كيليت الستار عن طائرة صغيرة خفيفة الحركة، تحركها محركات دوارة ذات ثلاث مراوح يتـداخل بعضها فى بعض ، كما تتداخل أجزاء الأداة الذى يخفق بها البيض ، وتتوقع هذه الشركة أن تبدأ فى صنع عدد وافر منها فى سنة ١٩٤٧ .

وقد صنعت شركة بنديكس هليكوبتر طائرة لهـا محركات، ذات مروحتين مركبتين على محور واحد وتدوران فى اتجاهين متقابلين. وهى تصـنع طائرة ذات أربعة مقـاعد ، تستطيع أن تقطع من ٣٠٠ ميل إلى ٤٠٠ ميل ، بسرعة مئة ميل فى الساعة .

وقد صـنع أنطوان جازدا ، المختـرع النمسوى المولد ، طائرة هليكوبتر ، يدفعها نفّـاث فى مؤخرها. وثمة محرك بنزين يضغط الهواء ويدفعه من الثقب النفّـاث ، ويحرك فى الوقت نفسـه الطاحونة الدوّارة التى ترفع الطـائرة ، فإذا ما استوت الطائرة فى الهواء دفعها النفّـاث إلى أمام .

كان الألمـان ، يوم انتهت الحـرب ، يصنعون طائرة هليكوبتر زنتها ١٦ طناً ، وتستطيع أن ترفع ما زنته خمسة أطنان . وكان الغرض منها أن ترفع الدبابات وتنقلها فوق الأنهار ، وأن تدلى عوارض الجسور حتى تنزل فى المكان المعد لهـا من الجسر . وليس يعجز الخيال عن أن يتصور منافع كثيرة لآلة رافعة غير مثبتـة فى مكان ما ، لينتفَـع بها فى أعمـال المناجم والاحتطـاب والبناء وما أشبهها .

وقد عنى لورنس بل ببحث سقوف مبانى البريد . فقد ظلت طائرة أوتوجيرو من صنع شركة كيليت ، سنة كاملة فى ا...

تنقل البريد كل يوم من سقف مبنى البريد فى فلادلفيا إلى المطار الواقع على ستة أميال . وهو على ثقة من أن مكاتب البريد الكبيرة ستقبل على الانتفاع بطائرات هليكوبتر ، وهو يعتقد أن سقوف جميع المبانى الجديدة سوف تكون مهيأة لنزول هذه الطائرات عليها . وهذا يسهل نقل الناس من أى جهة كانت إلى المطارات البعيدة عن قلب المدينة . فمن المساوىء التى تلازم خطوط الطيران الآن، بطء الانتقال من قلب المدينة إلى المطار فى شوارع غاصة بالسيارات ومركبات النقل. فطائرات هليكوبتر تيسر حل هذه المشكلة ، وتسهل الطيران على سكان المدن التى ليس لها مطارات .

والطيران بطائرة هليكوبتر ليس أمراً يشق عليك أن تتعلمه ، فحين تجلس فيها يكون شأنك كشأن فرخ طائر لا يزال يحاول أن يطير وحده على بضع أقدام فوق سطح الأرض ، فإذا لقيت ما يشقّ عليك فهمه أو علاجه ، سهل عليك أن تتوقف لترى ما ينبغى أن تفعل . والهليكوبتر تستطيع أن ترتفع عن الأرض وأن تنزل عليها فى ريح تبلغ سرعتها ٤٠ ميلا فى الساعة وقد استطاعت أن تشق طريقها، فى أعمال الإنقاذ فى البحر، فى عواصف عاتية تستطيع أن ترد طائرة صغيرة إلى الوراء . بيد أن يسر توجيه الهليكوبتر فى كل جهة، يقتضيك أن تظل يقظاً ، فلذلك تحس بعد ساعتين من الطيران فيها بتعب يفوق تعبك فى طائرة مألوفة . فالأشياء التى ينبغى لك أن تلاحظها وأنت فى مقعد الطيار كثيرة ، ومنها عدد دورات مراوحك فى الدقيقة . فإذا قلّ عددها عن رقم معين ، فقدت المراوح تلك القوة الطاردة التى تجعلها أفقية الوضع فتنطوى — وتنطوى معها صفحة حياتك .

ومع ذلك لم يقتل فى طائرات الهليكوبتر سوى ثلاثة منذ اتخذها الجيش وانتفع باستعمالها. فقد اصطدم أحد طياريها فى برما بسلك كهربائى فصعق . وانكسرت إحدى مراوحها فى فلوريدا فقتل الطيار والميكانيكى.

وليس بين الآلات التى صنعها الإنسان آلة قذفت بمثل سرعة الهليكوبتر من حظيرة التجربة إلى مصنع الإنتاج . ولا يزال المجال واسعاً، بيد أن الرجل الذى يصنع من الهليكوبتر ما صنعه هنرى فورد من السيارة لا يزال سراً من أسرار الغيب .

إذا كثرت المقدرة قلّت الشهوة [على بن أبى طالب]

شباب القلب

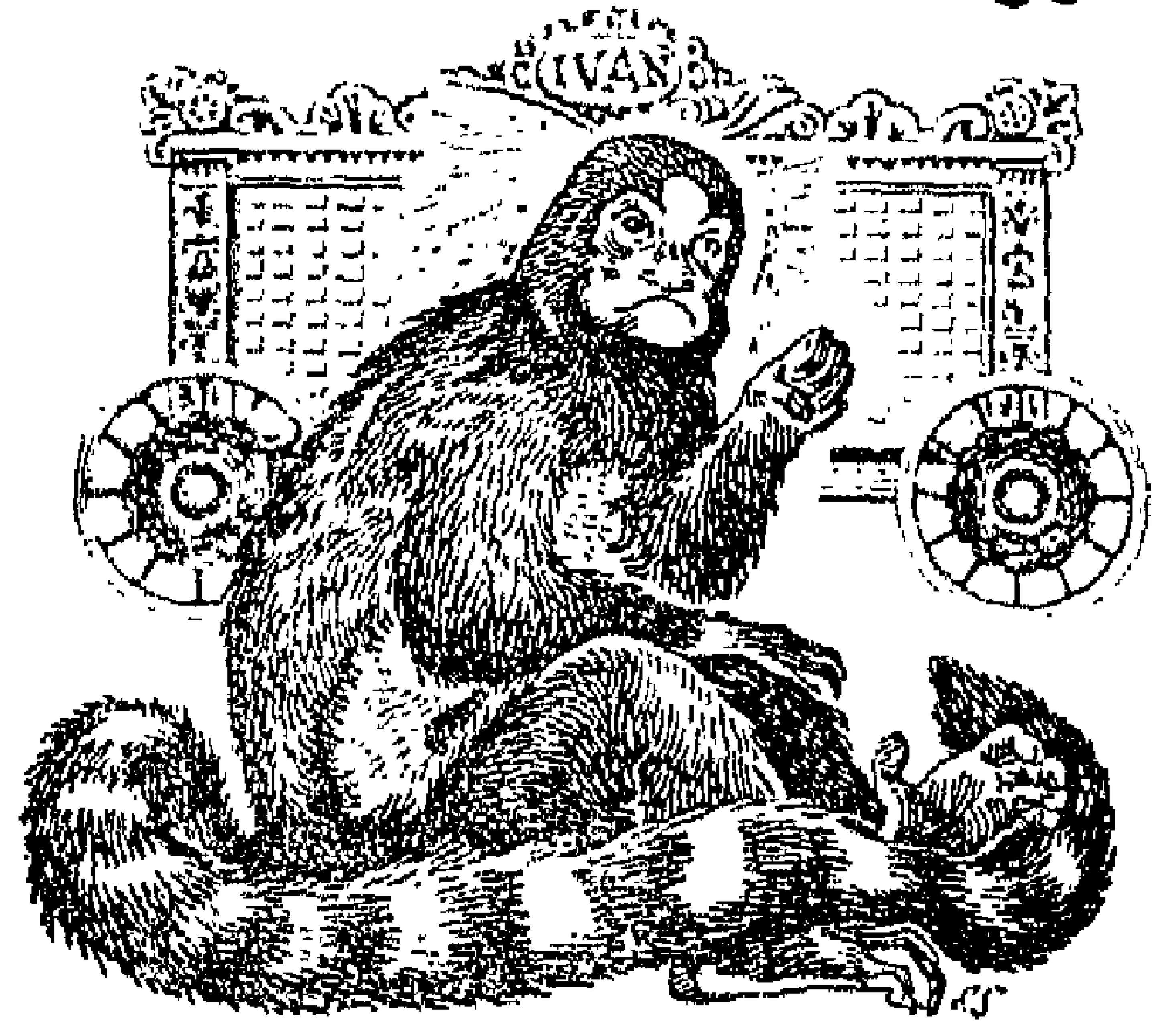
كانت جدتى فى الثالثة والتسعين ، فذهبت يوماً إلى دار البريد واتخذت مكانها فى صف طويل من الناس أمام شباك الطرود ، فرآها أحد الشبان الموظفين وصاح : « أفسحوا ياقوم للسيدة العجوز » . فالتفت كل منهم ليرى السيدة العجوز . والتفتت هى أيضاً . [جون ستيرنيانو]

عقد جماعة من قدماء المحاربين مؤتمراً فى مدينة منفيس ، فلما انفض عقده ركب فريق منهم القطار ليعودوا إلى بيوتهم . وبعد نحو ساعة من قيام القطار تقدم شيخ عجوز من مقعد جلست فيه سيدة وحدها ، وتردد قليلا ثم سألها : أتمانع فى أن يجلس بجانبها . فأفسحت له مكاناً وسألته : « أما تزال واقفاً منذ غادر القطار مدينة منفيس ؟ » . فقال : « لا ، كنت جالساً قرب سيدة أخرى ولكنها لم تكن بارعة الجمال» . [إليانور كلاراج]

كان عمى وهو فى الثمانين ، كأنه ابن عشرين لايحس بوطأة السنين عليه . وفى يوم بارد مطير رأيته عائداً إلى البيت مبلل الثوب ، والوحل يعلو ساقيه إلى الركبتين. فسألته : « ماذا جرى ؟ » فقال : « أحببت أن أعبر الجدول لأرى البقرة . وقد كنت أقفز من ضفة إلى ضفة ، أما الآن فكلما قفزت أجدنى فى وسط الجدول غارقاً إلى الركبتين ، وكأننى لم أفطن إلى أن الجدول آخذ فى الاتساع » . [بولين بلاكويل]

رأيت فى سان موريتز بسويسرا قسيساً أشرف على الثمانين ، يبدأ التزحلق على الثلج كل صباح ويمضى فيه حتى المساء . فسألت زوجته العجوز : «ألا تظنين أن هذه الرياضة كفيلة بإرهاقه؟» فقالت: « لعلها كذلك ، ولكنه يتوق أن يصبح من أبطال التزحلق قبل أن يموت » . [أندريه موروا]

حياة إيفان المخيف وحبه



لزلى ت . هوايت

مختصرة من
"نيتشر مجازين"

أول ما لقيته فى كرب يخترق إحدى غابات البرازيل ، وكان قد وقع بينه وبين أحد الأهلين نزاع وعراك ، فأعجبتنى حدته . رأيته مبرقاً مرعداً قد انتفخت أوداجه كبراً وعجباً ، وتضرمت نار الغضب فى عينيه الصفراوين الضيقتين ، بيد أنه كان خليقاً أن تحيق به الهزيمة ، إذ لم يكن وزنه يزيد على ثلاث أوقيات . فتوسطت بينهما ، وجعلتنى بضعة قروش دفعتها ولى أمر « إيفان المخيف » .

لم يكن شكوراً لما فعلت ، بل كان يعاملنى كأنى مكرت به وسلبته فريسته ، وأخذ يكشف لى عن طرف من رأيه فى . ثم جعلت حدته تخف ، وبدأ يأوى إلى جيبى لينام فيه . ففلقت له جوزة من جوز الهند بنصفين ، وهيأتها لتكون له مأوى ، وحملته معى فى السفينة التى عدت عليها إلى وطنى أمريكا .

وإيفان نسناس من نسانيس الليل . وهى نوع من النسانيس الصغار اللطيفة الأجسام ، على جبينه فرو أبيض لماع يضىء فى الليل ، فتتهافت عليه الفراش والحشرات فيصيدها بسرعة خارقة . وكان طوله ثلاث بوصات ونصف بوصة ، وقريب الشبه بالإنسان فى وجهه الدقيق ويديه اللطيفتين ، وجسده كجسد السنجاب أسمر أصفر ، وله ذيل طويل ناعم الفرو . وهو ودود مرهف الإحساس إذا تُرك حبله على غاربه ، فإذا اعترضت سبيله ثارت ثائرته ، ولكن غضبه لا يلبث أن ينطفىء .

كان لابد لى من التجربة فى أمر تربيته ، فحين بلغت أول ميناء اشتريت له قارورة لبن لها حلمة من المطاط ، فأخذها إيفان فى يديه كأنه قديم عهد بأمثالها ، وصنعت له إحدى راكبات السفينة قميصاً صغيراً فصار فيه كأنه قزم محارب عليه درع . وكانت عاداته فى حياته تنم عن نظافة لا تكاد تصدق .

وقد أذهلني ما رأيته من ذكائه ، فقد تركته مرة في قفصه تحت وقدة شمس حامية ، فلما عدت وجدته قد نصب مُلاءته وجعلها مُظلة يستظل بها ، فلما نزعتها عاد من فوره فنصبها ثانية .

فلما عدت إلى بلادي اتخذت له قفصاً أحمر أصفر مزخرفاً طوله ثلاث أقدام وارتفاعه قدمان، جانباه من الزجاج، ومقدمه مركب على مفصلات ليكون باباً ، وظهره من أسلاك مشبكة . وجعلت غرفة نومه فيه علبة سيجار صغيرة ، ركبت عليها مصباحاً كهربائياً صغيراً قوته ٢٥ وات ليظل القفص في درجة حرارة معتدلة . أما شق جوزة الهند فقد علقته في السقف ، وجعلت في القفص أرجوحة ، وأجراساً متدلية ، وعقلة ليترجح عليها .

وإيفان مولع بأسباب الحضارة . فمن أحب ما يهواه أن يسافر في السيارة ، فنعلق له جوزة الهند عند مرآتها حيث يستطيع أن يرى من هذا المكان الممتاز كل مناظر الريف ، فتراه يثرثر كالطفل فرحاً حين يسترعى انتباهه شيء غير مألوف .

وقد صار مولعاً بأطعمة فطورنا ، فتراه يطلب ساعة يقوم من نومه عصير البرتقال ، وإن كانت وجبة طعامه المشتهاة تتألف من ثلاث دودات . وقد بلغ وزنه اليوم أكثر من خمس أوقيات . وما رأيت حيواناً أكثر منه مبالغة في النظافة والتأنق ، فهو يأخذ حبة العنب الكبيرة في فمه الصغير ، ثم يثني رأسه إلى الخلف ويعتصر ما فيها من ماء ، حتى لا تصير يده من مسّها لزجة قذرة .

وقد كنا نظن أن إيفان سيظل ما عاش عزباً ، غير أن صديقاً لي من «ريو جانيرو» أرسل إليّ أنثى من فصيلته ، ومن يومئذ امتلأت دنيا إيفان المخيف بالصبابة والهوى . وكان اسمها « تونيتا » ، وهي أنثى غَزِلة لعوب ، ولا يزيد جِرْمها عن نصف جرم إيفان ، فجعلنا نجرّعها الفيتامينات السائلة ، وندرّبها قسراً على أن تتسلق عصاً أو عكازاً . وكنت أظن أنه مما لا يحسن بي أن أضعها مع إيفان حتى تكبر قليلا ، غير أني رفعتها يوماً قِبل الجانب الزجاجي من قفصه حتى يراها ، فأعرض عنها أولا ظنًّا منه أنها خدعة أخرى من خدع المرآة ، ولكنها ما كادت تتكلم حتى هوى من على عقلته . فاشتد خوفي عليها لما رأيت من شدة اضطرابه، فأرجأنا ميعاد جَلْوة العُرْس قليلا وكنا قد استطعنا أن نزيد وزنها حتى بلغ ثلاث أوقيات .

وفي غضون ذلك كان إيفان قد [illegible] الشوق والقلق ، فتراه يقطع قفص[illegible]

وزهواً وقد انتفخت أوداجه كأنه غورلىّ صغيرة ، أما تونيتا فقد فتنتها عظمته ، فما نكاد نطلقها من محبسها حتى تخرج ساعية إلى قفصه : بيد أن إيفان كلما رآها ترمقه بعينها ، أشاح عنها بوجهه كأنما يُريها أنه لا يبالى بها ، فإذا وجدها غافلة لا تنظر إليه ، أتبع نظره كل حركة من حركاتها .

وأخيراً حددنا موعد الجلوة ، فبنيت لها كوخاً صغيراً من العاج الملون أزرق الأطراف، وقدرته بحيث يدخل فى القفص، وأعدّت لها زوجتى هدية العرس مُلاءتين ورديتين .

واشتدت مخاوفى على تونيتا لما أعرفه من طبيعة إيفان المتقلبة ، فلما جئت لأدخلها عليه فى وجاره ، لبست قفازاً من الجلد حتى أقيها شر إيفان إذا جن جنونه ، فأنيابه شىء يخشى بأسه .

ونظر إيفان نظرة إلى السيدة ، ثم طارت نفسه شعاعاً ، فما كدت أغلق باب القفص حتى مرق منه إيفان وجعل يعدو فى أرجاء البيت ، وظلت العروس وحدها وقد علت وجهها آيات الحيرة والغم .

فلما أعدنا إيفان إلى قفصه كان شارد اللب ، وجعل يدور فيه كالمغشى عليه . أما تونيتا ، وهى بلا ريب أنثى محنكة ، فقد خطت إليه الخطوة الأولى . فضيقت عليه بجرأة حتى أخذته فى ركن ، وأمسكت أذنيه برفق وقبلته قبلة شديدة .

صُعِق إيفان ، فأخذت تونيتا تلاطفه وتحاول أن تتحبب إليه ، بيد أن العروس المحجم المعرض تسلق إلى ركن من أرجوحته وظل ينظر ذاهلا فى الفضاء . وفى تلك الليلة وضعتُ لهما فى القفص كوخهما الجديد فسحر تونيتا ما رأته من فخامته ، واندسّت فيه لساعتها . وبعد أن نظرت فيه نظرة أطلت برأسها وجعلت تنادى إيفان ، ولكن هذا الأبله الصغير كان فى ذعر من أن يدخل عليها فيه . فلما ولج أخيراً لينظر ، احتضنته تونيتا وجعلت تقبله ، فكاد يغشى عليه ، وعدا إلى ركن الكوخ . وظلت هى فى الكوخ تناغيه وتبدى له الدلال والخفَر .

فلما ضقنا أنا وزوجتى ذرعاً بإيفان ، خرجنا نريد السنما . فلما عدنا رفعت غطاء الكوخ الأعلى لأنظر فوجدته قد نام فى حضنها ، وعلى محيّا تونيتا سيمياء الرضى والغبطة .

لقد صار الزواج الآن حقيقة ثابتة ، فبدأت تونيتا ترى إيفان لمن تكون الكلمة العليا . وأصبح من المستحيل أن تعدّها ضرباً من الحيوان ، فقد كانت بشراً عين البشر . فلو أنت جمعت نساء من مختلف طبقات الناس ، ووضعتهن فى مِرجلٍ حتى

امتلأ ، وأوقدت عليه حتى غلى ، وخلص من أبدانهن الشحم والماء والهواء ، فقد خلصت لك منهن تونيتا ، فهى خلاصة الأنوثة وصفوتها . لم نعد نستطيع أن نحادث إيفان حتى تجىء هى فتزيحه عنا جانباً وتبدأ تتكلم معنا ، وما رأيناها تكف عن الكلام لحظة ، وتراها تنزع الطعام من بين ثناياه ، وتدخله فراشه وتوقظه بأمرها هى . ولم يكن لإيفان بما يلقى منها يدان ، فلم يكن سوى مخلوق ذكر قد حبس فى قفص مع هذه الأنثى المتضرمة الطباع الشديدة المراس .

كانت تونيتا إذا فرغت من عشائها كل ليلة انقلبت من فورها إلى الكوخ وأسدلت الستائر على الباب ، وتظل ساعة فى خلوة . وما نعرف ولن نعرف ما تفعله وحدها فى داخل الكوخ ، بيد أنها تذكرنى بالمرأة حين تخلو بنفسها لتزيل زينة وجهها . ثم لا تلبث أن تزيح الستار وتدعو إيفان ، فتراه يثب إلى داخل ، وينسدل الستار على الباب طول الليل .

بدأت أخرجه وحده من القفص تاركا تونيتا حبيسة تتطلع ، وذلك ابتغاء أن يستعيد ما أضاع من حريته واستقلاله ، ولكنه يظل يتلفت جافلاً إلى القفص ، كأنما يخشى أن يلقى البلاء المستعر حين يعود إلى البيت ، فلا يلبث أن ينقلب مسرعاً إلى حليلته .

وأخيراً حملت تونيتا وكادت تصير أمًّا ، وأدرك ذلك إيفان أيضاً ، فقد بدأ ينتابه الجزع إذا غابت عن عينه لحظة . وصار من دأبهما أن يجلسا معاً على ظهر الكوخ يتشمسان ويظل الساعات ، وهو يفلى لها فروها الناعم . ثم بدأ يهتم كل الاهتمام بأسنانها خاصة ، فتراه بين الحين والحين يثنى رأسها إلى خلف حتى يغمرها شعاع الضوء ، ثم يفتح فمها ، ويدقق النظر فى داخله .

وكلما طالت أيام الحمل ، زادت تونيتا ضراوة وشراسة ، فهى تطلب الطعام بصوت حاد عنيف . وقد عضت يدى عدة مرات وأنا أضع لها صحن الطعام برفق فى داخل القفص ، ولكنها لا تلبث أن تبدى أسفها ، فتعلو أحد قضبان قفصها وتبتسم لى ابتسامة رقيقة كالمعتذرة ، أو تثرثر معبرة عن عذرها فيما فعلت . وفى أثناء تلك الفترة كان إيفان يقدمها على نفسه ويجود لها بكل طعامه ، حتى دودَه المشتهى .

وفى أواخر أيام حملها كانا يقضيان الساعات ذوات العدد متلاصقين رأساً إلى رأس يتناغيان ويتباثان ، فإذا خلوا وغفلت عنهما العيون ، جعلا يتناجيان نجوى الشوق .

وقدْ لانت شراستها وصارت حلوة رقيقة الطباع . ولسنا نعلم ما كان يخالج قلوب هذه المخلوقات الصغيرة من آمالٍ وأحلام . ولـكن يبدو لى أن أجدر الأوهام بالبشر وأشبهها بهم أن يظنوا أنّ من المحال أن يكون لأمثالها أحلام أو آمال .

ومن سوء الحظ أنْ كنت أنا وزوجتى مسافرين حين وقعت الواقعة . فقد جاءت خالتى ذات صباح لتقدم لها فطورها ، فرأت تونيتا خارج الـكوخ نائمة على الأرض قد أثقلها المرض ، فلما حاولت أن تحملها انقضّ عليها إيفان. وأخيراً لفّت خالتى على ذراعها ثوباً صفيقاً واستطاعت أن تخرجها ، فجن إيفان وقذف بنفسه على الأسلاك ، وأرقدت خالتى تونيتا على مُلاءة قريباً من القفص بحيث يستطيع أن يراها . فلما صبّت فى حلقها قطرات من الخمر والماء انتعشت تونيتا شيئاً ما ، ولـكنها ما لبثت أن تهافتت شيئاً بعد شيء ، ثم فاضت روحها قبل أن يصل الطبيب. وكذلك هـوَى ألطف نجم متلألأ فى سمائى .

وظلّ إيفان فترة ضائعاً فى وحشة الجزع ، فكان يرسل أحياناً صراخاً حادًّا كأنما يحاول أن ينفذه وراء أسوار الأبد . وتراه لا يزال يرمى ببصره إلى البـاب آملا أن يراها داخلة تتهادى تهاديها الحلو اللطيف . ويظل الليالى ذوات العدد ساهراً مسهّـداً ، وعلى وجهـه الحزين آيات الحيرة ، فقد كان يرهب أن يأوى فينام . وكان مما تتفطر له القلوب أن تراه وهو يزحف إلى كوخهما وحيداً مُضَاعاً . وكنت أخرجه ليرتع ويلعب ، ولـكنه أصبح لا يبالى باللعب فما هو إلا أن يتدسّس تحت ثيابى ، فأسمع نبضات قلبه الدقيق تخفق على صدرى .

والآن وقد أقرّ إيفان وعرف أن تونيتا قد فارقته إلى الأبد ، صرف حبه كله إلى زوجتى . وقد علمته كيف يرسل إليها القبلات ، ولـكنه كان يأبى أن يفعل ذلك وأنا حاضر . فإذا رآها تقبلنى زَوَى عنا وجهه وتجهم من فعل الغيرة ، فقد صار يعدّنى منافساً له . هذه سيرة إيفان المخيف وما كان أكرم صداقته ورفقته !



الزواجُ الموفّق صَرْح مشيّد يتطلبُ الحرصَ على تقوية بنيـانه فى كل يوم . [أندريه موروا]

توجيه لا يخطىء ، يمكنك من أن تظفر بمتعـة عظيمة فى بيتك .

احك لنا حكاية يابابا

كارل ل. بيملر
مختصرة من مجلة " هوليدى "

أربعة بنين ، ومافتئت منذ صاروا قادرين على فهم بعض الألفاظ ، ألفّق لهم ما استطعت ، حكايات شتى لكى أسليهم . ولست أدرى مَنْ منا أكثر استمتاعاً بهذه المسلاة : أهم الصغار أنفسهم أم أمّهم التى تجد فيها تأييداً لبعض مايخامرها من شك فى صدق زوجها ، أم أنا ؟

وكلُّ أب يستطيع أن يفعل ما أفعل .. فكلُّ ما يحتاج إليه إنما هو جماعة من الأطفال. وإن كلمة « احك لنا حكاية يابابا » عادة تلازم الأطفال ، وليس من الضرورة أن تكون القصة من روائع الأدب ، أو مزوّقة البيان ، ولا يجب أن تكون — ولله الحمد — متماسكة المعانى .

ففى بيتنا مثلا تجد غواصات ألمانية صادها سمك ، وعصفوراً مضعضع الحواس يطير شمالا فى جوف الشتاء وهو يظن أنه الربيع . وعندنا ديدان ترتدى ثياباً حمراً ، ودببة قطبية تكره الجوّ البارد ، وغرباناً تترك الدرّاجات فى الشوارع فتسرقها السناجيب . وفى ذات ليلة ألحّ الصغار على معرفة أسرار الولادة ، فاخترعت لهم شخصاً يدعى « شيخ الحارة » ليتكفل بالتفسير .

وتحليق الآباء فى فضاء الحكايات الملفقة ، ضربان : أما الضرب الأول فحكايات يقصد بها موعظة الصغار ، وأما الآخر فحكايات عجيبة للتسلية . وكثيراً ما تجمع الحكاية بين الضربين .

ومهما يكن من أمر ، فأساس القصة التى تسلى الصغار هو أن تضم « المتنافر » من الحقائق والصور . وأبنائى بين الرابعة والتاسعة ، وهم يصيحون فرحاً حين أحدثهم عن أخطبوط صغير يتزحلق على الثلج . وهو أخطبوط كان لأبيه ثمانى أذرع وثمانى فرش أسنان ، يضرب صغيره بها حين لا يضع الصغير قبقاب التزحلق فى مكانه بعد الفراغ . وتأخذهم سورة الضحك حين يسمعون عن هر له أربع أرجل يسرى ، كان يصدم دائماً مائدة القهوة فيزعج أمه . وقد بدلنا هذا الهر (فى قصة أخرى) بهر آخر له أربع أرجل يمنى ، فانتهى الأمر على مايرام . وثمة وسيلة أخرى لا تخطىء فى تلفيق حكاية

يطرب لهـا الأطفال ، هى أن تتخذ لأحد أبطال القصة اسماً مضحكا أو عجيباً .

وعامل ثالث فى توفيقك ، هو أن تدعو الصغار إلى الاشتراك فى تلفيق الحكاية. وهذا ينقذك من مواقف حرجة تعجز خيالك . فلنفرض مثلا أن الحكاية تدور على فرخ عُقاب لايستطيع أن يتعلم الطيران ، لأنه يريد أن يصير قائد طائرة ، فيظنّ أن الأجنحة لم تخلق وفقاً لما تقتضيه أصول علم الطيران . ماذا تصنع ؟ ليس عليك إلا أن تقول : « ما رأيكم يا أصحابى ؟ ترى ماذا حدث لهذا الطائر ؟ »

فيجيبونك ، فتتركك إجابتهم مبهور الأنفاس . يقولون لك إن هذا الطائر أنقذ من الموت طياراً كان يكره الطائرات لأنه يريد أن يكون له جناحا طير .

ولمشاركة الصغار أثر غريب أحياناً فى تأليف حكاياتك . فافرض أنك سألت أحدهم : « ترى يا روبرت ماذا تريد أن تسمع الليلة؟ »

فيقول روبرت : « خبرّنى عن الدودة » ، ويقول كارل : « خبرنى عن الجواد » ، ويقول جاك : « ما قولك فى معركة عظيمة بين طائرات ؟ »

فأجوبتهم هذه تهيء لك ما تريد . فلكى تدخل السرور على قلوبهم جميعاً تبدأ بجواد تسميه مثلا « هول » ، كان له صديق من الدود يدعى «ماك» ، وقد كانا من الوطنيين. فلما نشبت الحرب تطوعا فى الجيش ، ولم يكن فى الجيش — طبعاً — ملابس عسكرية على قدّها ، فدعيا إلى الاشتراك فى قسم الجاسوسية .

وأرسل « ماك » إلى اليابان مستخفياً فى طائرة تحمل شحنة من البرقوق إلى الجند . وذهب « هول » إلى ألاسكا فعبر مضيق بيرنج سابحاً (وتفسر لهم معنى مضيق ، وتبين لهم موقع ألاسكا على الخريطة) . وأخيراً التقى الصديقان فى فناء قصر الميكادو ، وكان «ماك» متنكراً فى شكل دودة حرير ، وكان « هول » قد ادعى أنه ابن عم الجواد الأبيض الذى يركبه الميكادو .

وذات ليلة سارا يتسللان فى أرض القصر ، فكشف اليابانيون سرّهما . فقفز « ماك » إلى متن « هول » ، فمضى هذا ينهب الأرض نهباً إلى المطار ، فسرقا طائرة ، (وتبين لهم الفرق بين بعض ضروب الطائرات) .

ثم انظر . ها أنت تدنو من ذروة القصة حين تدور المعركة بين طائرتهما والطائرات اليابانية التى تطاردها. وربما اضطررت أن تذهب إلى زوجتك وتغمزها بيدك لكى تمنعها من مكاتمة ضحكها . ولكن لاريب فى أننا جميعاً نعمنا بالحكاية .

ولمشاركة الصغار في تأليف الحكاية منافع أخرى . فإن الدقائق القليلة التي يقضونها في اختيار الموضوع وابتكار عناصره ، هي دقائق من الهدوء ، تسكن فيها إلى نفسك ولا تقطعها رنات ضحكهم أو أسئلتهم المتواترة ، وقد تكفيك أحياناً لتتناول صحيفة بعد العشاء تلقي عليها نظرة .

ولكن أهمّ من كلّ ذلك شأناً هو تربية أخلاق الصغار . فجميع الأطفال يعيشون في عالم خاص بهم ، وجميعهم مفطورون على الكذب . وجانب من مهمة الأب أن يعين ابنه على المطابقة بين الحقيقة كما هي والحقيقة كما يتصورها الصغير ، حتى يصير قادراً على أن يتبين الفرق بين الحقيقة المشوهة وبين الحقيقة المجردة . وحكاية الحكايات وسيلة نافعة لبلوغ هذه الغاية ، لأن كل حكاية تبنى على « الخيال » و « الفرض » .

ومتى ألف الصغير هذا وأدركه ، اصبح إلزامه بعمل يراد به تقويمه ، أمراً ميسراً .

فقد يقول كارل مغيظاً حين تزجره أمه : « لقد علقت سترتي كما ينبغي » ، فتقول له : « أواثق أنت ، أم هو هو فرض وخيال ؟ » فالسترة على الأرض ، وهي بعيدة عن كل مكان يمكن أن تعلق عليه ، فلا يحتمل أنها وقعت . وكذلك يتضح الأمر للصغير .

وليس ثمة ريب في أن حكاية الحكايات لها فضائل أخرى . فقد زارنا ذات ليلة رجل تخصص في الخدمة الاجتماعية وعلم النفس . وبعد أن أوى الصغار إلى مضاجعهم شرع يحدثني عن تماسك الأسرة ، وإطلاق العواطف الحبيسة في صدر الطفل . وكنت في تلك الليلة . قد حكيت للصغار قبل مجيئه حكاية الدودة التي تزحف في العُشب اليابس وتتمطى في الوحل ، فراراً من العصفور الذي يريد أن يصيدها ، وقد جعلناها تأكل المطاط حتى يزداد جسمها قدرة على المط ، ومقاومة لشد العصفور .

فحكيتها له أيضاً ، وقد عجز علم الرجل عن أن يحبسه عن الإغراب في الضحك حين فكر في الدودة ، حتى دلق كأس شرابه ، فثبت لي أن لا شيء في الدنيا يستطيع أن يكف النفس عن التمتع بالفكاهة البسيطة .

وقصّ الحكايات على الأطفال مسلاة في متناول كلّ إنسان ، ولست في حاجة إلاّ إلى لسان . فالأطفال يعيشون في عالم يحيّرهم ، وهم يجدون راحة من الحيرة حين يسمعون صوتا يحادثهم . فامض يا بابا . واحك حكايات لصغارك ، تجد في بيتك متعة لم تكن لتدور في خلدك ومسلاة تجدد كل يوم .

ـــــــــ

سكينة النفس

مختصر كتاب بقلم
الدكتور ى. لوث. ليبمان

وضعت مرة ، وأنا شاب ، جدولاً «بطيبات» الحياة المعترف بها، فكتبت هذا البيان بالرغائب الدنيوية : الصحة ، والحب ، والموهبة ، والقوة ، والثراء ، والشهرة ، ثم تقدمت بها فى زهو إلى شيخ حكيم .

فقال صديقى الشيخ : « جدول بديع . وهو موضوع على ترتيب لايعدّ غير معقول، ولكن يبدو لى أنك أغفلت العنصر المهم الذى يعود جدولك بغيره عبئاً لايطاق » .

وضرب بالقلم على الجدول كله ، وكتب كلمتين : سكينة النفس .

وقال : هذه هى الهبة التى يدّخرها الله لأصفيائه . وإنه ليعطى الكثيرين الذكاء والصحة ، والمال مبتذل ، وليست الشهرة بنادرة ، أما سكينة القلب فإنه يمنحها بقدر » .

وقال على سبيل الإيضاح : « ليس هذا برأى خاص لى ، فما أنا إلا ناقل من المزامير ومن ماركس أوريليوس ، ومن لاوتسى . وهؤلاء الحكماء يقولون : « خلّ يارب نعم الحياة الدنيا تحت أقدام الحمقى ، وأعطنى عقلا غير مضطرب » .

وقد وجدت يومئذ أن من الصعب أن أتقبل هذا ، ولكن الآن ، بعد ربع قرن من التجربة الخاصة ، والملاحظة الدقيقة ، أصبحت أدرك أن سكينة النفس هى الغاية المثلى للحياة الرشيدة . وأنا أعرف الآن أن جملة المزايا الأخرى ليس من الضرورى أن تفيد المرء السكينة . وقد رأيت هذه السكينة الباطنة تزهر بغير عون

من المال بل بغير مدد من الصحة . وفى طاقة السكينة أن تحول الكوخ إلى قصر رحيب ، أما الحاجة إليها فإنها تحيل القصر الملكى قفصاً وسجناً .

وتأمل دعوات الإنسانية من كل ملة فى كل عصر — فإنها كلها تلخص فى أمرين: رزق اليوم والسكينة الباطنة . على أن هذه الدعوات من أجل سكينة النفس لا ينبغى أن تخلط بالهرب إلى برج عاجى من عباب الحياة ، وإنما غايتها التوازن الباطن الذى يمكننا من التغلب على صدمات الحياة .

ولا سبيل إلى الفوز بسكينة النفس بجهد يسير أو عابر ، وقد يعين على إيتائها أن يكون المرء على صلة بالأعمال النبيلة — من أدبية وموسيقية وفنية — غير أن هذه وحدها لا ترضى جميع مطالب الروح كل الرضى . ومن المحقق أننا لن نجد السكينة بعنف الجرى وراء المال الذى يتفلت كالزئبق من بين أصابعنا المتشبثة ، بل لن نجد السكينة على نحو وطيد فى الحب الإنسانى وجلال تبادله ، وإن كانت هذه العاطفة أقوى ما يوهم الإنسان أنه فاز بالسعادة التامة .

إذن أين نلتمسها ؟ إن مفتاح هذه المسألة يوجد فى بيتين للشاعر ماتيو أرنولد : « إننا خليقون أن نظفر بالسكينة الباطنة ، ولكننا لا ندير عيوننا فى أنفسنا » ! هنا ، بجملة واحدة ، يتبدى ركوبنا رأسنا وعنادنا .

وإنه لمن السخرية الجلية أن بعض الأديان يؤكد واجبات الإنسان لغيره ، ولا يكاد يقول شيئاً عن واجبه لنفسه . ومن أعظم ما كشف عنه علم النفس الحديث ، أن موقفنا حيال أنفسنا أشد تعقيداً من موقفنا حيال الغير . ومن الممكن أن تفسر الوصية الدينية العظيمة القائلة « أحبب جارك كما تحب نفسك » على أن معناها « أحبب نفسك حباً صادقاً وحينئذ تحب جارك » .

تلقى رجل من مشاهير العاملين فى الخدمة الاجتماعية رسالة من سيدة تريد أن تنضم إليه فى كفاحه لمساعدة الفقراء ، وقد تكلمت بإسهاب عن نقائصها ، وختمت رسالتها بقولها إنها ترجو أن تعوّض حماستها لكفاحة ما بها من نقائص . فكتب إليها هذا الرد الوجيز : « سيدتى العزيزة . إن نقائصك البديعة حقاً هى فى غاية العظمة . وما من شىء يستطيع أن يمنعك أن تصيبى بها ضحايا وداعتك . وأنا أنصح لك بأن تزيدى من حبك لنفسك قبل أن تبعثرى حبك على الغير » .

وقد يذهب البعض إلى أن هذا مبدأ خطر ، فيقولون : « إن الناس مسرفون فعلا فى حبهم لأنفسهم ، والغاية الحقيقية للحيا

هى إنكار الذات فى خدمة الغير » . وهذا تقدير للطبيعة الإنسانية لا يخلو من أخطاء، فهل صحيح أننا نحسن إلى أنفسنا عفواً ؟ إن الدلائل تشير إلى العكس ، فكثيراً ما نعامل أنفسنا معاملة أصرم وأحفل بروح الانتقام من معاملتنا للغير . ومن الأدلة المتطرفة على هـذا ، الانتحار ، وغيره من صور تحقير الذات مثـل إدمان السكر ، أو المخدرات ، أو الفجور . وشوارع العالم غاصة برجال ونساء يشوهون أنفسهم تشويهاً روحياً بانتقاد النفس ، ويسيرون فى الحياة مسيرة من ينتحر بعض الانتحار — فيقضون على مواهبهم ، ونشاطهم وملكاتهم الإنشائية الخالقة .

ومثل هذه الأعمال جريمة لا ضد أنفسنا فحسب ، بل ضد الجماعة أيضاً . فإن الذى ليس عنده رعاية صحيحة لكفاياته ومواهبه، لا يمكن أن ينطوى على احترام للغير . ولست أعنى بحب النفس تدليلها أو الإغراق فى تمجيد الذات ، ولكنى أصر على وجوب احترام الذات كشرط لازم لحياة أخلاقية حميدة نافعة .

وثم مالا يحصى من الوسائل التى نظهر بها ازدراءنا لأنفسنا أكثر مما نظهر احترامها ، فهناك مثلا إحساساتنا بالنقص .

وما أكثر ما نعزو إلى جيراننا التفوق ، ونبالغ فى كفاياتهم ، ونهوى إلى درك العربدة فى النيل من أنفسنا وانتقادها ووجه الخطأ هنا هو أننا لا نرى فى الغير إلا ظاهر الثقة والاتزان . ولو أننا تعمقنا وأدركنا أن الرجال والنساء جميعاً بهم ندوب من معارك كثيرة خسروها ، لكان حكمنا على إخفاقنا أقل قسوة .

ولمن يسير فى الحياة وقد سيطر عليه اعتقاده أن به نقصاً ، أقول: «إنك فى الحقيقة قوى جداً وحكيم وناجح ، ولقد أحسنت إذ استطعت أن تصوغ وجـوداً إنسانياً محتملا من المواد الأولية التى كانت تحت تصرفك . وهناك من يحبونك ويوقرونك كما أنت ، فانزع هذه النظارات السود واتخذ مكانك كندٍّ لغيرك من البالغين الراشدين ، واعلم أن قوتك كافية لمواجهة مشاكل عالمك هذا » .

وثم طريق آخر لاحترام الذات ، وذلك أن نتقبل عيوبنا كما نتقبل مزايانا . وأكثر من ترى من الناس ، عنده صورتان لنفسين فى غرفتين منفصلتين . ففى إحدى الغرفتين تعلق صورة الفضائل بألوان قوية وضاءة ، وفى الغرفة الأخرى صورة يتمثل فيها الإنحاء باللوم على الذات، وهى مرسومة كالأخرى رسماً غير مطابق للواقع بألوان قاتمة سقيمة .

وبدلا من التفريق بين هاتين الصورتين، ينبغي أن ننظر إليهما معاً ، وأن نمزجهما شيئاً فشيئاً حتى نخرج منهما صورة واحدة. ويجب أن نسعى لنعرف أنفسنا ونتقبلها كما هي — مجموعة من وجوه القوة والضعف. وإنه ليكون حسبنا إذا نحن تعلمنا أن نحترم أنفسنا بكل نقائصنا ومزايانا ، وأن نعلم أن الحب الصحيح للنفس لا يغالى بفضائلها ولا يغض من قيمتها .

والمهم أننا ننعم طول حياتنا بمزية النمو ، ففي وسعنا أن نستفيد نزاعات جديدة ، وأن نشتغل بضروب جديدة من العمل ، وأن نوجه همنا إلى قضايا جديدة ، وأن نكتسب أصدقاء جديدين . فإذا سلمنا بأن لنا اقتداراً في بعض النواحي ، وأننا محدودون في نواح أخرى ، وأن العبقرية نادرة ، وأن التوسط هو حظ الأكثرين منا ، فلنذكر أيضاً أننا نستطيع ، ويجب ، أن نغير أنفسنا ، فإننا إلى يوم نموت ، نستطيع أن نواصل النمو ، وأن نفجر ينابيع كامنة في كياننا .

وكل من ينشد سكينة النفس ينبغي أن يتعلم أن ينبذ كثيراً من الأشياء ليكون استيلاؤه على غيرها أتم . وقد كانت رغباتنا إذ نحن أطفال صغار هي التي لها السلطان ، ولم يكن علينا إلا أن نبكي ، فيبادر عالم الكبار إلى إجابة كل رغبة لنا . ولم نكن نعرف في تلك المرحلة من مراحل النمو ، إلا قليلا عن إرجاء ما فيه مرضاة ، أو ضرورة النزول عنه ، ولكنا ونحن نكبر ، نتعلم أن كل مرحلة من مراحل النمو تستدعي أن نقدر أشياء متفاوتة ، وأن نضحي ببعضها في سبيل البعض الآخر .

وقد بين الفيلسوف سانتايانا أن الصعوبة الكبرى في الحياة ليست في الاختيار بين الخير والشر ، بل في الاختيار بين الخير والخير . على أننا في صدر الحياة لا ندرك أن رغبةً ما يمكن أن تكون ملتئمة مع رغبة أخرى . وقد يتردد الفتى بين عشر خطط للمستقبل ، ولكن الرجل الناضج يكون عليه أن ينبذ عدة خطط ليمضي في واحدة . وهذه الحقيقة ذاتها تصدق في عالم العواطف ، فإن من اللائم لسن المراهق أن ينقل فؤاده وحبه من واحدة إلى أخرى ، ولكنها تكون مأساة إذا قام الكبير بدور المراهق . والرجل الذي يحاول أن يرتدي ثوب الشباب الخالي من الهموم ، والمرأة التي تكسو عواطفها ثياب عروس من عرائس اللعب — هذان مسكينان يستحقان الرثاء ، لأنهما لم يتعلما أن النمو الإنساني معناه إغلاق أبواب عدة قبل أن يتسنى فتح باب كبير واحد — باب الحب الناضج ، والعمل الناضج .

والحقيقة الأساســية الأولى فى حياتنـا الفردية هى أنه لا غنى لإنسان عن الحب . وأعنى « بالحب » العلاقة بشخص يعــتز به أو جماعة يضن بها ، والشعور بأن الإنسان ينتمى إلى كلٍّ أكبر منه ، وأن له قيمة عند غيره من الناس .

وحاجة بعضنا إلى بعض هى أشمل الحقائق الإنسانيــة ، فإن شخصياتنا تصاغ بفضل احتكاكنا واتصالنا بالغير . وقد يتلقى الغلام عدوى الشجاعة من أبيه ، أو شقوة الخوف من أمه. ونحن نتمثل — بالمعنى الروحى — أبطالنا وبطلاتنا ونجعل أسلوب حياتهم جزءاً من كياننا الوجدانى. وهكذا يترك كل قديس، وكل خاطىء ، أثره فيمن لن يراهم ، لأن أقوالهم وأعمالهم تنطبع على الطين الطرى، طين الطبيعــة الإنسانية فى كل مكان . فهناك أذن واجب على كل واحد منا — أن نصبح أحراراً، محبين ، مخلصين متعاونين، وأن تكون الثقة هى طابع شخصياتنا . فإذا فهمنا هذا الارتباط بالغير فإن معاشرتنا لأسرتنا وأصــدقائنا وزملائنا فى العمل ، ولأنفسنا أيضاً ، تصبح خيراً وأفضل .

والرحمة ، هى بعد الخبز ، أعظم مايتلهف عليه الإنسان الفانى . وهى فى أوقات المحنة والكوارث تجد إعراباً طبيعياً عنها يطيب تأمله فى أعمال الناس ، ولكنا نخطئها فى أكثر الأحيان فى حياتنا كل يوم. وكثيرون منـا ينزعون إلى التحكم والتجبر ، ويســوء خلقهم مع الغــير من الموظفين والباعة والخدم . قال ثورو: « لست أسمى إنساناً ما، خــيّراً إذا كان ينسى أن حلاقه ، وطباخه ، وسائس خيله مجبولون مــن نفس الطين البشرى مثله » . ونحن نعصف بسكينة نفوسنا حــين نعجز عن أن نكون رحماء بالناس جميعاً . والمحور المرصع الذى يجب أن تدور عليه حياتنا هو إدراكنا أن كل إنسان نلقاه هو نفس إنسانية كريمة فى جوهرها .

والسر الحقيقى للزواج هو تبادل المحبــة البسيطة ، وهى فى خير مظاهرها ، تشجيع متبادل . ومتى تقبلنا ورضى عنا واحتاج إلينا الذين يعرفون عنا كل شىء ، وأحبونا ، فقد فزنا ببداية السكينة التى تتجاوز مدى الإدراك .

وحب الجار مؤدّاه أن تنطوى نفوسنا على تسامح حيال اختلاف الغير وشذوذه ، وأن نقاوم مايغرينا بالاستعلاء أو الاستعمار الخاص . ويجب أن نتخلى فى جملة ما نتخلى عنــه ، عن الإسراف فى التملك فيما يتعلق بأصدقائنا وأبنائنا — نعم ، حتى معاشقنا . والعالم غاص بالنزاعين إلى الاستعمار الخاص، كالأب الذى يكره ابنه ذا المزاج الفنى على العمل معه فى تجارته ، والأم التى تقيد بنتها

وتجعلها تبعاً لها ، وتلف عليها سلاسل من الشفقة والعطف ، وتأبى بذلك أن تدع بنتها تحيا حياتها الخاصة .

ونحن إذ نصر على أن تكون آراء غيرنا مطابقة لآرائنا فيما هو لائق ، أو خير ، أو مقبول ، ندل بهذا على أننا لسنا واثقين من أن صورة باطننا قويمة . فإن الواثق بنفسه يكون مستعداً أن يدع غيره يكونون كما يشاءون . أما الذى تنقص شخصيته صفة الثبات ، فإنه يحب أن يفيد الاطمئنان والثقة بأن يصب غيره فى مثل قالبه . ونحن نكشف عن حب صادق حين نكف عن أن نطالب من نحبه بأن يصبح نسخة منقحة منا .

وكل إنسان طبيعى يعانى مخاوف وهموماً لا تحصى ، ولكن من الممكن التغلب على هذه التى هى أعداء للسكينة .

وإنه لصحيح ، على أحد المعانى ، أن الإنسان أوتى نعمة القدرة على معرفة الخوف ، فإن الخوف كثيراً ما يكون الباعث على النمو ، والحافز إلى الاختراع . ثم إن الخوف الذى يشعر به الإنسان عند الخطر الحقيقى مرغوب فيه . ولكن أليس معظم مخاوفنا لا أساس لها ؟ وتدبر هذه الجماعة الكبيرة من المخاوف التى يمكن أن توضع تحت عنوان « القلق الشخصى » ، فنحن أحياناً نخشى على صحتنا ، ونقلق على قلوبنا ، ورئاتنا ، وضغط دمنا ، وأرقنا ، فنتحسس نبضنا لنهتدى إلى دليل على المرض فى كل عرض برىء أو لا معنى له ، أو يعترينا القلق على شخصيتنا ونشعر بالتزعزع وعدم الثبات ، ونحزن على ما خبنا فيه ، ونتوهم أن الغير يحتقروننا أو لا يرضون عنا .

ويجب أن ندرك أن مخاوفنا قد تتنكر ، فيبتدئ مثلا عدم الثقة بالنفس فى صورة خوف من الأماكن المرتفعة ، أو الغرف المغلقة . وأحياناً تتخفى مخاوفنا فى ثياب من الألم الجثمانى . وقد أظهر علم الطب النفسانى الجديد أن سلسلة طويلة من الأمراض ، من البرد العادى إلى النقرس ، يمكن فى كثير من الأحوال ردها إلى متاعب عقلية لا بدنية . وإنه لأسهل جداً أن يكون المرء مريضاً من أن يكون شجاعاً . وليس سوء الصحة الذى يستمتع به كثيرون من الزمنى إلا ستاراً لمخاوف عميقة القرار .

وكثير من مثل هذه الإحساسات بالتزعزع متخلف من الطفولة حين كنا غير أكفاء للحياة ، وكنا نعرف أن هناك بوناً بعيداً بين ضعفنا وقوة عالم الكبار . وهذا البون يزول مع النمو ، ولكن طفولتنا تتقاضى مرة بعد مرة ثمن إخفاقها أو أغلاطها التى شببنا عنها من زمان طويل .

أترى يخامرنا الخوف من الموت ، أو الخوف من العقاب في الآخرة ؟ فإن هذا الخوف ليس إلا امتداداً لتجربة قديمة سابقة حين عاقبنا أحد الوالدين ، وأغلق علينا الغرفة وتركنا وحدنا فيها . أم نحن نشفق دائماً من سخط الغير ، ويخيفنا أن لا يتقبلنا المجتمع ؟ فلننظر إلى هـذه المخاوف بعين الرجل الناضج الرشيد ، وأخلق بنا إذن أن نرى أن جيراننا مثلنا غير معصومين ، وأنه لا يحق لنا أن نتوقع أن ندلـّل في عالم الكبار كما كنا ندلل في الطفولة .

ومن بواعث الأمل أن هـذه الحالات لا تلبث حتى تزول . وهذا درس صعب ، فإنا نكون متعبين ، فتصبح وخزة الإبرة مثل طعنة الخنجر . ولكنه من الطبيعي والعادي أن تعترى الإنسان حالات هبوط وانكسار . وعلينا أن نتذكر دائماً أننا سنخرج منها إلى النور مرة أخرى . ونحن الآدميين مخلوقات شديدة المُنّة قادرة على الثبوت لصدمات كثيرة ، وإراقة دموع غزار ، ومعاناة مآس عديدة دون أن تتحطم . فلنتعلم أن لا نعد الانكسار الذي يعرونا يوماً أو شهراً حالة دائمة في حياتنا .

ومن الطبيعي أن نعاني الخوف على مستقبلنا الاقتصادي والاجتماعي . وما أكثر من تفزعهم البطالة ، أو تقوّض أعمالهم . وهذه المخاوف حقيقية جداً ، غير أنه يتصل بها اتصالا وثيقـاً ، رواسب عصبية . والأمريكيون على الخصوص مشغولون بسباق بعيد المدى يشعر فيه العدّاؤون بقلق شديد على الذين يلهثون خلفهم ، ويحسدون فيه المتقدمين . وهذا السباق القاسي في سبيل النجاح الاقتصادي هو علة كثير من حالات الإعياء وموت الفجأة .

والرغبة في النجاح خلة حميدة في الطبيعة الإنسانية . ففي أي شيء إذن نخطيء ؟ إننا نخطيء في توجيه نشاط مسرف لا إلى العمل الحقيقي بل إلى الصراع العصبي ، فقد يكون للرجل بيت ومال وأسرة جميلة ، ويجد أن طعم كل هذه الأشياء مسيخ ، لأن عدّائين آخرين تقدموه في السباق من أجل الماديات . وليست المسألة أنه لا يملك الكفاية لحاجاته ومطالبه ، وإنما هي أن غيره يملك ما هو أكثر ، « فالأكثر » هو الذي يخامره ويحمله على التقليل من شأن ما أدركه هو .

وقد آن أن يقال : « لست أنوى أن أهتم بما لغيرى من قوة أو ثروة ، مادمت أستطيع أن أحصل على ما فيه الكفاية لكرامة أسرتى وأمنها ، وسأعين غاياتى لنفسى ولا أستعيرها من غيرى ، وإنى لأرفض أن أقضى على سكينة نفسى بالسعى وراء المال

وحده ، وسأزن نفسى أيضاً بميزان الخير والثقافة » .

ونحن نعلم أن العواطف المكظومة تثأر لنفسها آخر الأمر ، فى صورة مرض عقلى أو بدنى . وهذه الحقيقة تضىء لنا مسألة الفوز بسكينة النفس فى الشكل والحزن .

وقد استطاع الدكتور إريك ليندمان بما قام به من البحث الإكلينيكى فى مستشفى ماساشوستس العام ، حيث فحص مئات ممن كسر نفوسهم الحزن ، أن يكشف عن هذه الحقيقة الأساسية ، وهى أن كظم عواطف الحزن قد يفضى إلى رد فعل مَرَضى فيما بعد . وكان بين مرضى الدكتور ليندمان بعض من تفاقمت علتهم واشتد بهم الانكسار بعد سنوات من فقد عزيز عليهم . وقد كان البرء مدهشاً من أدواء عقلية وجسمية ، حين أمكن أن يعرب المرضى عن الألم أو الحزن الذى كان ينبغى أن يجد له متنفَّساً من قبل .

وما أسخف الرأى الذى شاع فى المجتمع الحديث ، بأن على الرجال والنساء أن يكظموا عواطفهم ولا يدعوها تتبدّى ، فإن اجتناب الإعراب عن العاطفة — لا إظهارها — هو الذى يشوّه الروح .

فالقاعدة الأولى التى ينبغى اتباعها عند فقد عزيز أو حبيب هى أن ترخى العنان لما تحس به فعلا من الحزن . ولا تخجل من عاطفتك ، فإن إطلاقها الآن هو الذى سيكون وسيلة شفائك فيما بعد .

إن ما كشفت عنه البحوث النفسانية — من أنه من الجوهرى الإعراب عن الحزن لا كَظْمه ، والتحدث بما أصيب به الإنسان مع الأخوان والرفقاء ، والانتقال خطوة خطوة من الفتور إلى النشاط مرة أخرى — يذكرنا بأن المعلمين القدماء كانوا أهل حكمة وبصر بالطبيعة الإنسانية ، وهو ما نسيه عصرنا المتكلف . وإن التاريخ ليسجل كيف كان إبراهيم ويعقوب وداود يعربون عن حزنهم علانية وفى غير استحياء . وكان القُدامى يبكون جهرة ، ويرتدون الخشن من الثياب ، ويمزقون ملابسهم ويصومون . وإنه لمن سوء الحظ أن يكون الإعراب عن العاطفة الصادقة قد أصبح فى زماننا محظوراً ، فلنفهم أن الإعراب الصريح بغير كابح عن الألم ، من عوامل الشفاء . وأن كل لف وتهرب من إظهار الحزن الطبيعى ، يلقى بنا فيما بعد فى هاوية من الأسى .

فإذا تسلحنا بمثل هذه المعرفة ، وأوتينا الشجاعة والعزم ، فإن فى وسعنا أن نحيا كما كان الذين فقدناهم يودون أن نحيا ،

لا فارغين ، ولا منقبضين ، أو منطوين على نفوسنا التي نرثي لهـــا ، بل خداماً شجعاناً لحياة أعظم .

وإنه لنادر أن نؤتى الشجاعة اللازمة لمواجهة فكرة فنائنا، غير أن الإنسان لا يعد حراً في الحيـاة إلا إذا كان أيضاً متحرراً من الخوف من الموت .

وأما فيما يتعلق بموتنـا فإنه ينبغي أن نتذكر ما علمنا إياه العلم عن الموت وموافاته. فإنا نفزع أنفسنا بلا موجب بفظائع نتوقعها ولا يقع منها شيء . وقد قال الطبيب الشهير السير وليم أوسلر: «تدلني تجربتي الإكلينيكية الواسعة على أن معظم الآدميين يموتون بغير ألم أو خوف . ويغشى الساعات الأخيرة من الذهول مثل ما يغشى الساعات الأولى (عند الميلاد) . »

وقال مونتين كلمة في غاية الإبداع في هذا المعنى : « لما كنت في صحة تامة ، كنت أشـد خوفا من المرض مني حين أصابني فعلا ؟ إن الموت لا ينبغي أن يخشى ، فإنه صديق » .

كلا، ليس الموت عدو الحياة بل صديقها، فإن العلم بأن أيامنا محدودة هو الذي يجعلها ثمينة . وقد كان أفلاطون على حق حين قال إن الحياة التي لا نهاية لها على هذه الأرض ليست مرغوباً فيها ، لأن الوجود الذي لا آخر له لا تـكون له قمم ولا أعماق، ويخلو من التحدي ومن السعي والإدراك . وإنه لحق أن لذة السعي ونشوة الأماني لتنعدمان إذا كان الخلود على الأرض مقسوماً لنا .

على أننا لا نجرؤ أن نغفل تلهف القلب الإنساني على نوع من الوجود فيما وراء هذه الحياة الضيقة الفسحة ، وثم إحساس عام بأن الله تأبى رحمته أن يوصد الباب كل الإيصاد على مواهبنا التي تنمو ببطء — وإنه لابد أن تـكون هناك عوالم نستخدم فيها قوانا التي نلناها هنا . وليس ينبغي أن يستخف المرء بآراء الفلاسفة الذين يصرون على أنه ليس ثم ما يجعل من المستحيل أن توجد الحياة في أبعاد لا تتناولها الأحلام ، وأنه كما أن الأشعة التي تحت الأحمر لا ترى بالعين، كذلك قد يكون هناك كون مبـدع نام يخفي قارات لا تخطر على البال فيما وراء ما يتناوله الحس .

ثم إنه ينبغي أن نتذكر دائماً أن هناك صوراً أخرى للخلود غير استمرار الوجود الشخصي. ولعل الإنسان يكشف عن أبدع مظاهر عبقريته وأخلاها من الأثرة حين يشيح عن فـكرة الخلود الفردي، ويستمد الإلهام من خلود الجنس البشري . ومن الغريب أننا كلما حصرنا تفـكيرنا في خلود

الإنسانية ، صارت حياتنا الفردية أغنى . وإذا وصلنا أسبابنا بأسباب الأبطال، والحكماء والشهداء ، والشعراء ، والمفكرين من كل جنس، فإننا نجنى أحكم الآراء ، وأنبل المثل العليا ، ونفوز بموسيقى القرون التى لا تفنى. وما أفقر الإنسان الذى لا يعيش إلا فى زمانه، وما أغنى الذى يأخذ بنصيب من كنوز الماضى وآمال المستقبل .

ويقول لنا العلم والدين معاً أن الحوائل دون السكينة ليست خارجية ، وإنما هى فى نفوسنا . فإذا تعلمنا فن حب الذات على وجهه الصحيح ، وإذا تحررنا بمعونة الدين من أشباح الخوف ، ورضنا أنفسنا على مواجهة الأسى والتحليق فوقه ، وتخلصنا من الفجاجة ، واحتملنا فى شجاعة تبعات الرشد ، ونصبنا الميزان لأنفسنا وتقبلناها على حقيقتها، فكيف إذن يعيينا أن نخلق لأنفسنا حياة طيبة، ونحن قد ظفرنا بسكينة النفس ؟

العقاب الموافق للجريمة

أراد عمدة بلدة وبورن فى ولاية ماساشوستس أن يحمل حملة شعواء على السكارى فقرّر أن يعاقب كلّ سكير يضبط ثملا مترنحاً فى الطريق العام، بأن يوضع فى قفص دهنت قضبانهُ بطلاء فضى لامع ، وزين بمصابيح شتى الألوان، ثم يحمل على عربة يجرّها جواد فى شوارع البلدة . [أسوشيتدبرس]

قرّر مدير أحد السجون فى إنجلترا أن يمتنع عن معاقبة المسجونين المتمردين بوضعهم فى الزنزانة ، وأن يحملهم على لبس سراويلات وردية اللون كسراويلات النساء ثم يفرض عليهم التبختر أمام زملائهم . [نيويورك بوست]

علم ناظر مدرسة ثانوية فى توبيكا بولاية كانساس أن طالبين دخلا الفصل فى جيب كلّ منهما كوب من الجيلاته ، فلم يعنفهما ، بل اكتفى بأن أمرهما بأن يحفظ كل منهما الجيلاته فى جيبه . [نيوز ويك]

تجرى شرطة زغرب فى يوغسلافيا على طريقة بارعة فى معاقبة سائقى السيارات الذين لا يراعون قواعد المرور، فيأمرهم أن يقفوا سياراتهم على جانب الطريق وأن يفرغوا عجلاتها ، فأفضى ذلك إلى نقص كبير فى حوادث المرور .

طيار ذائع الصيت يميط اللثام عن بعض الحوادث التي وقعت في بلاد السويد المحايدة

الحربُ الخفيّة في السويد

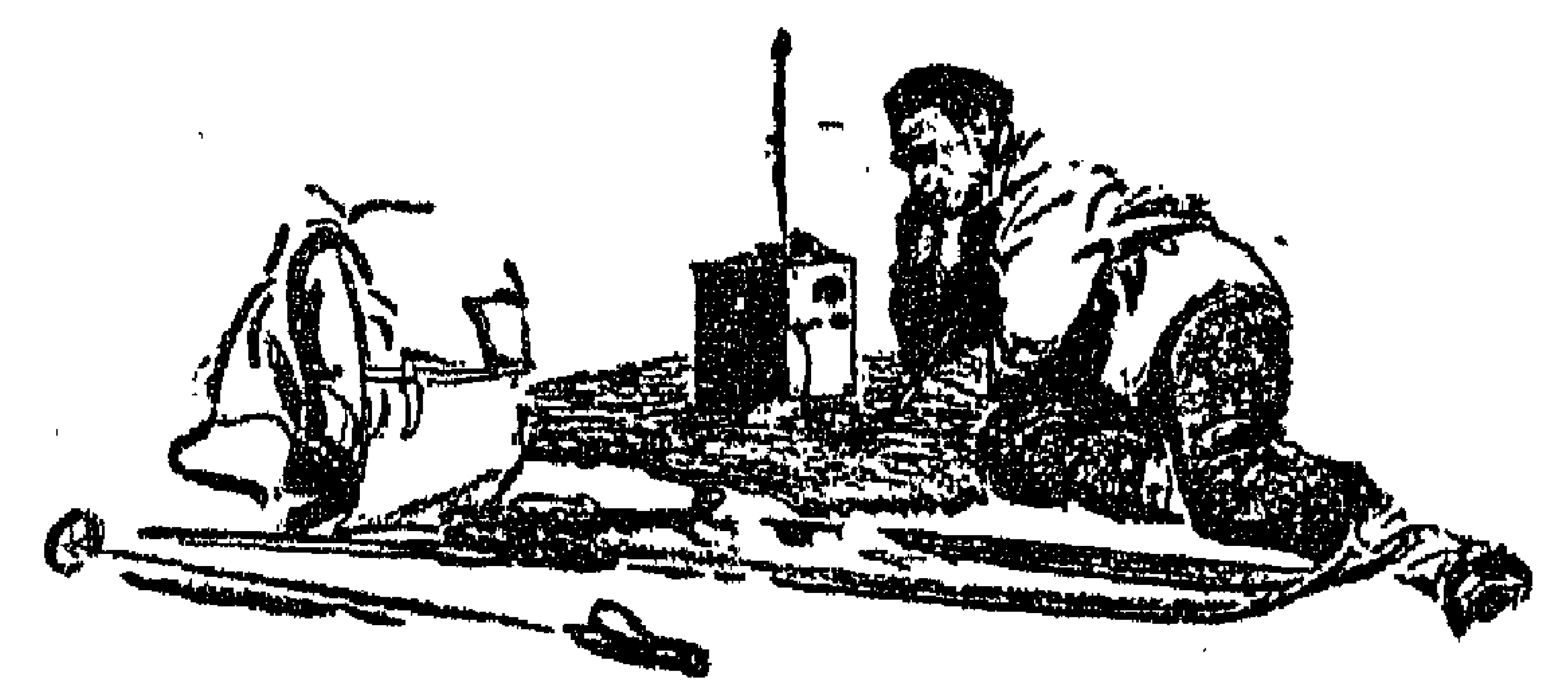
مختصرة من مجلة «كوليرز»

كولونيل برنت بالشن

إنّ الجهود التي بذلتها السويد في الحرب لم تبيَّن للناس بياناً شافياً. وقد كانت السويد من الوجهة الرسمية دولة محايدة، بيد أن المعونة الخفية التي قدمها أهل السويد للحلفاء، مكنتهم من أن يجعلوا السويد قاعدة لأعمالهم الحربية ضد الألمان في النرويج.

وكان الحلفاء في الغالب يقـــومون بحركتين فوق النرويج والسويد في وقت واحد. إحداها أن ينقلوا من النرويج شباناً لتدريبهم على الطيران، وينقلوا أيضاً طياري الحلفاء المعتقلين. والأخرى إمداد حركة المقاومة الخفية في النرويج بالمؤن والعتاد. وكان السويديون ينقلون لنا على خطوطهم الحديدية المدافع والمــواد المتفجرة والمخربين والجنود النرويجيــين المدربين. وكانت القوات السويدية، وهي في مناوراتها على مقربة من الحــدود النرويجية، تحمل البنادق وغيرها من المواد التي كانت تلقيها طائراتنا للنرويجيين ليستعينوا بها في قتال الألمان. وقد نقلت إلينا ذات مرة سيارة من سيارات الشرطة السويدية بعض مواد مفجّـرة، كان من الخطر نقلها بالقطار.

والعجب أن الألمان لم يكشفوا البتة ذلك الطريق الوحيد المأمون الذي كان الحلفاء يسلكونه في أرض النرويج، لينقلوا الرجال والعتاد من أوسلو وإليها في مركبات الوقود على خط «استوكهلم — أوسلو» الحديدي. وقد سافر في هذا الطريق كثير من عظماء الرجال منهم وزير الدفاع الآن في حكومة النرويج، وكان وقتئذ قائد حركة المقاومة الخفية.



كان يكمن وراء خطوط الألمـان في النرويج من رجال المقاومة الخفية جنود كهذا الجندي يبلغون الحلفاء والسويديين أخبار النازيين بالراديو

والسفر فى صهاريج الوقود ليس متعباً كما يبدو لك ، فالمسافر ليس لزاماً عليه أن يختبئ فى جوفها إلا عند المرور بإحدى المحطات أو عند اجتياز الحدود . وأروع شيء أن تسافر فى صهاريج الماء الملحقة بالقاطرات ، فيرتدى المسافر لباس الغطاسين حتى لا يموت برداً أو غرقاً ، ويترك غطاء الرأس غير مغلق حتى يستطيع أن يتنفس ، وكانت هذه أسلم طريقة ، ولم تساور الألمان قط ريبة من قبلها . ومتى بلغ القطار إحدى تحاويل السكة الحديدية فى أوسلو ، خرج المسافر من مكمنه ساعياً إلى مهمته .

ولما طارت فرقتى لأول مرة إلى السويد حلقنا فى الجو بطائرات غير معلّمة ولا مسلحة ، واستغشينا ثياباً تستر ملابسنا العسكرية كل الستر ، لكيلا تعرف جنسيتنا بيد أنه لم يكد يمضى عام إلا وكنت ترى فى المطارات السويدية الحربية أزياء عسكرية أمريكية وبريطانية ونرويجية . وكان لنا هناك مطاران نعمل فيهما جهرة ، وأعددنا العدة لاستخدام خمسة مطارات أخرى .

وبدأنا فى تنفيذ خططنا فى أوائل سنة ١٩٤٤ ، وكان هناك نحو ألفين من النرويجيين يدربون فى السويد ، يتولى تدريب بعضهم ضباط سويديون ، وكانت الحكومة النرويجية تريد أن تنقلهم إلى القاعدة الجوية النرويجية على مقربة من تورنتو فى كندا ، كى ينالوا حظاً أوفر من التدريب . وقد اختارنى الجنرال سباتز ، لهذه المهمة . فأنا أمريكى من أصل نرويجى ، ولدت فى النرويج وعملت فى الأسطول والجيش النرويجى ، وقد حلقت فى جو النرويج والسويد ، وكنت قبل الحرب مديراً لشركة خطوط النرويج الجوية .

وكان أول ما يجب علينا هو أن نتفق مع وزير الطيران السويدى ، الذى كان يعرف خططنا ويحبّ أن يساعدنا ، على أن نضع علامات لطائراتنا ، وعلى رموز نستخدمها فى المستقبل ، وعلى ذبذبة كهربائية لتمييز طائراتنا . ودبّرنا أمرنا حتى نستطيع أن نخبر القيادة العليا السويدية بمرورنا فوق الحدود ، فلا تطلق المدافع المضادة نيرانها علينا ، ولكى ينبئنا السويديون أيضاً عن حركات الطائرات الألمانية التى تراقب الحدود . وكان راديو المقاومة السرية فى النرويج يبلغ استوكهلم فى الحال عن كل سفينة تبحر من أى ميناء نرويجى . من أجل ذلك لم تكن تمر سفينة بالشاطئ إلا وعندنا علم بإبحارها قبل أن نبدأ طيراننا ، وكنا نعلم موقع كل مدفع على شاطئ النرويج ، وأين ترابط كل فرقة من الفرق الألمانية ، ونعلم أيضاً كم عدد الطائرات وما أنواعها فى كل مطار .

وأظن أنه لم يكن لأية حركة من حركات المقاومة الخفية فى أوربة ما كان لحركة النرويج من دقة التنظيم ، وقد كنا نلقى برجال ، مكلفين بمهمات خاصة محدودة ، وكانوا ينفذونها فى الغالب على خير وجه .

وقد أنشأنا إحدى محطاتنا المهمة فى مستشفى أوسلو للولادة ، فألقينا عاملا ومعه جهاز الراديو فى ضواحى أوسلو ، فألحقه أصدقاؤنا الأطباء بوظيفة كهربائى بالمستشفى . وفى أثناء تظاهره بالعمل فى أعلى المستشفى ركب أعمدة لالتقاط الأمواج بحيث لا يمكن اكتشافها ، ووضع جهازه فى علية المبنى ، وسرعان ما اتصل بلندن مباشرة .

وقد ضبط الألمان بعض الرسائل الرمزية ، واستطاعوا أن يحددوا بواسطة بعض الأجهزة مصدرها فوق المستشفى فحاصروه .

وكان العامل يدير جهازه حين فاجأه رجلان من الجستابو ، فحاول أن يبلغ درجاً يؤدى به إلى السطح ، ولكنه وجد السبيل إليه مغلقاً فارتد وأطلق الرصاص على الرجلين ، وهبط مسرعاً إلى مدخل فى مؤخرة الدار ، حيث لقى رجلين آخرين من الجستابو فأطلق عليهما الرصاص أيضاً ، ثم تسور جداراً وعدا فى الطريق ، ثم دخل بيتاً وخرج إلى طريق آخر ومسدسه فى جيبه ، وكان يبدو رابط الجأش غير مكترث .

وبعد أسبوعين كان فى طريقه إلى استوكهلم .

وفضلا عن أعمال الجاسوسية التى كانت جانباً عظيما من الأعباء الملقاة على عاتق ، كانت هناك فكرة جوهرية تكمن وراء «غزونا» للسويد . فقد كان متوقعاً على الدوام أن ينشىء الألمان قاعدة حربية للغزو فى النرويج ، فكان علينا أن نخرجهم منها . ولم يكن يتسنى لنا ذلك فى النرويج نفسها ، لأن البقعة الوحيدة التى كانت تصلح هناك للهبوط هى ستافنجر ، تكتنفها سلسلة جبال يتعذر اجتيازها . لذلك رأت قيادة الجبهة الثانية أنه لا يتيسر نقل الجنود جواً إلا عن طريق السويد ، بعد أن نطمئن إلى أنها لن تكتفى بأن تأذن لنا بذلك وحسب ، بل بأن تقدم معونتها أيضاً .

وقد كلفت أن أعد قاعدة جوية لتكون مقدمة لهذا العمل ، ثم أبحث عن مطارات أخرى تصلح لمثل هذه المحاولة . وقد عثرنا على شقتين على مقربة من مطار استوكهلم الذى سمح لنا باستخدامه ، ثم أقمنا هناك محطة راديو للاستقبال ، أما محطة الإرسال فكانت فى مكان آخر . وكان لنا فى برج مطار استوكهلم رجال للأرصاد الجوية ، وضباط للمراقبة أيضاً .

ولم تكن السويد تؤدى لنا ذلك دون

مقابل ، فقد كان السويديون يريدون من زمن بعيد أن ينشئوا خطاً جوياً يمتد بين بلادهم والولايات المتحدة ، على أن تكون فى الطريق محطة لهبوط الطائرات فى أيسلاند حيث كنا قد أنشأنا قاعدة جوية . فأتيحت لهم بذلك فرصة لتحسين مركزهم فى مواصلات العالم الجوية بعد الحرب . وأكثر من ذلك أنهم كانوا يخشون محاولة الألمان أن يقتحموا بلادهم ، فأتاح لهم وجود طيارى الحلفاء فى بلادهم ، أن يكونوا على صلة بالعالم الذى يحبونه ويفهمونه ، هذا العالم الذى كانوا سيصبحون لولا ذلك فى عُزْلةٍ عنه .

فلعلهم أذنوا لنا مرة من أجل ذلك أن ننشىء مكتباً لتنظيم نقل المعتقلين وطلاب الطيران فى فندق استوكهلم . وكان للإنجليز هناك مكتب أيضاً . وأما الألمان فكانوا ينقلون الركاب على خطوط السويد الجوية التى كانت تصل إلى برلين .

وفى أواخر سنة ١٩٤٤ تقرر نقل قوات من البوليس الحربى ، ونقل وحدتين من وحدات المستشفيات بطريق الجو مارة بشمال السويد إلى كركينس فى شمال النرويج ليشتركوا فى مقاومة الألمان أثناء انسحابهم من فنلندة . وقد كان نقلهم عملا حربياً كبيراً ، فنزلت على استوكهلم طائرات عليها العلامات الحربية الأمريكية ، وقد رسمت على هيا كلها وذيولها شارات الغزو ، وكان الجنود يرتدون ملابسهم العسكرية فهبطوا بطائراتهم فى الليل . وكان من المقرر نقلهم على جناح السرعة ، بيد أن الجو كان رديئاً فتعذر عليهم مغادرة المطار ، فقصدت اليوزباشى أولسون من رجال الشرطة وشرحت له ما نعانيه ، وقلت له : « لم لا تمنحهم شهادة تدل على أنهم من المعتقلين وفى وسعك أن تأخذ بصماتهم وصورهم »

فقال أولسون : « لا بأس ، وموعدنا الساعة الثامنة صباحاً » .

ثم اتصلت بوزير الخارجية وقلت له : « إنهم جميعاً يرتدون ملابسهم العسكرية ، وهم يريدون أن ينزلوا المدينة ، ولا أدرى ماذا أفعل » فقال لى : « دعهم ينزلون »

وفى إبريل كنا جميعاً نرتدى ملابسنا العسكرية ، ولو كنا هاجمنا النرويج وقتئذ لاشترك معنا السويديون . وقد أنقذ حرس الحدود السويديون كثيراً من النرويجيين الهاربين الذين كان الألمان يتعقبونهم ، وأطعموهم وأرشدوهم كيف يفعلون . وحدث ذات مرة أن جُرح أحد أعواننا والألمان يطاردونه ، فراقبه السويديون فإذا به يرمى بنفسه على الأرض فيطلق الرصاص على الألمان ، ثم ينهض فيعدو ، ثم ينبطح أخرى فيطلق

الرصاص ليصدّ مطارديه عنه قليلا ، ولما صار على بعد نصف ميل من الحدود أصابه جرح فلم يقو على العدْو .

وبلغ ذلك من نفوس السويديين ولم يطيقوه ، فاجتاز بعض الحرس الحدود وأنقذوا الهارب من الألمان بالقوة وأجاروه ، فقدم الألمان احتجاجاً إلى القائد فلم يحفل شيئاً بهذا الاحتجاج .

وفي أثناء احتلال الألمان للنرويج كانت قوافل السيارات تقطع السويد في جميع الطرق ، وكان من السهل على رجال المقاومة أن يدسوا في بعض هذه القوافل سيارتين أو ثلاث سيارات خاليات ، ثم تتخلف تلك السيارات عند مكان معين وتحل محلها أخرى غاصة باللاجئين عليها أغطية من المشمع . وكل ما كان يفعله الألمان هو أن يحصوا عدد السيارات . وأظن أننا لم نفقد غير ثلاث سيارات منها طول مدة الحرب .

كان عمل الطائرات السويدية المكلفة بمراقبة الحدود الشمالية أقرب إلى أن يكون إنقاذ اللاجئين ، فإن الألمان حين اضطروا للتقهقر مرتدين في شمال النرويج في شتاء ١٩٤٤ — ١٩٤٥ حملوا معهم العمال الروس المسخرين وبعض النرويجيين والإسكيمو ، فكان يفر منهم إلى الحدود السويدية عدد غفير .

وكان اللاجئون في بعض الأحيان يعجزون عن مواصلة فرارهم ، فيسقطون من الإعياء في المنطقة التي يحتلها الألمان ، وقد جمدت أقدامهم وسيقانهم من شدة البرد . فكانت طائرات المراقبة السويدية تلمح مئات منهم ، فيهبط الطيار إلى الأرض لينتشلهم أو يدل حرس الحدود عليهم . وقد أنقذت طائرات الإسعاف السويدية من الأرواح أكثر مما يبلغه علمنا .

وقد فر إلى السويد أثناء الحرب ٦٠ ألف نرويجي على الأقل ، تاركين وراءهم كل ما يملكون ، وكانوا يسجلون أسماءهم في المفوضية النرويجية باستوكهلم ، ثم يذهبون إلى كيستر في قلب السويد . وقد اختيرت من بينهم قوة نرويجية هائلة تولى تدريبها ضباط سويديون ونرويجيون ليشتركوا في الهجوم الأخير على النرويج . ولم تكد تأتي سنة ١٩٤٥ حتى بلغ عدد هذه القوات المدربة ١٥٫٥٠٠ جندي ، وكان كل عتادهم ومؤنهم يأتيهم من الجيش السويدي .

وقد أوى إلى السويد ما يقرب من ٢٥٠ ألف نسمة من الهاربين خوفا من السخرة ومن القتل ، من أهل النرويج والدنمرك وإستونيا ولاتفيا ولتوانيا . ولقد امتدت معونة السويديين إلى خارج بلادهم أيضاً ، فكانوا يطعمون كل يوم في أوسلو

وحدها ٥٠٠٠٠٠ من أطفال المدارس فى السنوات الأخيرة لاحتلال الألمان . وكان الصليب الأحمر السويدى يتولى إطعام ٧٠٠٠٠ طفل كلّ يوم فى فنلندة .

ومن أغرب المعونات التى أسدتها السويد المحايدة، تسليمها لإنجلترا أول قنبلة صاروخية لم تنفجر . وقد بدأ إلقاء هذه القنابل على لندن فى أكتوبر ١٩٤٤ . وفى يولية سنة ١٩٤٤ اتصلت بى حكومة لندن طالبة منى أن أنقل بعض صناديق كبيرة من استوكهلم ، مجموع وزنها طنان ونصف طن أما ما فى هذه الصناديق فكان سراً مكتماً .

فطار البكباشى كيث ألن إلى السويد فى طائرة قديمة غير مسلحة، وحمل الصناديق الثقيلة وقفل راجعاً إلى مقرنا فى شرق أسكتلندة، ثم قدت أنا هذه الطائرة إلى أكبر مطار لاختبار الطائرات فى إنجلترا، وسلمت الصناديق للأستاذ ألكسندر الذى أيد ظنى فى أنها قنبلة صاروخية أزيل دبوس تفجيرها وكانت قد وقعت فى السويد أثناء تجربة قذفها .

ويتبين من السجلات أننا أنزلنا من الطائرات على النرويج ١٤٤٢ رجلا و ١٢٠ طناً من المؤن ، وقمنا بسبع وستين مهمة جوية نجحت منها ٤١ مهمة ، أما البقية فلم تنجح لرداءة الجو .

وحدث فى اليوم الذى طرنا فيه لإلقاء المؤن على النرويج لأول مرة أن زارنا الملك هاكون وولى عهده ، ليستعرضا الطيران النرويجى . وكان مجلسى بجوار ولى العهد فى مأدبة العشاء ، فذكرت له مهمتنا فى تلك الليلة ، وسألته هل يحب أن يكتب كلمة إلى مواطنيه وقد فعل ، وكذلك الملك . وأرفقت بها كلمة بينت فيها كيف صارت إلى الرسالتان . فلما أردت أن أقوم استأذنت الملك فغمز لى بعينه.

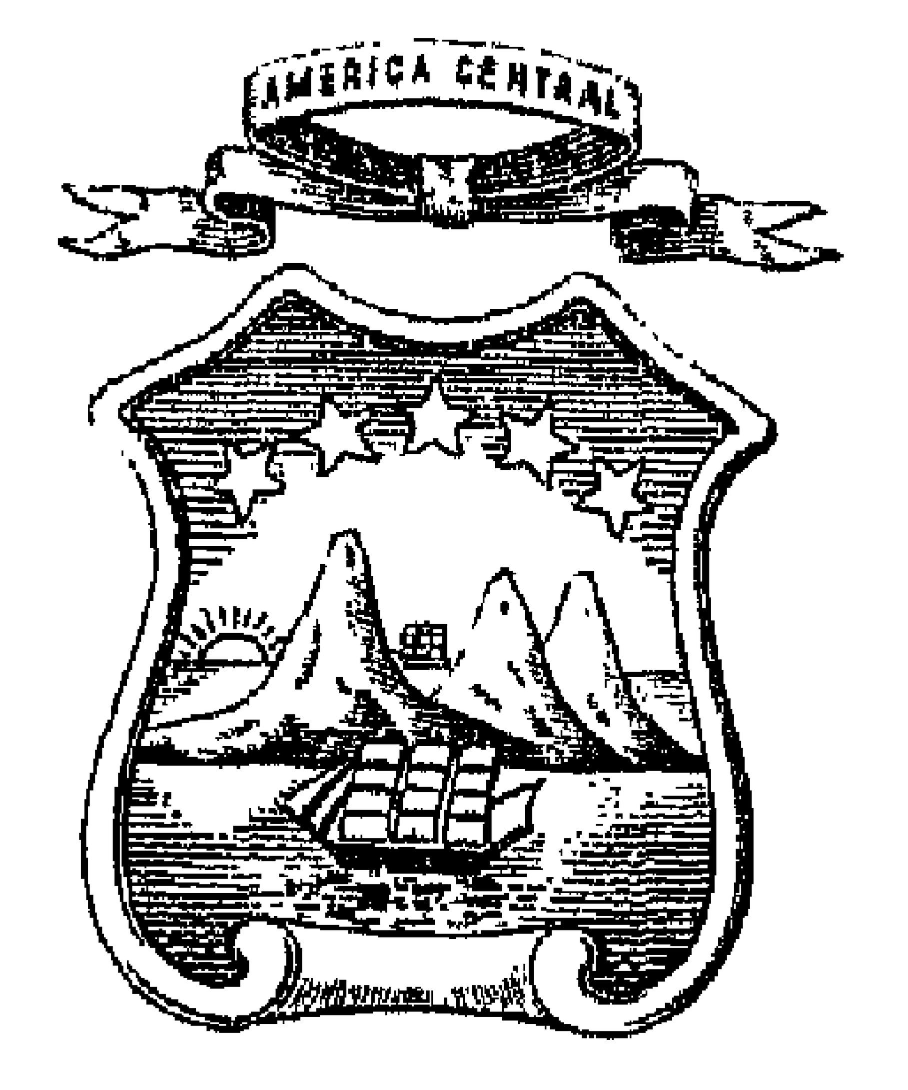
وفى الساعة العاشرة من صباح اليوم التالى زارنا الملك وولى عهده وقائد سلاح الطيران النرويجى ، فلما أديت التحية للملك بادرنى قائلا : « ماذا فعلت ؟ »

فقلت : «لقد بلغت الرسائل يامولاى».

فأومأ برأسه وقال : « لا يمكن أن أتصور ذلك ، لقد تناولنا طعام العشاء معاً ليلة أمس ، فما لبثت بعدئذ أن ذهبت إلى النرويج ، وها أنت قد عدت» .

وفى أثناء الطعام أقبل ساع يحمل رسالة تقول: « وصل كل شىء ، وكذلك الرسالة شكراً لكم » ، فقدمت الرسالة للملك فجعل يحدّق فيها مليًّا كالمتعجب .

رجل فرد متوقد البصيرة ، يمهد الطريق لنهضة أمته



رجل يعلم شعباً

ميكل سكالى

مختصرة من مجلة "ذى إنتر أميركان"

تكتنف جمهورية كوستاريكا القائمة فى أمريكا الوسطى بلاد تعتورها الحروب الأهلية والحكومات الدكتاتورية فى الحين بعد الحين ، بيد أن هذه الجمهورية مافتئت منذ أجيال ماضية على نهجها ، تعنى بمزارع بُنّها المنتشرة خضراً وحمراً فى أرضها كمربعات رقعة الشطرنج . وهى لاتبالى إلا بما يعنيها . وهى تعرف ما الحريات الأربع وتمارسها . أما حرية التعبير ، فإن فى صحافتها واجتماعاتها العامة متنفَّساً للمناقشة الحادة فى أى موضوع . وأما حرية الدين ، فإنها بلد سواد أهله من الكاثوليك ، غير أن حكومته ترعى رعاية دقيقة حقوق أهل المذاهب الأخرى جميعاً . وأما التحرّر من العوز ، فلست تجد فيها ثروات ضخمة ، وتكاد لا ترى فيها فاقة أو خصاصة . وأما التحرّر من الخوف ، فإن جيشها الصغير ليس سوى رمز لسيادتها ، ويدير شئونه رجل من غير أهل الحرب يعرف باسم «وزير الأمن العام» لا باسم «وزير الحربية» .

وقد لجأ إليها آلوف من مشرّدى السياسة جاؤوها من شتى أمم الأرض، ولكن لست تجد من أبنائها هى مشرّدين سياسيين .

وجمهورية كوستاريكا تحتقر مظاهر الأبهة والفخامة ، ودار برلمانها أدنى شبهاً بدار مجلس بلدى . ورئيسها الشاب بيكادو كان محامياً ومدرساً ، وهو يقطن داراً من أوساط الدور . غير أن أهلها قد أشربت قلوبهم حب الثقافة والتخلّق بأخلاق المواطن الصالح . وعاصمتها سان جوزيه بصفوف منازلها الصغيرة الزاهية بالألوان ، مدينة أنيقة جميلة ، وتختلط فى شوارعها السيارات الفخمة بعربات زُيّنت برسوم بهيجة تجرّها ثيران تتدلى الأزهار من أعناقها . ومفخرة سكانها ، الذين يبلغون تسعين ألفاً ، هى المسرح القومى الذى يعد درّة من الدرر ، ويضم فرقة للموسيقى الرفيعة تزهى بها مدينة عظيمة . وتصدر فيها خمس صحف يومية أو ست ، ومجلة فذة تدعى « إلريبا تورتيو أمريكانو » يمتدّ نطاق

أثرها الثقافى الحر إلى قراء الإسبانية فى شق العالم الغربى .

وأعجب ما فى كوستاريكا أن كل هذا قد صدر عن الشعب ، وقد بدرت بوادره فى أحوال تثبط الهمم . وقد كانت كوستاريكا فى القرون الثلاثة الأولى من تاريخها تعانى الفقر ، وتكابد بلاء الصراع بين أهلها . وكان فيها جامعة صغيرة تخرّج كل سنة فئة قليلة من المحامين والقسيسين والشعراء ، ولكن الذين يعرفون القراءة كانوا دون عشرة فى المئة . وقد ظل تسعون فى المئة من الشعب أمياً حتى العقد السابع من القرن الماضى — فكانوا نهباً سائغاً للمختالين من رجال السياسة والمغامرين من رجال الحرب.

ثم قام فيهم رجل تتّقد بين جوانحه عقيدة راسخة بأن « الديمقراطية لن تقوم لها قائمة بغير أفراد من المواطنين يحسنون الإدراك والفهم ، وهذا شىء لا يمكن أن ينشّأوا عليه إلا فى المدارس » . وكذلك خرج فى سنة ١٨٨٥ رجل رضىّ الطلعة قوى العزم ، يدعى « مورو فرنانادز» ليعلم الشعب — الشعب بأسره . وقد كان من أثر الحرب التى شنها على الجهل ، أن باتت كوستاريكا اليوم أكثر بلاد المناطق الحارة تعلماً وأقلها أمية ، فهى تسبق إسبانيا وإيطاليا واليونان ودولاً كثيرة من دول أوربا الجنوبيـة . وهى تخصص نحو خمس ميزانيتها للتعليم ، وتنفق ٨٤ ٪ من هذا المبلغ على أعجب نظام للمدارس الابتدائية فى العالم قاطبة . ففى أرض مساحتها نصف مساحة تونس، تجد ٨٥٠ مدرسة يقوم عليها ٨٥٠٠ من المدرسين ، ويتلقى العلم فيها ٨٠٠٠٠ من الأطفال . و ٩٠ ٪ من هذه المدارس مباحة للناس جميعاً مجاناً .

ويوم ولد مورو فى سنة ١٨٤٣ لم يكن فى البلاد سوى عشرات من النساء يعرفن القراءة والكتابة ، منهن أمه مرسيديس ده فرنانادز ، فقد مات عنها زوجها ولم يخلف لها شيئاً سوى ثلاثة أطفال — ابنتين وولد . فزاولت التدريس والخياطة ، وقترت على نفسها لتدخر ما تستطيع حتى تتيح لابنها مورو نُتَفاً من التعليم . فلما بلغ السادسة عشرة كان يشغل وظيفة كاتب فى الحكومة ، ويعلم أطفال الجيرة ، ويدأب على تلقى الأدب والموسيقى من والدته . وأعظم شأناً من ذلك كله أنه قضى ليالى كثيرة مع محام بريطانى شاب يعلمه الإسبانية ويلتقط منه الإنجليزية ومبادىء القانون .

وقد أدرك مورو السادسة والعشرين قبل أن يظفر بإقناع الجامعة بأنه نهل من المعارف ما يؤهله للحصول على درجة فى القانون . وقد كان يومئذ معاونا لأحد

الوزراء، وربما كان أحسن شباب كوستاريكا تمرساً بالأعمال ومرانة عليها . ونشأته فى دواوين الحكومة علمته أن فئة قليلة من الرجال تستطيع أن تتلاعب بالجماهير الأمية وفقا لأهوائها ، وأن الشعب يعانى من جراء جهالته الشدائد — اضطراب الأمن والفقر والمنازعات الدامية . وقد قضى مورو بفضل صديقه الإنجليزى سنة فى مكتب محام فى لندن ، وتبين كيف تكون الديمقراطية فى هيئات الأمة : من المدرسة إلى مجلس النواب . ثم عاد وقد عزم على أن يوطد لمبادىء الديمقراطية الصحيحة فى بلاده .

وكان لا بدَّ لهُ من عزيمة ماضية ، فقد كان ضئيل البدن نحيلاً سقيماً . فقد عجزت يده اليمنى من جراءِ شلل أصابها قبل أن يبلغ الثلاثين، فتعلم كيف يكتب بيده اليسرى . ومضى قدماً فى حياة جمعت بين القانون والسياسة والتجارة ، فلما بلغ الثانية والأربعين من عمره كان قد حصّل من المال ما يغنيه ، وأصبح موضع ثقة الناس فى كوستاريكا . ولقد حثه أصحابهُ على أن يسعى إلى رياسة الجمهورية ، غير أن مآربهُ السياسية لم يكن لها سوى هدفٍ واحد : أن يساعد صديقه برناردو سوتو حتى يصبح رئيس الجمهورية ، فلما تمّ ذلك كوفىء مورو بأن قلد منصب وزير المعارف .

فشرع يصلح ما كان يسميه الناس تجوّزاً نظام التعليم . فقد كان مفروضاً أن فى كوستاريكا مئة مدرسة مختلفة الأنواع ، بيد أن بعضها لم يكن له وجود إلا على الورق ، أما مبانيها الخاوية فقد استأجرتها الحكومة من السياسيين المحتالين، وقد أغلق بعض هذه المدارس لأن مالها قد نفد . أما المدرّسون الذين كانت تعوزهم الدّربة وينالون أزهد الأجور ، فقد انطلقوا يلتمسون لأنفسهم أعمالا تعينهم على العيش . ولم يكن حضور الدروس فرضاً لازماً ، وكان هذا النظام السقيم المضطرب لا يشمل سوى ربع السكان، وكان نصف اعتمادات التعليم ينفق على مدرستين ثانويتين وعلى الجامعة ، ولم يكن فيها جميعاً سوى ٢٤٠ طالباً .

وكان مورو يدرك أن الوسائل الناقصة لا تثمر ، فعزم على أن يضع نظاما جديداً شاملا للتعليم ، يكلف الدولة خمسة أضعاف المقرّر للتعليم فى ميزانيتها . ثم تقدم إلى الكونجرس وحمل حملة شعواء على النفاق الشائع بين الناس : إنهم يزعمون أن كوستاريكا دولة ديمقراطية، ومع ذلك فإنها تنكر على الناس حق تعليمهم أصول التربية الوطنية . قال : « والتربية الوطنية عمادها أن يعرف المرء نظم بلاده ، وأن يعرف

العامل كرامته وللعمل قيمته » وهذه أشياء ينبغى أن تتولى المدرسة تعليمها .

وقد أقنع منطقه الواضح الحاسم كثيراً من الذين كانوا قانعين بالنظام القديم ، وتجرّأ فأدخل فى هذا البلد المنعزل الصغير مايعدّ أروع إصلاح للتعليم فى ذلك العهد .

فكان أول ما فعل أن ألغى الجامعة ، وكان رأيه أن الدولة لا تستطيع أن تنفق على هذا الضرب من الترف الغالى ، وتتولى فى الوقت نفسه الإنفاق على إنشاء نظام لتعليم الشعب كافة . فإن الشبان الذين يرغبون فى دراسة الآداب والفنون العالية ، لهم من الثروة مايعينهم على السفر إلى الخارج فى طلب مايبتغون . وبذلك يتاح لهم أن يعودوا إلى بلادهم مزوّدين بما ينفع بلادهم من الآراء والأفكار .

وكان أهم ماتتطلبه كوستاريكا هو المعلمين ، فأنشأ مدارس للمعلمين والمعلمات ، وأرسل صديقاً له إلى سويسرا ليستحضر الذين يتولون التعليم فى هذه المدارس . وقد اختار سويسرا لما أثر عنها من آراء جديدة صالحة فى التعليم ، ولأن مساحتها وموقعها الجغرافى يجعلان ماتواجهه من مشكلات التعليم شبيهاً بما تواجهه كوستاريكا . وقد اصطفى موروخمسين فتى وفتاة بعد اختبارهم ليدرّبوا على نفقة الدولة ، ثم ليكونوا نواة هيئة المدرسين الجديدة .

ثم أنشأ مدرسة ابتدائية نموذجية ، حيث يتعلم فيها صفوة من المعلمين القدماء أساليب التعليم الجديدة ، بالملاحظة وبالممارسة . وأصدر مجلة للمعلمين اسمها « المعلم » تنقل آراء أعظم رجال التعليم فى العالم ، وزاد مرتبات المعلمين ، ووضع نظاما لمعاشاتهم ومكافآتهم عند مرضهم ، فكان أول نظام من نوعه فى أمريكا اللاتينية ، فكان من أثره أن أدخل الطمأنينة على نفوس رجال التعليم .

وزاد عدد المدارس الابتدائية ضعفين أو أكثر ، وجعل التعليم إجبارياً ، وسن قانونا جديداً يحظر تسخير الأطفال فى الأعمال فى ساعات الدراسة . وسنّ قوانين أخرى لتزويد الطلبة الفقراء بالكتب مجانا ، وجعل الفحص الطبى والتطعيم حتما على الجميع . وأدخل فى المدارس الثانوية تدريس العلوم والدراسات الفنية واللغة الإنجليزية ، ليخرّج رجالا تحتاج إليهم البلاد فى نهضتها ورخائها .

وأعظم ماتم على يديه هو منهاج المدارس الابتدائية ، وكان أعظم ما جعله كذلك مافيه من حرص على تربية الأطفال على الدقة فى العمل والسعة فى التخيّل . وقد ألغى الرياضة المملة ، وجعل كل ساعة من ساعات الدراسة حافلة بالمغامرة والمنافسة . ففى تعليم الجغرافيا مثلا يبدأ الطفل بأن يرتاد مدرسته وبيته والطريق الذى بينهما ويصف ذلك كله ، ثم

يجول مستكشفاً نواحي المدينـة مستطلعاً مصانعها ومتاجرها ومنشآت ضوئها ومائها، يتبين كيف يختار موظفوها وكيف تدفع لهم أجورهم .

ثم يرسم خريطة كوستاريكا بما فيها من نجود يزرع فيها البن ، ومن مناطق على الساحل تزرع فيها أشجار الفاكهة وقصب السكر، ومن طرق تفضى إلى أسواقها. ثم يرسم قناة بناما ويعين الطرق التي تسير فيها حاصلات بلده إلى سائر بلاد العالم. ثم يدرس بعد ذلك تلك البلاد ، ويجمع فى دفاتر خاصة قصاصات من الصحف والمجلات التي تصور له أساليب الحياة فيها . فلا تكاد تنقضى سنوات على ممارسته هـذا اللهو المحبب ، حتى يكون الطفل قد استوعب من علوم الاقتصاد والسياسة ما يؤهله أن يكون مواطناً نافعاً .

وعلى هذا المنهاج الخلاب نفسه يجرى تعليم التاريخ ووظائف الأعضاء والرياضيات أيضاً، ويلعب الطفل من الألعاب ما يتضمن كثيراً من مسائل الضرائب والمعاملات المالية والتجارية . وأما البنات فلا يتعلمن الطبخ والخياطة وحسب ، بل يخرجن إلى الأسواق فيشترين حاجاتهن ويقدمن تقريراً يذكرن فيه ثمن كل شيء وسبب رخصه أو غلائه .

وقد كان رأى مورو « أن التربية ينبغى أن لا تكون مقصورة على المدرسة»، فأنشأ أول دار عامة للكتب وأهدى إليها طائفة من كتبه الخاصة ، وأسس متحفاً حيث يستطيع كل من يعرف القراءة أن يظفر بما يريد من تاريخ كوستاريكا وجغرافيتها ومواردها . وقد تفرع من دار الكتب التي أنشأها فى سان جوزيه، ٢٠٠ دار أخرى يقبل الناس عليها إقبالا شديداً .

فلما مات هـذا الرجل النحيل فى سنة ١٩٠٥، خلـف وراءه شعباً ٦٠ ./. منه يجيدون القراءة والكتابة ، يقابلهم فى زمن حداثته ١٠ ./. ، وقد بلغت النسبة الآن ٨٥ ./. . وفى كوستاريكا اليوم ١٢ مدرسة ثانوية ممتازة ، وقد عنيت الدولة بتأسيس مدارس للعلوم ، والهندسـة ، والفلسفة ، والآداب ، والاقتصاد ، وطب الأسنان ، طبقاً لما تحتاج إليه البلاد . وفى سنة ١٩٤١ ضمت هـذه المدارس وصارت جامعة من الطراز الحديث .

وليس فى وسع رجل فرد أو جماعة من الناس أن يستغلوا غفلة شعب حسن الإدراك والفهم . وكوستاريكا اليوم تحسن إدراك مشكلاتها العامة والخاصة ، وقد كان هذا مرمى مورو يوم شرع منذ ٦٠ سنة مضت فى أن يهيء لقومه بالتعليم استقراراً وطيداً وحياة رخيـة وثقافة نامية .

خطة تتيح للعامل « فرصة للمغامرة والربح » فى نطاق النظام الرأسمالى

"ينبغى أن يكون للعمال نصيب فى النظام الرأسمالى"

اريك جونستون
مختصرة من مجلة "نيويورك تايمز"

المذهب الاشتراكى بأنْ يعملَ **يقضى** كلُّ فردٍ للدولة، فينال مقابل ذلك ضماناً يوقّيه نوائب الحياة، أو هذا هو الرأى على الأقل. فالدولة هى السيّد الدائم المطاع، والفرد خادمها الراضى المقيم على الولاء لها.

أما المذهب الرأسمالىّ فيقضى بأن كلّ رجل حرّ يتصرف كما يشاء وإن كان أجيراً لرجل آخر أو لشركة، وليس لأحد أن يفرض عليه عملا يعمله أو يحدد له زمن قيامه بذلك العمل. وليس لأحد أن يمنع عاملا مأجوراً أن يصير صاحب عمل يستأجر عمالا، أو هذا هو الرأى على الأقل.

وتجد الناس فى أمريكا التى بلغت فيها الرأسمالية أوج ازدهارها، يؤكد بعضهم لبعض أنهم يؤمنون بهذا النظام بكل قلوبهم، غير أنهم يدركون أن نظامهم هذا بعيد عن الكمال، وفيه من العيوب ما يفسح المجال لأقلية صاخبة أن تطعن مواطن الضعف الحساسة فى جسم الرأسمالية طعناً قويا. وهذا يخيف أنصارها، فتراهم يخشون أن يردوا على الطعن بمثله. وترى أمم العالم قاطبة ماضية إلى الاشتراكية لاتلوى على شيء.

وإذن فقد آن الأوان للذين يؤمنون منا بالنظام الرأسمالى، أن يحرصوا على تأييده دون خوف أو وجل. وما كنا حتى اليوم إلا متريّثين دفاعاً عنها.

وإذا كان النظام الرأسمالى ينطوى على نهج للعمل الخاص الحر، فلا يجوز لنا أن نتطلع إلى الحكومة لكى تمسك عليه رمقه وتمهد له الحياة والنماء — فهذا طريق يفضى إلى سيطرة الدولة على الاقتصاد القومى.

وإذا كان النظام الرأسمالى ينطوى على أن الفرد سيّده كامل الحرية، فيتعين علينا أن نضمن أن هذه الحرية الكاملة ليست مزية خاصة يتمتع بها أفراد قلائل، بل مزية يتمتع بها جميع الناس. وينبغى أن تكون المنافع عامة أيضاً كحرية العمل.

ونحن نقول إن المنهج الرأسمالى يتيح لكل امرىء فرصة للإقدام على المغامرة والربح، غير أن الحقيقة المريرة الغالبة اليوم

هى أنه ليس فى وسع كل امرىء أن يُقدم ، وليس لكل امرىء نصيب كامل فى الربح الذى يثمره نظام الأرباح .

إن الرجل من أوساط العمال فى جماعة رأسمالية ، يحز فى نفسه اليوم أنه لايستطيع أن يقدم غير هيّاب للعواقب ، فهو يعلم أنه يعيش فى جماعة رأسمالية ، ولكنه لايحس أنه عضو فيها ، وليس له ما يعتمد عليه إلا أجره المحدود . فإذا ساءت الحال أصبح الأجر شيئاً غيرمضمون . وهو يعمل لقاء أجرمعين ، وليس له أن يتطلع إلا إلى هذا الأجر. فلا يجد فى عمله مايحرك همته ويثير حب المغامرة فى نفسه . ولما كان قد عَدِم كلّ فرصة تتيح له أن يجنى من هذا النظام شيئاً يضاف إلى أجره ، تراه لايحس بأن هناك آصرة تجمع بينه وبين هذا النظام.

ومن الواضح أنه ليس فى وسع جميع الناس أن يملكوا عملا يديرونه بأنفسهم ، ولكنّ هذا لايمنع أن يكون لكل امرىء حق فى نصيب من منافع هذا النظام . فإذا كانوا عاجزين عن أن ينشئوا أعمالهم الخاصة، فينبغى أن تتاح لهم فرصة لمشاركة أصحاب الأعمال الذين يستأجرونهم ، وأن يكون لهم نصيب من الربح إن وجد .

•

وقد حاولت أربع شركات لى يدٌ فى إدارتها ، أن تفعل هذا منذ زمن طويل ، فخلصنا أخيراً إلى الاعتقاد بأننا خليقون بتحقيق ما نصبو إليه ، إذا أخذنا بمبدأ توزيع قسط من الربح على العمال ، وبمبدأ إشراكهم فى الإدارة ، فيحسون أن العمل عملهم هم ، لا عمل جماعة غريبة عنهم .

وقد أردنا أن تصبح أعمالنا « أعمالا مشتركة » تتحد فيها مصلحة العامل ومصلحة صاحب العمل فتصيران مصلحة واحدة . وقد أردنا أيضاً أن يشترك معنا عمّالنا فى تقرير ما يجوز أن نُقدم عليه ، وتعيين نصيبهم من الربح إذا أصبنا نجاحا فيما نقدم عليه . والترحيب بمشورة العمال ومقترحاتهم لايعنى أن مجلس الإدارة تخلى عن حقه فى إدارة العمل . وقد كان رأينا أن الحكم الأخيرمن حقه هو، ولكن الآراء الجديدة النافعة ليست احتكاراً للمجلس ، وهذه الآراء هى أغلى الدّرر وأنفسها فى جميع الأعمال .

وليس منهجنا هذا ضربا من الإحسان ، فنحن نرى أن الأخذ بمبادىء توزيع قسط من الربح على العمال ومشاركتهم فى الإدارة ، أمر نافع مطابق لحقيقة الأحوال ، وتقتضيه مصلحة العمل نفسه . ونحن لا نزعم أن منهجنا حل تام لمشكلة النزاع بين العمال وأصحاب المصانع ، ولا هو رأى جديد . وقد

مضت سنوات وأهل التجديد من رجال الأعمال يسعون إلى إشراك عمالهم فى دراسة مشكلات العمال ، وإعطائهم نصيباً عادلا من ثماره . وإنما نحن نتوسل بوسائل خاصة بنا لتحقيق هذا الغرض فى شركاتنا ، ونظن أن منهجنا يخفف سورة الجفاء التى تسود علاقات العمال بأصحاب العمل . بيد أننا نعلم أن التوفيق يخطىء هذا المنهج، إذا لم يعن رجال الإدارة أشد عناية بصنع بضائع جيدة تعود بربح وفير .

وقد أنبأنا عمالنا أن توزيع قسط من الربح عليهم لايقصد به أن يكون بديلا من المرتبات الحسنة والأجور العادلة. وأما القسط من الربح فهو جزاء مايسديه العمال من يد فى نجاح العمل . ومنهجنا قائم على أن نوزع على عمالنا ٢٥ ٪ من الربح الصافى قبل خصم الضرائب وأرباح المساهمين ، وننوى أن ندفعه لهم جملة واحدة مرة فى السنة . وقد وضعنا خطة محكمة حتى ينال كل نصيبه العادل وفقاً لطول خدمته ، ولما يحمله من تبعات ، وهكذا . والمبدأ الذى نجرى عليه هو هذا : أن يتبين العامل الصلة الوثيقة المباشرة بين ماينتجه وبين نصيبه من الربح .

وثمة وسائل أخرى للحث على الإنتاج : كتوزيع الأسهم ، والمكافأة عن زيادة الإنتاج ، والجوائز التى تمنح للمتفوقين ، ولكنها جميعاً ترمى إلى هدف واحد .

وربح الشركات إنما يزداد إذا أحسنت الإدارة عملها ، وإحسان الإدارة يقتضى أن تنتفع بآراء كل رجل يضمه العمل . ونحن نظن أن خير وسيلة لتحقيق ذلك هى مانسميه « المشاركة فى الإدارة » . ففى كل شركة « مجلس إدارة صغير » مؤلف من سبعة أعضاء يمثلون أقسام الشركة : المكتب ، وقسم البيع، وجماعة عمال المصنع، وهكذا . وأعضاء المجلس الأول يعينون تعييناً ، ثم يكون لهم وحدهم بعدئذ أن ينتخبوا الأعضاء الجدد ، وقد يحل عضوان مكان عضوين كل ستة أشهر ، وقد لا يتم ذلك ، فهذا رهن بمشيئة المجلس وحده . ولا يجوز لكبار المديرين وأعضاء مجلس الإدارة الأعلى أن يكونوا أعضاء فى هذا المجلس .

والمجلس الصغير يحقق غرضين نافعين : فهو يقترح مايرى لتحسين العمل ، ثم هو ميدان يتدرب فيه الرجال ليشغلوا مناصب المديرين العالية ، أو ليكونوا أعضاء فى مجلس الإدارة الأعلى .

وهذه الخطة لا تعارض خطة لجان اتحاد العمال التى تمثل عمال الاتحاد فى شركاتنا ، ولا تؤثر فى صلة تلك اللجان بالإدارة .

إن طموح المرء إلى الارتقاء والاتقان ،

هو الدم الجارى فى شرايين النظام الرأسمالى. والخير العام معقود بناصية هــذا الطموح وتحويله إلى عمل نافع . وسوف يتنافس النظام الرأسمالى والنظام الاشتراكى فى العالم قاطبة للظفر بالتأييد والمناصرة . وكلاهما فى دور تجربة واختبار ، ولن يعقد النصر فى آخر الأمر إلا للنظام الذى يكفل أكبر قدر من الخير لأعظم عدد من الناس .

غلبة الوهم

كان المؤلف الموسيقى موريس راڤل ، كلِفاً باقتناء الكتب والصور النادرة، والآنيــة المصنوعة من الخزف النفيس ، وغيرها من التحف . وكان فى مكتبه قاعدة أقام عليها أنفس ذخائره — كرة من البلور الداخن ، وكان لا ينى عن المفاخرة بها حين يزوره زائر من خُلصائه

وكان الزوار يهمسون همس المحتفل المعجب: « أين وقفت عليها ياموريس؟ إنها بديعة !» . فيقول موريس متكلفاً الوقار : « أتظن حقاً أنها بديعة ؟ الحقيقة أنها زجاج مصباح كهربائى محترق » .

[ا . ا . إدجار]

همسة فى مسرح !

فى عهد الملكة ڤيكتوريا ذهبت سارة برنار ، الممثلة الفرنسية العظيمة ، إلى لنــدن حيث مثلت دور كليوباترة على أحد مسارحها . وقد تجــلى فن برنار فى ذات ليلة ، فمثلت دور الملكة المصرية المتلهبة أبدع تمثيل وأصــدقه ، وحين جاءها الخادم بنبأ هزيمة أنطونيو ، طعنته . ثم ثارت ثائرتها فصارت تهرف ، ومضت تحطم كلّ ما تصل إليه يدها من رياش القصر، ثم هوت كومة إنسانية بين الأنقاض حين نزل الستار . وفى أثناءِ سكون قليــل تخلل عاصفة الهتاف والتصفيق ، سمعت سيدة إنجليزية عجوز وهى تقول لصاحبتها قولا ينم على الرضى: « ما أعظم الفرق ! ما أعظم الفرق بين حياة كليوباترة وحياة مليكتنا العزيزة ! »

[صحيفة كرستيان سينس مونيتور]

« تهاويل القنبلة الذرية . . . » « لقد جمح الخيال » هكذا كتب ده سيفرسكى فى وصف ما كان للقنبلة الجديدة من وقع فى نفوس الناس . وإليك ما يقوله كبار الخبراء فى الرد عليه :

لو ألقيت قنبلة ذرّيّة على مدينة نيويورك

روبرت ليستل

ماذا يحدث لو أخذتَ إحدى القنبلتين الذريتين اللتين ألقيتا على اليابان ، وقذفتها على مدينة نيويورك ، أو على كبرى ناطحات السحاب فيها على التخصيص ؟

وجهت هذا السؤال إلى الجنرال توماس فاريل ، الذى كان وكيلا لمشروع صنع القنابل الذرية ، ثم عهدت إليه الحكومة أن يفحص الدمار الذى حاق بمدينتى هيروشيما ونجازا كى ، فقال :

« إذا أحكم تفجيرها نسفت ناطحة السحاب « إمپير ستيت » ، وجعلتها هباءً منثوراً . وقد يبقى منها بضع طبقات فوق سطح الأرض ، ولكنها تكون غير صالحة للسكن . ولو فجرت حيث ينبغى أن تفجر ، لصدمت الجزء الأعلى وألقته على الأرض . وليس بين القنابل الكبيرة التى سبقت القنابل الذرية ، قنبلة تستطيع أن تفعل شيئاً من هذا مهما بلغت ضخامتها .

وقد تولى فريق كبير من خبراء العلم والطب والحرب ، فحص الخراب الذى حاق بمدينتى هيروشيما ونجزا كى ، فظلوا شهرين يسألون الشهود ، ويقيسون المسافات ، ويصوّرون الصور . وهم يستطيعون ، استناداً إلى بحوثهم الوافية ، أن يقدروا تقديراً دقيقاً ما يحتمل أن يحدث فى مدن أخرى ، لو ألقيت عليها قنبلة ذرية .

والخبراء مجمعون على مخالفة رأى ده سيفرسكى* حيث يقول : إنه لو ألقيت إحداها على نيويورك أو شيكاغو لما زاد ما تحدثه من التدمير وما تقتله من الناس ، على ما تفعله قنبلة من ناسفات الربوع زنتها عشرة أطنان .

وهم يعتقدون أن مقالة ده سيفرسكى

* تهاويل القنبلة الذرية : المختار ، أبريل ١٩٤٥ ص ٨

تهوّن خطر القنابل الذرية ، وتملأ القلوب طمأنينة كاذبة فى هذه الأوقات الحرجة .

أما القنبلتان الذريتان اللتان ألقيتا على هيروشيما ونجازاكى فقد فجرتا قصداً على ارتفاع كبير ، لكى تشمل موجة الضغط الناشئة عن التفجر أوسع مساحة ممكنة .

وكان مركز الانفجار على نحو ألفى قدم فوق سطح الأرض ، أما رقم الارتفاع الحقيقى فلا يزال سرًّا . وعلى أن مركز الانفجار كان على هـذا البعد من سطح الأرض، فقد دُمرت مبانٍ مشيدة بالأبرق (الأسمنت المسلح) تدميراً تامًّا ، وكان منها مبنى سجن تبلغ كثافة جدرانه ثمانى بوصات . وعلى بعد قليل منها كانت مبانٍ أخرى مشـيدة بالأبرق ،فدمرت طبقاتها العليا . وأما المبانى المتعددة الطبقات المشيدة بالطوب ، فقـد سويت بالأرض فى دائرة نصف قطرها ميل ونصف ميل ، أو نحو ذلك . وفى مدينة نجازاكى حمل الضّغط مداخن المصـانع ، أو صـدعها ، أو قلبها فى دائرة نصف قطرها أربعة آلاف قدم . وقد انهارت بعض الثكنات على مسافة أربعة أميـال ونصـف ميـل من المركز . وقد تحطم عشر الزجاج على بعد سبعة أميال ، وتحطم بعضـه على مسافة ١٢ ميلا .

وحين نرفع عيوننا إلى أبراج المبانى فى مدينة غربية ، يسهل علينا أن نظن أنها أمنع من مدن اليابانيين الواهية ، ويسهل أن ننسى أن تسعة أعشار المدن العظيمة ، أو أكثر من تسعة أعشارها ، مؤلفة من مبان منخفضة مشيدة بالطوب أو الحجارة أو الخشب ، وأنها ليست أمتن كثيراً من المبانى التى انهارت فى هيروشيما ونجازاكى .

والجنرال فاريل مهندس ممتاز ، فلما سألته أن يتوسع فى وصف ما يحتمل حدوثه فى نيويورك لو ألقيت عليها قنبلة ذرية قال : « إذا فجرت قنبلة ذرية واحدة على الارتفاع المطلوب، فوق أمثل حى فى مدينة نيويورك، لشمل الخراب الشديد الناشىء عن ضغط التفجر ، مساحة نصف قطرها ميـل أو أكثر» ، أى أن المبانى فى رقعة مساحتها ثلاثة أميال تسحق سحقاً أو تغدو غير صالحة لسكنى من قد يبقى حيًّا من سكانها .

ولكن ألا تستطيع المبانى التى شيدت للكاتب أن تثبت على قوة هـذا التفجر ؟ وقد وقفت مع الدكتور فيليب موريسون ، العالم الطبيعى الذى اشتغل فى المعامل التى جمعت فيها القنبلة فى نيومكسيكو ، ورمينا ببصرنا إلى شارع تقوم هـذه المبانى على جانبيه فقال : « إن ناطحات السحاب تبدو أمتن مما هى حقاً ، فهى مؤلفة من قطع من الطوب بعضها فوق بعض ، ولها واجهات

من الحجر ، والطوب والحجارة مستقرة داخل هيكل من الصلب ، فإذا انفجرت قنبلة كقنبلة نجـازا كى فى الهواء قرب هذه المبانى ، تهاوت قطع الطوب والحجارة كما تتساقط أوراق الشجر ، فتقتل من فى داخلها أو تجرحهم ، وتسدُّ أنقاضها الشوارع . وإذا انفجرت القنبـلة قرب سطح الأرض تطايرت الحجارة وقطع الطوب ، فتصير كأنها مقذوفات المدافع » .

وقد سئل الجنرال جروفز، مدير مشروع القنبـلة الذرية فى لجنـة الطاقة الذرية ، عما يحتمل أن يحدث لمدينة وشنطن فقال: « لو ألقيت حيث يحتمل أن يلقيها العدوّ المهاجم — أى فى المثلث الذى يشمل أكبر طائفة من مبانى الحكومة — لدمرت رقعة قطرها نحو ميلين » . أى لأحدثت من الدمار وقتلت من الناس ما يكفى لتعطيل أعمال الحكومة الأمريكية .

وقد أبى ده سيفرسكى أن يعترف فى مقاله بأن انقلاباً قـد تمّ فى عـلوم الحرب ، وقال إن الكتاب « بالغوا مبالغة عظيمة » فى وصف آثار القنبلتين اللتين ألقيتا على هيروشيما ونجازا كى . وقد راعه ما وجده من فرق بين ما رآه بعينيه ، وبين ما كان يتوقع أن يراه بعد أن قرأ « تهويل » التقارير غير الرسمية . وهو لم يجد « البقعة الجرداء التى تبخر فيها كلُّ شىء فى طرفة عين » . وقال إن قوة « النسف » التى ولدها تفجر القنبـلة لم يكن شيئاً « غير مألوف » ، لأن المبانى المشيدة بالأبرق لم تزل « سليمة الأركان » و « أنها النار ولا شىء غير النار » هى التى دمرت ما دمرت وقتلت من قتلت ، وأنها لم تكن ناراً أشعلتها حرارة القنبـلة ، بل ناراً نشـأت من « تماس » الاسلاك الكهربائية . . . وانقلاب الأفران ومصابيح الجاز وتحطم أنابيب الغاز » .

ويردُّ الخبراء على هذا القول بقولهم : « ترى ماذا يريد ؟ قد لا تكون النار شيئاً جديداً ، ولكنها حققت الغرض المطلوب . وقد ألقيت القنبلة بعد حساب طويل قائم على بحث مفصل فى أوصاف الهدف وطرائق اليابانيين فى البناء . والنتيجة التى رآها ده سيفرسكى مخيِّبةً للظن ، هى هى النتيجة التى أرادها أصحاب القنبلة . وقد دُبر أمر قنبلة هيروشيما حتى تتفجر على ارتفاع معين لتقويض أكبر عـدد من بيوت اليابانيين الخشبية ، ثم شبَّت النار فى هذه البيوت . وقد تفجرت القنبلة كما قدر لها . ولو تفجرت على مقربة من الأرض ، لتمّ التبخر ، ولزاد عدد المدكوك من مبانى الأبرق ، ولأمكن حرق رقعة ضيقة من المدينة بنار القنبـلة ، كأنها كسرة خبز تفحمت على النار . ولو تم

ذلك لكان فيه تبديد للطاقة دون تحقيق غرض ما . فغرض أصحاب القنبلة لم يكن إحداث « بقع جرداء » ، أو تصديع مبان مشيدة بالأبرق ، بل كان حسم الحرب ، وقد حسمت بقنبلتين وحسب . فإن لم يكن ذلك كافياً لإقناع ده سيفرسكى ، فهو إذن رجل يلتمس العيوب فيما لا يعاب .

ويرى الخبراء أن ده سيفرسكى لم يعبأ كثيراً بالدمار الذى حمل إمبراطورية على التسليم . ويقولون إنه ربما لم ير المدرسة الممدودة الرواق ، والمشيدة بالأبرق ، وقد كانت على ٢٤٠٠ قدم من مركز التفجر ، ومع ذلك فقد سحقت قوة النسف نصف طبقاتها العليا . ولعله لم ير بناية أخرى ظهرت فى جدرانها المشيدة بالأبرق شقوق طويلة متعرجة ، تدلُّ على أن الضغط الشديد قد صدَّع بنيانها . ولا هو يذكر إحدى وعشرين بناية أخرى فى نجازا كى ، كانت مشيدة بالأبرق وقريبة من مركز التفجر ، فدمر أربعٌ منها ، وتصدَّعت عشر أخرى. ثم تراهُ قد أهمل فى بحثه أن طائفة من مبانى اليابانيين قد بنيت بناءً أمتن من أمثالها فى أمريكا أو أوربا ، لكى تتحمل تأثير الزلازل الكثيرة . وقد قال إنه رأى أعمدة الأعلام وصفارات الإنذار وغيرها من الأشياء الواهية لم يمسها التفجر أو الحرارة بأذى ، ولكنه لم ير عشرين عموداً ملويًّا من أعمدة الأعلام ، ولا الدّهان الذى صهرته الحرارة التى تولدت عند الانفجار ، وقد كان هذا الدهان طلاءً خزان للوقود ، يبعد ٦٥٠٠ قدم عن مركز الانفجار ، ولعله لم ير أيضاً النبات المحترق على الآكام التى تبعد ٧٠٠٠ قدم عن مركز الانفجار .

أما رأى ده سيفرسكى أنه لو ألقيت إحدى هذه القنابل على مدينة أمريكية ، « لما أحدثت فيها من الأذى أكثر مما تحدثهُ قنبلة من ناسفات الربوع زنتها عشرة أطنان » فيعدُّه الخبراء حديث خرافة . فالقنبلة من ناسفات الربوع فيها خمسة أطنان من المادة المتفجرة ت . ن . ت أو أكثر قليلا ، على حين تجد الطاقة المنطلقة من القنبلة الذرية تعدل الطاقة التى يطلقها تفجر ٢٠ ألف طن من ت . ن . ت .

وقد نظرت إلى صورة تلك المدرسة الممدودة الرواق فى نجازا كى ، والتى نسف نصف طبقاتها العليا مع وجودها على ٢٤٠٠ قدم من مركز الانفجار . وسألت الجنرال فاريل ما يحتمل أن تصنعه قنبلة من ناسفات الربوع لو ألقيت على نيويورك . فقال : «إن القنبلة من ناسفات الربوع هى بحسب تعريفها قنبلة تستطيع أن تخرّب ربعاً كاملا فى مدينة حديثة ــ أى ما مساحته أربعة أفدنة

فلنفرض أن هذه القنبلة سقطت عند تقاطع شارعين فى منطقة من نيويورك منخفضة المبانى ، وأنها خربت أو آذت أذى بليغاً أربعة ربوع — أى ستة عشر فداناً . وهذه مساحة تبلغ جزءاً من أربعين من الميل المربع . ولو فجرت قنبلة ذرية على الأرض بين مبان كمبانى هذه الربوع الأربعة ، لأحدثت من الأذى ما يزيد على أذى ناسفة الربوع ثمانين ضعفاً على الأقل . وإذا فجرت على الارتفاع الذى ينبغى أن تفجر عليه ، لفاق أذاها أذى ناسفة الربوع مئة وعشرين ضعفاً » .

ورأى الدكتور موريسون أن أذى القنبلة الذرية أكبر من أذى ناسفة الربوع مئة ضعف على الأقل ، وربما بلغ ثلثمئة ضعف أو ألف ضعف . أما الأستاذ ه . ل بومان المهندس المعمار بقسم التفتيش فى قيادة القاذفات الأمريكية ، فيرى أن أثرها أكبر من أثر ناسفة الربوع مئة ضعف إلى مئتى ضعف ، حتى فى هيروشيما الواهية البنيان . ويرى بول نيتز وكيل قسم التفتيش فى قيادة القاذفات الأمريكية ، أن تصريح ده سيفرسكى « لا سند له من الحقيقة » .

ويعترف ده سيفرسكى أنهُ لم يحسب حسابات دقيقة ، ولم يقم فى كل من المدينتين سوى يومين ، وهذا ، على ما قاله للجنة مجلس الشيوخ الأمريكى « لا يكفى طبعاً للقيام ببحث مفصل » . ويقابل هذا أن ١١٤ خبيراً قضوا ألوفاً من الساعات فى البحث والحساب .

وقد حث ده سيفرسكى الناس فى مقالته على « أن يبثوا الرأى بمنطق سليم ونفوس هادئة ، وأن يتجنبوا العسف والمكابرة فى الحقائق » . فيرد عليه الخبراء بأنه هو المكابر فى الحقائق ، وأن إذاعة الأقوال الخطأ عن القنبلة الذرية تنطوى على خطر عظيم ، لأنهُ إذا صح ما قالهُ من أن قنبلة هيروشيما لا تؤذى مدينة أمريكية أكثر مما تؤذيها قنبلة من ناسفات الربوع ، خفف الناس من هول مخاوفهم ، واستغشوا ثياب عدم المبالاة واطمأنوا ، وضعف عزمهم على إنشاء عالم يسيطر فيه القانون العالمى على هذا السلاح المخيف .

*****

من الناس اليوم من يعرف أن يصنع قنبلة واحدة تفوق فى تدميرها مليون قنبلة من ناسفات الربوع ذوات العشرة أطنان . ولو ألقيت هذه القنبلة على أية مدينة كبيرة ، لكانت خليقة أن تدمر مبانيها ، وتقضى على جميع أهلها قضاءً مبرماً .

[الدكتور إدوارد كوندن مستشار مشروع القنبلة الذرية ومدير مصلحة المقاييس والموازين]

أمٌّ تحنو على ٤٥,٠٠٠ طِفل

اليسنور ليك
مختصرة من مجلة "كوزموبوليتان"

امرأة ضئيلة الجسم ، ولكنها تحمل عبء دعوةٍ ينوء بها الرجال ، تلك هي القاضية كاميل كيلي — بمدينة منفيس في ولاية تنيسي . فقد جعلت همها أن تقنع كل جافي الطباع من الآباء وغيرهم أن ليس ثمة شيء يسمى « الطفل الفاسد » ، وأن كل ما يحتاج إليه علاج الطفل العاصي العنيد هو قدرٌ صالحٌ من الحبّ والحنان والفهم . وقد بلغت ما أرادت .

وقد قضت على منصة القضاء عشرين عاماً حافلة بالعجب ، وكفلت بحنانها ٤٥,٠٠٠ طفل ، وبلغت من التوفيق مبلغاً جعل اختيارها لمنصبها يتكرّر ستّ مرّاتٍ بغير معارضة من أحد .

وهي في ملبسها أشبه بأميرة صغيرة نحيلة تختال في أجمل ثيابها ، فإذا تكلمت ، والكلام عادتها التي لا تنقطع ، لم تلق بالاً إلى كثرة سامعها أو إلى اختلاف طبائعهم وعقولهم . ففي نفسها عقيدة لا تزال تدفعها وتحركها، إذ أشرب قلبها حبّ البشر جميعاً : أبيضهم وأسودهم ، غنيهم وفقيرهم ، فتراها تظل ست عشرة ساعة لا تملّ ، وهي تشرح رأيها الذي تعتقده للناس ، من الزعماء إلى الخادمات إلى العمال إلى نواب الأمة . وترى عدداً جمًّا من الناس يحوطها بمحبته ، فمن رجال ونساءٍ وأطفال يحتشدون كل يوم على مقربة من دار المحكمة ، ومن كبار المشهورين إلى صغار المغمورين ، قد وقفوا ينتظرون لكي يلقوا إليها بالتحية .

وقد قالت امرأة مدّت إليها القاضية يد المعونة : « إن الذين يتولون بذل الخير للناس يتصنعون أحياناً ابتسامة توطد الثقة بينهم وبين أولئك الناس . أما القاضية كاميل فهي إذا ابتسمت لك شمختَ برأسك ، وأحسست كأن الدنيا أصبحت طوع يديك » .

وقال رجل من أصحاب الأعمال كان قد وقف بين يديها في المحكمة وهو يومئذ صغير : « إنها فيمن عرفت ، هي الإنسان الوحيد الذي يستطيع أن يجعلك تشعر بأن لكرامة المرء وعزته لذة لا تعادلها لذة » .

وغرفة محكمتها مكان تبتهج العين برؤيته، ولكنه جليل يشعرك بالهيبة . فيه كراسي

وثيرة ، وفيه بدل منصة القضاء المألوفة منضدة تتلألأ عليها باقة من الزهر . وتعالج القاضية كاميل قضاياها غير متقيدة بتقاليد المحاكم ، وتحرص على أن تجعل لغتها بسيطة واضحة . فإذا جلست مجلسها قالت : «ليست هذه الغرفة إلا ساحة للتقاضي، تتاح فيها الفرصة لكل امرىء أن يتكلم ، ولن أدع أحداً يغادرها وهو مهموم أو ضيق النفس . فتعالوا نعالج هذا الأمر معاً » .

وقد أراد أحد مشاهير المحامين أن يستعجل النظر فى إحدى القضايا ، فانتهرته القاضية قائلة : « لا أحب أن يتعجلني أحد ، هذه محكمة همها الأخلاق قبل كل شيء . وسأستنفد من الوقت ما يتيح لى أن أقوم الأخلاق » .

وأهل بلدتها جميعاً يظاهرونها أقوى مظاهرة ، حتى لقد استطاعت أن تجمع حولها طائفة من أقدر رجال المحاكم ، فمن أجل ذلك كان سبيلها فى الإصلاح والتقويم أجدى من سبل القضاة الآخرين .

وهى تقول : « إنك لا تستطيع أن تخرج سوء الخلق من طبيعة الطفل بالعنف ولا بالتقريع . فالطفل سريع التحول والانصراف ، فلا تكاد تمضى فى محاولة تهذيبه قليلا حتى تراه قد صار أصم لا يسمع لما تقول . فإذا وجدت فى خلق الطفل ما يسوء ، فعليك أن تفحص عن العلة الكامنة وتحاول علاجها » ، وهى ترى أن العقاب الذى يؤلم البدن شيء لاجدوى فيه . وهى ترى أن الطفل إذا كان ثائراً حديد الطبع (وهما وقود الحياة) ، فهو خليق بأن يرجى منه خير كثير . وتقول : « إذا بذلت معونتك لطفل هادىء الطباع عاجز قليل الحيلة ، كنت خليقاً أن تظل له كافلا ومعيناً مدى الحياة ، ولكنك إذا أعنت آخر من ذوى العُرَام والطباع الحديدة ، فجرت ينبوعاً متدفقاً لا يقف أمامه شيء » .

وقد وجهت القاضية كاميل طائفة من الصغار ذوى الحدة والشراسة ، فجعلتهم يقيمون وهم لا يدرون ملعباً بمعونة من المجلس البلدى ، ويشتركون هم مع الجماعات الأخرى القائمة فى البلدة . ويحظى الطفل منهم بالمعونة التى تتيح له أن ينمى مواهبه الخاصة . فتراها تحث الآباء مثلا على أن يشجعوا الطفل الذى يجيد العمل بيده على أن يصبح صانعاً من الطبقة الأولى بدلا من أن يصبح موظفاً من الطبقة الثانية .

فإذا رأت القاضية أن الآباء والأطفال قد عرفوا الطريق الذى ينبغى أن يسلكوه ، نفضت يدها من معونتهم . وهى تؤمن بأن من الواجب على كل امرىء أن يعتمد على

نفسه ، وأن يكون عنيفاً فى زجر الضعاف الواهنين ، وأن يمقت التدليل والطراوة .

كان والد القاضية كاميل أحد الجراحين الممتازين وهو الدكتور ج . ب . ماكجى ، بيد أن فتاته كاميل لم تمل نفسها قط إلى أن تعيش عيشة الفتيات المدللات المترفات . ومات أبوها وهى فى ميعة صباها ، فعزمت على أن تصبح طبيبة أيضاً . وظلت تزين لولاة أمرها أن تلتحق بمدرسة الطب ، فلم تلبث أن ماتت لها أخت أكبر منها ، وخلفت بنين صغاراً . فهجرت كاميل ما كانت فيه لتربى أولاد أختها . وقبل أن تبلغ العشرين من عمرها لقيت شاباً محامياً هو توماس فيتزجر الدكيلى ، كان مثلها شباباً وتوقداً ، فتزوجا وعاشا فى سعادة مشرقة الجوانب ، وظلت كاميل سنوات ولا همّ لها إلا رعاية زوجها وصغارها الثلاثة .

كان توماس قد أعجبه ما فى زوجته من عقل ، وأحب لها أن تصرفه فيما ينفع ، فأغراها بأن تدرس القانون عنده فى مكتبه . فظلت سنتين تشاركه فى عمله ليلا ، ثم بقيت ١٨ شهراً تعاونه فى سائر أعمال مكتبه بعض الوقت . ثم رأت يوماً ولدها الصغير وقد خرج قاصداً مدرسته ، فانتبهت فجأة وجعلت تتساءل : أى ضرب من الأطفال صغارهم أو كبارهم ، سوف يعاشرهم ابنها هذا بعيداً عن رعايتها ونظرها ؟ وجعلت تقول لنفسها : « من الخطأ أن نظن أنّ مهمة الأم الفاضلة لا تتجاوز ما يجرى بين جدران بيتها » .

فما هو إلا أن اختارت أجمل قبعاتها ولبستها ، وانطلقت ميممة شطر المدرسة التى فيها ولدها ، وقدمت نفسها للأساتذة المدرسين ، ثم لم يمض طويل وقت حتى كانت قد بذلت جهداً فى تأليف جماعة للآباء والمعلمين ، وظفرت بانتخاب أول امرأة لمجلس التعليم فى بلدتها . ثم أجالت طرفها فى نواحى البلدة ، لتنظر ما يفعل الأطفال بعد المدرسة ، فلم يَرُقها ما رأت .

فلما مضت سنوات وجاءت ساعة ، وصارت البلدة فى حاجة إلى قاضية لمحكمة الصغار ، كانت كاميل قد طارت شهرتها فى البلدة بأنها المرأة التى تستطيع أن تستميل أى إنسان للجهاد فى سبيل تهذيب الأطفال . ومع أنها لم تنل إجازة الحقوق ، فقد سن المجلس التشريعى للولاية قانوناً يتيح لها أن تكون أول امرأة تتولى القضاء فى ولاية تنيسى ، وثانية اثنتين فى البلاد كلها .

ولم تنل كاميل حتى اليوم إجازة الحقوق ، ولكن المحاكم العليا لم تنقض من أحكامها فى ثمان سنوات سوى حكم واحد .

فلما نجحت فى تهذيب أطفال بلدتها ، صرفت جهدها إلى تهذيب آبائهم ، وهى تقول : « ليس مردّ الفساد والإعوجاج إلى الصغار ، بل الوزر وزر الآباء . وأكثر ما يكون عليه الصغار إنما هو من جناية الكبار عليهم » * .

وكل ضرب من ضروب الإخفاق التى تحيق بالآباء تعرض عليها فى المحكمة . فمن الآباء ، كما تقول كاميل : « من يتعدّون حدود القانون ، ثم ينقلبون ساخطين حين ينتهك صغارهم حرمته » . ومنهم من يأمر ابنه أن يراقب له شرطى المرور ، ليسوق هو سيارته بسرعة تتجاوز ما حدده قلم المرور . ومن الآباء من لا يزالون فى شقاق ونزاع ، ولا يخطر لهم ببال أن صغارهم يتلقنون كل كلمة يسمعونها . ومنهم الأم التى لا تقول شيئاً سوى : « امسح رجليك يا ولد ، ابعد عن الكرسى يا ولد » ، فهذا ليس بيتاً يؤلف ، بل كل ما فيه دعوةٌ تدعو الطفل أن يخرج إلى الشارع .

وشرُّ هؤلاء جميعاً ، أولئك الآباء الذين يأبون أن يحملوا تبعة الأبوة والأمومة ، وتقول كاميل : « إن الأطفال عندئذ يلتمسون لأنفسهم حنان الأبوة والأمومة حيثما وجدوها . وكثير من البنات السيئات الخلق ليس بهن إلا أنهن يبحثن على غير هدى عن الحب الذى افتقدنه فى بيوتهن . والآباء الذين يبرئون ذمتهم بأن يكفلوا للطفل حاجة جسمه ، ثم يتركون سائر أمره لمدرسة أو لخادم ، إنما يحرقون قلوب أطفالهم باللوعة والحزن » .

وقد اقتبست نظام المحكمة التى أنشأتها كاميل ، بعض الحكومات المحلية فى ست ولايات ، وقد اتبعت كثير من المدن أسلوبها فى الإصلاح . بيد أن كاميل ترى نفسها أسعد ماتكون حين تكون المعاملة بينها وبين أفراد الناس . وقد قال أحد أصدقائها وقد يئس من أمرها : « إن شر عادات كاميل أنها إذا لقيت فتاة لاتكاد تتذكر ، فيما يبدو ، ألقيتها فى حفلة أم فى سجن » ، فليس فى قلبها المخلص الكريم حد فاصل يفرق بين الناس ويجعل بعضهم عندها أفضل من بعض .

---

* ومن أجل أن يصلح الآباء أخطاء أنفسهم جعلت القاضية فى محكمتها مكاناً يقصدونه للاستشارة والاسترشاد . وقد وفد عليها آلاف من الآباء يستشيرونها ، وجاءوا بصغارهم أيضاً لتسدد لهم خطاهم قبل أن يبلغوا مرتبة الفساد والاعوجاج .

هل تعرف كيف تقعد لا تعمل شيئاً ؟

كيف تستثمر الكسل؟

ألن ديڤو

مختصرة من مجلة "كورونت"

نحن اليوم فى عصر العمل ، وكلٌّ منا مطالب بأن يزيد فى عمله وأن ينمّى قدرته . وفى العمل خير كثير ، وبالإكباب عليه أتمّ البشر طائفة من المآثر المجيدة. بيد أن العمل قد ينقلب شراً أيضاً ، إذ يستغرق انتباهنا حتى نفقد نعمة التمتع بالكسل ، فنُجَنّ بالعمل حتى ننسى أن معرفة المرء « كيف يزيد عمله » معرفة ضارة ، إذا لم يُداوِها بمعرفته « كيف يقعد لا يعمل شيئاً » .

وممارسة الكسل ليست هينة كما تبدو . ولن يتاح لك فى ساعة أن تتعلم ما كنت تشاركك فيه سائر الحيوان فى قديم الأزمان ، أى أن تسترخى مطمئنا . ولكن عليك أن تحاول — فهذا وحده هو الذى يفضى بك إلى القرار الذى يجد الإنسان فيه قوة يستمدّها ليحمل ضجة الأعمال التى تملأ رحاب الدنيا ، وهذا وحده هو الذى يمكنك من أن تنهل من ينابيع الروح الخالدة .

وإذا أردت أن تعرف أين بلغ بنا الجهل ، فانظر كيف يصنع الرجل أو المرأة حين يفرّ لحظة من قبضة العمل ، تحدوه الرغبة فى الكسل ، فهو يلعب الكرة أو يرتاض أو يسوق سيارته أو يرقص . تلك الرغبات الجامحة التى لا تصلح عوناً على الكسل النافع . وكذلك شأن من يتعهد حديقته أو من يتمشى مع صديق له . والحقّ أن المرء عندئذ يشغل نفسه بعمل يرضيه ويرتاح إليه ، ولكنه لا يمارس الكسل .

وأصول الكسل بسيطة : أن لا تبذل جهداً ، وأن تكفّ عن التفكير ذى القصد . وذلك يقتضيك أن تصير شيئاً لاقصدَ له ، كشجرة أو صخرة ، وأن تهجر تلك الحركات القلقة التى ابتلتك بها الحضارة ، وأن تدع العادات المرهقة التى جعلتك تألف الجهد الموجّه والتفكير الموجّه ، وتستبدل بها سَبْح النفس إلى غير هدف وبغير توجيه .

انظر إلى النمر أو الثعلب وقد استرخى ليستريح ، وانظر إلى هِرّتك — فهذه العيون شاخصة إلى غير شىء . وهذه العضلات ساكنة سكون الحجر ، وكل شىء قد كفّ عما ألِف من الحركة . إنه حيوان يمارس الكسل . وهو عنده عمل طبيعى كالأكل أو النوم — ولكنه شىء لا بُدّ لك أنت أن تتعلمه تعلماً . فإذا تعلمته انفتحت لك أبواب

عالم جديد من الشعور ، عالم فيه من الأمن ولطف الإدراك ما لم تعرف له مثيلاً قط .

إنه دنيا فيها عجائب من القوى التي تنعش النفس الإنسانية المنهوكة .

إبدأ وحاول الكسل الآن . فإذا فرغت من قراءة هذه الكلمة فألق المجلة جانباً ، وكف متعمداً عن كل حركة كنت تأتيها ساهياً . . . كتحريك ساقك ، والطرف بعينيك ، والقرع بإصبعك على يد الكرسي . ولقد كان نفسك وأنت تقرأ سريعاً غير عميق ، وهما من خصائص العجلة التي نعيش فيها . فأرح رئتيك وأرخهما ، وخذ النفس عميقاً بطيئاً . راحة عجيبة لذيذة ، أليس كذلك ؟

وإذا كنت لابس نظارة فانزعها ، فإن ذلك الضغط الخفيف على أرنبة أنفك يسبب لك ضيقاً ويعوقك . وكذلك الحزام وبنيقة القميص ، ففكهما . استلق الآن على ظهرك واسترح . لا تحاول أن تتابع أفكارك . وسترى فكرك قد بدأ يسير إلى غير هدف ، وستبدأ نفسك تسبح وتجول كما تشتهى .

وإذا بك ترى أفكارك المبهمة وذكرياتك ومدركاتك ، على غموضها جميعاً ، قد أخذت تتحرك في سريرتك للتحرر من وثاقها . وذلك لأن طغيان « الفكر » وطغيان « الحركة » قد بطلا الآن . لقد بدأت نفسك تستشعر ، مثلا ، شذا الزهور التي في تلك الزهرية . وكان هذا الشذا كامنا في الغرفة اليوم كله ، ولكن نفسك لم تكن طليقة حتى تشمها . استنشق هذا الشذا بقوة في رئتيك ، فإنه يستجيب للنفس السائحة استجابة عجيبة . والآن بدأت تدرك شيئاً آخر كنت غافلا عنه — هذا الشعاع المستقر على ظاهر يدك . عجباً ، لقد بدأت تجد في الدنيا شيئاً يروقك ، حين وجدت نفحة الزهر في خياشيمك ، ومس شعاع الشمس على لحم يدك .

اسبح سبحاً ، واسكن . ما أغرب ذلك اللحن الموسيقي الذي تسمعه من طنين تلك الذبابة ! وما أروع زرقة هذه الرقعة من السماء ! إن مس الكرسي على بدنك المسترخي نعمة سابغة ، ونفسك البطيء العميق قد أشعرك سكينة لا مثيل لها ، وإذا بطرائف وغرائب من الذكريات تنثال عليك . . . رائحة البحر على شاطىء الإسكندرية ، آثار الغزلان على رمال البادية ، نواح الحمامة التي فقدت أليفها عندك . والآن وبعد لأي ترى نفسك تستغرق في تلك الدنيا الحبيبة التي لا يدخلها إلا المبرزون في فن الكسل والاستجمام .

إن رد المرء نفسه إلى اتباع الأساليب الصحيحة في الحياة ، فن يستحق أن يتعلم .

غفلة وإخفاق أعقبا يقظة ونجاحاً ، وأيضاً عبرة مؤداها أن قلم المخابرات المحكم ضرورى للدول فى الحرب والسلم على السواء .

عيون الساسة والقواد وآذانهم

توماس م . چونسون
مختصرة من صحيفة " ذى وشنطن بوست "

ليس لرجال السياسة ولا لقوّاد الحرب غنى عن « قلم المخابرات » ، فرجاله عيون الساسة والقواد وآذانهم . ومع ذلك كانت الولايات المتحدة فى ظلام دامس يروّع النفس ، يوم نزلت بها نازلة برل هاربر . وقد اعترف دين أتشيسون ، وكيل الخارجية الأمريكية ، بأن الأساليب المتبعة فى وزارة الخارجية لتسقُّط الأخبار وجمعها ، كانت يومئذ لا تكاد تختلف عن الأساليب المتبعة منذ قرن ونصف قرن من الزمان . وقد أخطأ قلم المخابرات البحرية خطأ فاحشاً فى تقدير مواقع حاملات الطائرات اليابانية ، وظنها لا تزال فى مياه اليابان ، يوم كانت تمخر اليمّ مقبلة على برل هاربر . ولم يكن بين أقسام الحكومة التى تتولى جمع الأخبار قسم واحد يحسن عمله ، ولم يكن بين جهود هذه الأقسام تنسيق ولا تعاون .

وقد أرسلت الحكومة فى وشنطن أمر إلى ضباط المخابرات البحرية ، تبين لهم فيها كيف يستطيعون أن يحسنوا عملهم ، فوجدت هذه الأوامر ، بعد نازلة برل هاربر ، محفوظة فى خزانة ، ولم توزع على الضباط . وقد صدر الأمر إلى أحد رجال التمثيل السياسى بتغيير رموزه ، فاحتج قائلا : « تغيرون رموزى ! إنها رموز حسنة ! فقد مضى علىّ عشرون سنة وأنا أستعملها ! » وكانت وزارة الخارجية تستغرق أياماً طويلة فى حل رموز الرسائل وتوزيعها على مكاتبها البالغ عددها ١٢٧ مكتباً . ولم يكن فى الوزارة مكتب خاص ينحصر فيه أمر هذه الرسائل . وقد أنشىء مجلس مشترك للمخابرات قبل واقعة برل هاربر بثلاثة أشهر ، فلم يبدأ عمله إلا بعدها بثلاثة أيام ، ولو هو توفر على حل رموز الرسائل اليابانية التى التقطت قبل الهجوم بثلاثة أيام ، لكشفت عن خطط اليابانيين .

كان خطر الحرب فى المحيط الهادى شبحاً ماثلا منذ زمن بعيد ، ومع ذلك فقد كان كل ما نعرفه عن الجزائر التى فى أيدى اليابانيين نزراً لا يعدو موقعها من خطوط العرض والطول . وقد كانت وزارة

الخارجيــة تظن أن جمع المعلومات المطلوبة يغضب « دولة صديقة » ، فعرقلت مساعى رجال الأسطول لمعرفة طِلْع هذه الجزائر قبل برل هاربر. فلم تكد الواقعة تقع حتى هبّ رجال الأسطول يسألون كل من تقع يدهم عليه من شذّاذ الآفاق وغواصى اللآلىء وبحارة سفن الصيد ورجال البعثات ، بل كل من وقعت عينه على جزيرة يابانيــة ، مهما بعد عهده بها .

وقد حشدنا سفناً وجيوشاً لأخذ جزيرة كسكا ، ولكن بعد أن تسلل اليابانيون منهـا . ويوم نزل مشاة البحرية فى جزيرة وادى الكنار ، كان لا بد لهم من أن يعتمدوا فى معرفة أوصافها الجغرافيــة على ما يلتقطونه من أسرى اليابانيين . وعلى أن اليابانيين قضوا سـنين يتدربون على قتـال الغابات ، وتعلموا أساليبه وحيله ، فقد كنا نحن نجهل الحقائق والحِيَل على السواء .

وقد منينا فى إفريقية بأول هزائمنا على البر ، لأننا يوم وقعنا على أمر عسـكرى ألمانى ينطـوى على دقائق كرّ رومل فى مضيق فايد ، لم نجد فى قيادة إحدى فصائلنا من يعرف الألمانية لكى يترجمه. فقد تخلّف رجال المخابرات الذين أحسنا تدريبهم ، على مسافة بعيدة وراء خطوط القتال . فكان الدرس الذى تعلمنـاه غالى الثمن ، فأرسلنا الخبراء لساعتنا بالطائرات إلى إفريقيــة ، من معسكرهم فى ولاية ماريلاند فى أمريكا. ثم دأبنا بعد ذلك على أن يظل رجال مخابرات القتال قرب ساحة الحرب — فأسفر ذلك عن عواقب حسنة .

وكنا لا نكاد نعرف شيئاً عن مواطن الضعف فى أهداف طائراتنا فى بلاد المحور فى أوربة وآسية . وقد كان ٧٠ فى المئة من محركات الطائرات اليابانية تصنع فى مصنعين لم تقع عليهما عين أمريكى .

وقال رجال المخابرات الجوية : إن نظام توزيع الطاقة الكهربائية فى ألمانيا لا يمكن أن يعطل بقـذف المصانع التى تولد الطاقة الكهربائيــة ، فلذلك امتنعنا عن قذفها ، ولكننا نعلم الآن أن تعطيلها كان ممكناً ، وأنه كان خليقاً بنا أن نقذفها بقنابلنا .

كان تقتيرنا فى الإنفـاق على جمع المعلومات لا يكاد يصدق . وقد عهـد إلى قسم من أقسام المخـابرات أن يتولى جمع المعـلومات عن الشرق الأقصى — اليابان والصين وجنوب آسية الشرقى وسيبريا — وكان هذا القسم مؤلفاً من ضابط واحد ، وكاتبــة واحدة . وقد طلب أحد ضـباط المخـابرات ٥٠٠ ريال ثمناً لرسوم تبين مطارات دولة معادية ، فعنّفه رؤساؤه على إسرافه . وقد فرضت الحكومة فى وشنطن

على الملحق العسكرى فى برلين ، أن يوفى من ماله الخاص أجر برقية بالرموز أرسلها إلى وشنطن منذراً فيها بأن هتلر قد عزم أن يزحف على براج .

كانت وزارات الخارجية والحربية والبحرية ، تسترخص فى جمع معلوماتها عن طريق الممثلين السياسيين والقنصليين وبعض المتطوعين من الوطنيين ، ولكن الملحقين الأمريكيين بالسفارات والمفوضيات كانوا لا يسمعون ولا يرون إلا ما يؤذن لهم به على الأكثر . وقد حظر بعض سفرائنا السفر والرحلة على الملحقين ، أو البحث عن الحقائق والمعلومات فى دور الكتب ، حتى لا يظهروا فى مظهر التجسس .

وقد وجد أحد الملحقين الأمريكيين فى عاصمة أوربية ذات شان خطير ، ثلاثة جواسيس بين موظفى مكتبه : اثنين من النازى وواحد من الروس ، وكانوا جميعاً من الأمريكيين المتجنسين ، فأبت عليه الحكومة فى وشنطن أن يفصلهم لعلو مرتبتهم فى كشف موظفى الحكومة . ولم يكن لنا نظام محكم لنقل الحقائب الدبلوماسية التى تحتوى على التقارير السرية المرسلة من ممثلينا إلى وشنطن وحمايتها ، فكان النازيون واليابانيون يفتحون هذه الحقائب ويقرأون محتوياتها .

وكنا نقنع شاكرين بما يجود به المتطوعون ، ولكن عملهم كان غير منتظم ولا يعتمد عليه . وقد روى أحد هؤلاء الهواة من الجواسيس أن هناك غواصة يابانية جديدة تحمل مدفعاً قطره ١٦ بوصة ، ثم اتضح أن « المدفع » كان آلة رافعة . وروى غيره أنهم رأوا عدداً من سفن اليابان الحربية ، فإذا هو يفوق كثيراً كل ما كان اليابانيون يملكونه من سفن حربية !

بيد أننا تدرجنا فى إحلال المخابرات القائمة على الأصول العلمية محل الارتجال . فعهد إلى العلماء ورجال البحث والاستقصاء بالعمل ، واعتمدنا أيضاً على عدد من عامة الناس يجمعون الحقائق غير متكتمين . وقد جمعت الحقائق عن طبائع جزائر ألوشيان وحالة جوها من الكتب فى دار كتب الكنجرس . وهدتنا صورة قصت من مجلة ألمانية إلى مدفع ألمانى جديد مقاوم للطائرات قطره ٤٠ مليمتراً . واطلعنا على صور نشرت فى صحف ألمانيا ، فرأينا فيها طائرة جاثمة امام مصنع ، فهدانا ذلك إلى أن هذا الطراز من الطائرات يصنع فيه . وأخذت صورة من كتاب صنعه الألمان لإرشاد المسافرين ، فوجدنا فيها نفقاً يعترض أحد الطرق العامة ، فوقع فى ظننا أن هذا مكان يصح أن يقوم فيه مصنع تحت الأرض ،

فصوّر من الجوّ ، فأيدت الصورة ظننا .

وقد جرب قسم المخابرات كلّ شيء مهما كان شاقاً . فلكي نعين مواقع مصانع تكرير الزيت الألمانية ومسالك السفن ، أكبّ مئات من رجال البحث على فحص تقارير أجور الشحن وكشوف ما حملته عربات السكك الحديدية أو السفن ، وبحثوا في دليل مدينة طوكيو المحتوى على عنوانات رجال التجارة من المشتغلين بالمعادن والفلزات والكيميائيين، وقورنت بالصور التي صوّرها الطيارون من الجوّ ،فانكشفت مصانع الحرب التي أحكم اليابانيون تنكيرها.

وقد علمنا أول ما علمنا بطائرات الفدائيين اليابانيين (كاميكازى) من إشارة جاءت في إذاعة يابانية ، ثم من أفواه الأسرى. وقد قال أحد الأسرى إن بارجتين يابانيتين قد جعلتا حاملتي طائرات، بإنشاء سطح عليهما للطائرات . وقد عثر أحد الطيّارين المصوّرين على إحدى هاتين البارجتين فصوّرها ، وأكبّ خبراء المخابرات على الصورة يفحصونها، وإذا أحدهم يقول « : ولكنّ الطائرات لا تستطيع أن تعود إلى هذا السطح ، فإن المدافع المضادة تعترض خط هبوطها ».

ثم أسفرت لهم الحقيقة — هذه طائرات لا يقصد بها أن تعود . وإذن فاليابانيون يتأهبون لإرسال الفدائيين من طياريهم .. فلما أنذرنا بذلك تأهبنا له .

وقد ساعدنا أسير ألماني على أن نحل لغز وسيلة من أدهى وسائل الدفاع في الغواصات ، وهذه الوسيلة هي أن تلقي الغواصات حبوباً كيميائية في الماء وراء مؤخر الغواصة ، فتولد الحبوب فقاعات لها صوت ، إذا سمعته في أجهزة التسمع التي نعتمد عليها ، بدا لك كصوت الغوّاصة نفسها ، فيسرع البحّارة إلى إلقاء قنابل الأغوار حيث تكون الفقاعات ، على حين تمضي الغواصة آمنة إلى طيتها .

فقد ظلّ هذا التدبير منطلياً علينا إلى أن كان شهر إبريل سنة ١٩٤٢ ، فيومئذ انفجرت قنبلة من قنابل الأغوار ، فصعدت فقاعات حمر إلى سطح الماء . فجمع ضباط المخابرات نماذج من الماء الأحمر وفحصوه . ثم أسروا قائد غوّاصة أخرى ، فلما قابله ضابط المخابرات قال أمامه غير محتفل : «لم تجدك الفقاعات هذه المرّة» فبهت الألماني . فقال الأمريكي : « إننا نعلم كلّ شيء عنها » ، ثم ذكر أمامه تفاصيل بناها على التقدير البارع ، فوقع ذلك في نفس الألماني وقعاً عظيما ، فباح بكل شيء . وقد دلت التجارب على وجود فرق يسير بين صوت الفقاعات وصوت الغوّاصات ، فدرّبنا مطاردي الغوّاصات من رجالنا على تبين

هـــذا الفرق حتى لا تخدعهم الحيلة .

وقد أسرنا قائداً ألمانياً فى تونس فى أوائل سنة ١٩٤٣ ، وتولىَّ الخبراء حل عقدة لسانه ، ففاخر بأنهُ شاهد التجارب الأولى التى جرّبت بالقنابل الصاروخية . ولم يكد ينقضى زمن قصير على ذلك ، حتى عرضت صور صوّرت من الجوّ على كونستانس بابينجتون سميث ، خبيرة فحص الصور الجوّية فى قسم المخابرات الجوّية البريطانى الأمريكى ، فاستوقفت صورة منها عينها الناقدة ، إذ لاحظت علامة بيضاء تشبه حرف T على قاعدة صغيرة تحيط بها أكوام ضخمة من التراب، وغيرها من المنشآت الخفية الغامضة . وكان ذلك فى بينامندى ، فدبرت الغارة عليها ، فقتل فيها مئات من العلماء المشتغلين فى معاملها ، وتأخر سير البحث العلمى فى الأسلحة الألمانية الجديدة ستة أشهر . ويعتقد بعضهم أن هذه المدة أنقذت بريطانيا ، وأتاحت للحلفاء فرصة للظفر*.

أما فى المحيط الهادى فقد غامر أربعة آلاف من اليابانيين الأمريكيين، وتعرضوا للأسر والتعذيب لكى يظفروا لقسم المخابرات بالمعلومات من خطوط القتال ، وقد أسفر مجهودهم عن مليونى تقرير وخريطة ومذكرة أخذت من قتلى اليابانيين أو أسراهم ، ومن المنشآت اليابانية . وقد فحصت ورقة كربون واحدة ، فأسفر فحصها عن خط سفر لسفينة ، وجدول لقوة آلاى ووسائل لعلاج الملاريا . وتبين الخبراء فى رسم من الرسوم ، كيف كان اليابانيون ينكّرون ناقلات الجند .

وفى جميع أعمال الغزو فى أوربة ، كان ضباط المخابرات يصحبون جنود الغزو فى مراحله الأولى ، فكانوا يسرعون بعد استيلاء الغزاة على مراكز قيادة الأعداء ، إلى كسر الخزائن واستخراج ما فيها من الأوراق ، ثم يعودون بها على جناح السرعة إلى مقرهم . وكذلك وجدوا خريطة تبين حقول الألغام على مقربة من صقلية . وقد تم للأمريكيين الاستيلاء على شربورج بسرعة ودون خسارة كبيرة ، لأن جواسيسهم ظفروا بخريطة تبين حصون المدينة وخطة الدفاع عنها . وحسبهم هذا وحده مسوّغاً لتدريب رجال قسم المخابرات .

وقد دأب رجال البحث العلمى على استكشاف أساليب تعين رجال المخابرات فى عملهم ، فتم لهم تقدم عظيم فى الانتفاع بأجهزة الراديو والرادار . وفى التقاط رسائل الأعداء وحل رموزها ، وفى تقدير أحوال الجو . وقد صنعت آلة تصوير شديدة

---

* « أربعون دقيقة غيرت وجه الحرب » ، المختار : ديسمبر ١٩٤٤ ص ٢١

الدقة والإحكام ، تصور الأرض من الزاوية التي يراها الطيار منها وهو محلق في الفضاء ، وكانت الصور رائعة الصفاء ، فساعدت على إحكام قذف القنابل ، ثم على إحكام الاستطلاع بعد القذف . واستخدمت هذه الآلات في تصوير رقع فسيحة من الأرض ، فصنعت لها خرائط لأول مرة في التاريخ .

ولما ثبت نفع الجواسيس الذين يهبطون بالمظلات وراء صفوف العدو ، ثم يرسلون أنباءهم بأجهزة لاسلكية قصيرة الموجة ، انصرفت طائفة من هيئات الحكومة إلى القيام بأعمال المخابرات السرية . وقد أنشئت هيئة سميت «مكتب الخدمات الاستراتيجية» ولم يكن لها من عمل سوى هذا . وقد سجل رجالها أعمالا رائعة أحياناً ، ونافعة أحياناً ، وجامعة بين الروعة والنفع كليهما أحياناً أخرى . ومن أعمالهم أنهم ألقوا إلى رجال المقاومة الخفية في ١٦ بلداً ما زنته ٢٧٠٠ . . طن من الأسلحة والذخائر وألوفاً من الجواسيس ، وهؤلاء لم يقتصروا على جمع المعلومات النفيسة ، بل نظموا أيضاً أعمال التخريب . وقد أنقذ غيرهم ما يزيد على خمسة آلاف من الطيارين الأمريكيين

ولا تقل قصة « سوكو » روعة عن كل ما تقدم . و « سوكو » اسم جمعية صينية أمريكية تعاونية ، مؤلفة من مقاتلي العصابات وعمال الراديو ، عمت أعمالها ساحل الصين كله ومعظم قلب الصين . وكان مديرها الجنرال ثاى لى رئيس قسم المخابرات السرية التابع لشانج كاى شيك . وقد كان هذا القائد يدير أيضاً مدرسة تتعلم الصينيات فيها كيف يتوددن إلى الموظفين والقواد اليابانيين ، وكيف يستطلعن دخائلهم ، ثم كيف يدسسن لهم السم إذا اقتضى الأمر .

وكان بين أعضاء سوكو أمريكيون من عمال الراديو في الأسطول وفيلق مشاة البحرية ، ولكنهم تنكروا في زي الصينيين . وكان رجال العصابات الصينية يذودون عنهم ويحمون حماهم ، وكان هؤلاء الأمريكيون يغيرون على مواقع اليابانيين ويستكشفون مواقعهم الحربية ، ويدمرون مستودعاتهم وجسورهم وقاطراتهم . ولكن أهم أمجاد سوكو ، كانت تقاريرها اللاسلكية عن أحوال الجو وحركة السفن اليابانية .

فقد كان لهذه المعلومات شأن خطير في الحصر البحري الذي ضيق الخناق على اليابان .

أما وقد وضعت الحرب أوزارها . فترى كثيرين يذهبون إلى أن تعزيز قسم المخابرات في الدول يقي من الغفلة والإهمال ، وأنه أمر لا غنى عنه لتوطيد أركان السلام ، كما كان أمراً لا غنى عنه لكسب الحرب

كيف نفهم الروس

أحاديث نقلها "أندريه فيسون"

« هذه خلاصة أحاديث نقلها الكاتب عن خبراء لهم من التجربة والمنزلة مايمكنهم من أن يتكلموا عن ثقة ويقين فى أغمض مشكلة تواجه العالم اليوم . وقد آثر المتحدثون لسبب لايخفى أن تظل أسماؤهم مكتومة »

ليست روسيا — وإن خالها زائرها — سجناً من السجون ، ولا يتسنى إدراك شعور الروس نحو نظام الحكم فى بلادهم إلا إذا تذكرنا ما كانت عليه المدارس الداخلية فى القرن الماضى ، وقسوة إدارتها ، وكثرة نواهيها ، واعتماد معلميها فى التربية على العصى .

فطلبة هذه المدارس كانوا لايصيبون من الطعام إلا أقله وأردأه ، ويرقدون فى حجرات رطبة ، قد رسم لهم أساتذتهم أساليبا يسلكونه فى حياتهم لايحيدون عنه ، وهيهات أن يخطر لصبي أن يفعل مايشتهى ، وكان حتما على الطلبة أن يأووا إلى فراشهم فى ساعة معلومة .

أما الأرض التى تكتنف المدرسة فمنطقة محرمة عليهم ، ومخالطة الغرباء ممنوعة ، أو لاينظر إليها بعين الرضى . وكان للطلبة صحيفتهم المدرسية ، ولكن لايدور بخلد محرريها أن ينتقدوا ناظر المدرسة أو معلميها ، شأنهم كشأن سائر الروس اليوم لايدور بخلد أحدهم انتقاد حكومته فى الصحف . وكل ما كان يستطيعه الطلبة أن ينتقدوا غناء فرقة الإنشاد ، أو أن يطالبوا بالإقلال من تيارات الهواء التى تجرى فى حجرات النوم . وشبيه بذلك حال الروس اليوم ، فإنهم يشعرون بأنهم أحرار فى انتقاد خلل طرق المواصلات والمطالبة بتحسينها حتى يمتنع تعطل عربات السكك الحديدية ، وتعرض راكبيها من الجنود المسرحين للموت برداً .

وكذلك ما كان ليخطر ببال طلبة تلك المدارس أن يبحثوا المسائل الجنسية فى صحفهم . وقلما شعروا أن لهم « حقاً ثابتاً » أن يفعلوا ذلك . وكذلك الروس اليوم لايخطر ببالهم أن لهم أن يبحثوا المسائل السياسية فى صحفهم ، وكان الصبي إذا فوجىء وهو يحادث زملاءه فى المسائل الجنسية ، أدرك أنه ملاق عنتاً وبلاء ، وشبيه بذلك شعور الروس اليوم حينما يجرؤون على انتقاد سياسة بلادهم بحرية ،

فكان جزاء الصبي ضربات بالعصى، أما جزاء الروس اليوم فالنفي إلى سيبريا .

ولكن هل يعني هذا أن الروس غير سعداء في بلادهم ؟ كلا إنما مثلهم كمثل طلبة تلك المدارس ، فهم لم يكونوا غير سعداء على رغم نظامها الصارم ، وربما كان بين الطلبة خوارج يتململون، ولكن الأكثرية راضت نفسها على تقبل تلك الحياة . وربما نزعت نفوسهم في الحين بعد الحين حنيناً إلى بيت يؤويهم ، حيث يجدون الحنان والراحة، وسواد الروس قد نشأوا محرومين من بيت يؤويهم ظله ، فهم لا يعرفون غير «مدارسهم». ولو سألت الروسي اليوم، ممن لا يتجاوز الحلقة الخامسة من عمره ، عن أحوال بلاده قبل الثورة لما تذكر منها شيئاً.

وخطأ أكثر المراقبين الأجانب أنهم يضعون أنفسهم — وهم لا يشعرون — موضع الروس، فإن الواحد منهم إذا جلس في سفارته أو فندقه يحدث أمثاله من الأجانب عن الروس، لا يسعه إلا أن يأسى لهم ويأسف، ولكنه إذا خرج إلى الطرقات واختلط بالجماهير وحادث الناس ، ملكته الدهشة حين يرى الروس لا يأسون لما يأسى له ، ويجدهم أهل مودة وصبر وبشاشة ، بل هم شعب لا يسع من يخالطه إلا أن يحبه .

فإذا أردت أن تفهمهم ، فعليك أن تخاطبهم بلسانهم ، ولكن القلق يستولى عليهم إذا تبين لهم أن محدثهم أجنبي ، فهم يعلمون أن مخالطة الأجانب أمر مستنكر ، فقد قيل لهم إن من وراء حدودهم أقواماً دب فيهم الفساد، وقد قضى عليهم بالفناء . وهم يؤمنون بأن العالم معاد لهم، فهم يخافونه.

ولكنهم يتلهفون على معرفة ذلك العالم. وتصدر حكومة الولايات المتحدة في روسيا صحيفة مصورة اسمها « أمريكا » ، فحددت السلطات السوفيتية عدد ما يوزع منها بعشرة آلاف نسخة ، والثمن المقرر للنسخة ٢١ قرشاً ، ولكن أعدادها القديمة تباع في السوق السوداء بمئة ريال ، ولو طبع منها خمسون ألفاً مثلا لنفدت جميعاً. ولا جدال في أن هناك كثيراً من الروس يتلهفون على معرفة أخبار العالم ، ولكن « مدرسيهم » يلقنونهم أن مفارقة «المدرسة» خطأ كبير، فلا يعصون ما يؤمرون .

ولا جرم أن أكثر الروس إثارة لاهتمام الأجانب هم العلماء والكتاب ومؤلفو المسرحيات والممثلون والفنانون ، ولكن قل بين الدبلوماسيين والصحفيين من أتيح له أن يحادثهم في خلوة . ولا يلقاهم إلا من عرف منهم بالصدق والصرامة، فما يخشى عليه بأس من مقابلة هؤلاء الأجانب. وإذا سئل أكبر رجال الفكر من الروس: هل يضايقه

أن يقضى السهرة مع أحد الأجانب أجاب : « اطمئنوا ، فالمكلفون بمعرفة ذلك يعلمون أنكم زوّارنا فى هذه الليلة » .

وليس من المتوقع حدوث انقلاب فى شعور الروس، وقد خيل لبعض المراقبين الأجانب أنهم لحوا فى قادة الجيش الأحمر بوادر التبرم من تلك الحالة ، ولكن هذه أمنية وحسب، فإن محاكمات سنة ١٩٣٧ و ١٩٣٨ أجريت «لتطهير» القيادة العليا فى الجيش الأحمر ، ولم تزل منذ ذلك تنقّى من كل عنصر يشوبها. والجيش الأحمر موزع فى مناطق متراحبة حتى لايتسنى لقواده أن يجتمعوا معا . والمارشال الروسى نشّىء ليكون أداة حربية، وقد يجزل له العطاء والتبجيل وألقاب الشرف، ولكن حرّم عليه أن يكون له فى السياسة رأى . والمارشال زوكوف هو خير مثال لهذه الدُّمَى العسكرية ، فهيهات له أن يبدى رأيا فى أبسط المسائل السياسية دون مراجعة موسكو .

وقد دل المراقبون السياسيون على أنهم يخطئون تمام الخطأ فى فهم روسيا وستالين، حينما أعلنوا أنهم يعتقدون أن ستالين سيتخلى قليلا قليلا عن أزمة الحكم ، فإن ستالين لن يتخلى عن الحكم إلا إذا مات .

وإن خشيته لمستقرة فى قلوب رعاياه جميعاً ، فهم يعلمون أن مصيرهم اليوم رهن بكلمة يلفظ بها ، غير أن الناس جميعاً يحترمونه ويوقرونه . وهم ينظرون إليه اليوم كما كان الروس ينظرون إلى القيصر إيفان المخيف فى القرن السادس عشر، وقد يكون ستالين مخيفاً ، ولكنه درعهم وملاذهم . وإذا سارت بعض الأمور على غير مايشتهى ، فاللوم واقع على مرؤوسيه ، أما هو فمصدر كل خير .

ولايزال ستالين يقبض بيده على زمام السلطان المطلق بغير قيد ، ولعل أعضاء المكتب السياسى، وعددهم ١٣، هم وحدهم الذين يتمتعون بالحرية فى مكاشفته بآرائهم . ولم يتسن لأى مراقب من المراقبين الأجانب أن يعلم هل لأعضاء هذا المكتب آراء سياسية متباينة . ولعل عمل هذا المكتب هو المظهر الوحيد للديمقراطية فى روسيا ، لأن أعضاءه وحدهم هم الذين يسمح لهم بالاجتماع معاً للتعبير عن آرائهم بحرية .

فإذا أخذوا يتكلمون ، راح ستالين يدور حول المائدة ذهابا وجيئة ، ثم إذا هو يقف فجأة ويقول: «أعتقد أن الرفيق فلانا على صواب » وبذلك تنتهى المناقشة . وهو يلقى باله للآراء المختلفة التى يدلى بها الأعضاء،

وقراره الأخير يكون غالباً في صف الأكثرية، فإن أيد رأى الأقلية فلن يخطر ببال الأعضاء أن ينازعوه أو يعارضوه .

ولاسبيل اليوم إلى نشوء جبهة معارضة من أعضاء المكتب السياسى . وقد يحدث أن يجد العضو نفسه خارجا على رأى الأكثرية، ولكنه إذا تكرر وقوفه في صف المعارضة، كان مصيره مفروغا منه ، إذ لن يلبث حتى يفصل ويحل غيره محله .

وأقل الأعضاء شهرة ، وإن كان أكثرهم سلطانا ، هو مالنكوف سكرتير الحزب الشيوعى ، وهو منصب ظل فيه ستالين قبله عشرين سنة ، فعلى يديه يتم تعيين كل موظف كبير أو ترقيته ، وكل مايجرى في حياته . ولايتدخل مولوتوف تدخلا مباشراً في رسم السياسة الداخلية ، ولكنه قد يكون له أثر في توجيهها بفضل تقاريره التي يقدمها عن السياسة الخارجية . وأقل الأعضاء نفوذاً هو المارشال فوروشيلوف، والاعتقاد السائد أنه رجل على شيء من الغباوة ، ولكن الغباوة وحدها لاتعد جريرة في روسيا ، كشأنها في سائر الدول ، فقد يكون فوروشيلوف وأضرابه رجالا ليس لهم من التأثير سوى قليل ، ولكنهم يحتفظون بمراكزهم ورتبهم وامتيازاتهم ما داموا على ولائهم لستالين .

وقد بدأ كثير من المراقبين الأجانب يميلون أخيراً إلى القول بأن زعماء الاتحاد السوفيتى قد أصبحوا أقرب إلى الوطنيين منهم إلى الشيوعيين . وهذا ليس بصحيح ، فإنهم في قرارة أنفسهم متشبثون بمذهب ماركس ولايحيدون عنه . ولما كان لاغنى للناس عن الوطنية ، كما لاغنى لهم عن الدين، ترى هؤلاء الزعماء يتخذون الوطنية والدين أداة لخدمة مذهب ماركس .

هل يرتاب زعماء السوفيت في الديمقراطية الغربية؟ ليس التعبير الصحيح أن نقول إنهم يرتابون فيها ، بل إنهم لايثقون بها . فغلوُّهم في التمسك بالأمر الواقع ، وإيمانهم بمذهب ماركس ، يجعلهم يحكمون على الناس بأعمالهم لا بأقوالهم . وهم غير راضين عن أعمال حلفائهم السابقين . ولنسلّم بأن بعض هذه الأعمال لم يكن صوابا ، ولكن لو كانت أعمال حلفائهم كلها على صواب ، وفيها خير كثير ، لما اطمأن لها زعماء السوفيت أقل اطمئنان .

وهم ، لإيمانهم بمذهب ماركس، يعتقدون أن الفرد غير مختار ، وأن أعمال البشر تصرّفها أحكام التاريخ الاقتصادى ، وهى أحكام نافذة وهم قد يقرّون بأن مستر روزفلت ومستر بيفن يريدان لهم الخير ،

ولكنهم يؤمنون أشد الإيمان بأن روزفلت، سواء أراد أم لم يرد، مضطر إلى اتباع منطق الرأسمالية، وكذلك بيفن.

والأمر الذى أمر به الروس صغيرهم وكبيرهم فى كل شئون الحياة، هو هذا: «لا تكثر من اعتقاد الآراء لنفسك، ودع الآراء لنا نحن». وهناك حادثة جرت بين أحد المؤلفين الناجحين والرقيب، فقد قرأ الرقيب الكتاب الأخير للمؤلف وقال له: «فى كتابك آراء.. آراء كثيرة»! ثم سكت قليلا وهز كتفيه وقال: «والآراء تدفع الناس إلى التفكير، فإذا بدأوا يفكرون لم تستطع أن تعرف كنه الأفكار التى سوف تجول فى عقولهم. ولهذا لا يمكننى أن أوافق على نشر الكتاب كما هو».

وتأويل فلسفة ماركس هذا التأويل القائم على النظام الجامع، هو طابع الحياة فى روسيا السوفيتية كلها، ولعله أحد الأسباب التى تجعله عسيراً على زعماء السوفيت أن يفهموا العالم الخارجى، فهم يمقتون أشد المقت حرية الرأى وحرية الصحافة، فتراهم يشيرون إلى مقالة نشرت منذ ستة أشهر فى صحيفة أمريكية تصدر فى إحدى المدن الصغيرة ويظنونها من وحى وزارة الخارجية الأمريكية، ويجدون فيها الدليل على اتجاه جديد فى سياسة الولايات المتحدة.

فإذا أنت شرحت لهم معنى حرية الصحافة فى أمريكا لم يصدقوك، أو حسبوك من الخادعين، فإن صدقوك سألوا: «وكيف نثق بحكومة يبلغ من ضعفها أن لا تقدر على شىء حتى على مراقبة صحفها!»

ولكن هل معنى هذا أن الحرب بيننا وبين الروس ناشبة فى المستقبل القريب؟ لاجرم أن يكون مثل هذا الاحتمال غير مستبعد، ولكننا لسنا من أتباع مذهب ماركس، فمن أجل ذلك تتسع صدورنا لأن نعتقد أن الحرب ليست حتما مقضياً، بل الأمر على النقيض، فلدينا من الأسباب ما يجعلنا نظن أن نشوب الحرب أو تفادى نشوبها لا يتوقف على مسلك روسيا بقدر توقفه على مسلك بريطانيا والولايات المتحدة.

وروسيا لا تريد فى العهد الحاضر أن تغزو العالم، فإن زعماء الروس يعلمون أن هذه الغاية مستحيلة، وإنما مطلبهم هو الظفر بأكبر قسط من الأمن. وهم فى سعيهم وراء هذا الأمن يدفعون ببلادهم إلى كل جهة يعتقدون أنهم لن يصادفوا فيها من يقاومهم، ولذلك لا ينقطع تطلعهم إلى «لقمة سائغة» بقرب حدودهم، فإن وجدوا مجالا خالياً وثبوا إليه. فالوسيلة الوحيدة لمنع الحرب هى أن تحرص الولايات المتحدة وبريطانيا على أن لا تدع فى

آسية وأوربة عالا خالياً من الوجهة السياسية أو الاقتصادية .

وأكبر خطر يهدد السلم اليوم هو أن الولايات المتحدة وبريطانيا لم تقرر واحدة منهما إلى اليوم خطاً محدداً تقف عنده وتقاوم ولا تتراجع، بل هما دائبتان على مباحثة روسيا على أساس «مبدأ عالم واحد» وهذا أساس ينهار تحت أقدامهما شيئاً فشيئاً .

وهناك سؤال آخر: أمن الممكن التعاون مع روسيا ؟ فإذا قصدنا بالتعاون ذلك التكاتف الحادث بين أمريكا وبريطانيا ، أو بين بريطانيا والدنمرك ، أو بين الدنمرك والسويد ، فالجواب مع الأسف هو: كلا ، ولكن الممكن هو التعامل مع روسيا. وقد تعذر من قبل التعامل مع ألمانيا ، لأنها كانت تريد أن تسيطر على العالم ، ولكن الروس اليوم لا يريدون شيئاً كهذا ، وإن اعتقد زعماؤه أن الشيوعية ستعم العالم يوما ما بحكم منطق التطور التاريخي وحده . وهم لن يترددوا في حث هذا التطور كلما وجدوا الفرصة مواتية وأينما وجدوها ، ولكنهم لا يؤمنون بأن الحرب أمر لا مفر لهم منه لبلوغ ذلك الهدف .

وليس من المتوقع ، مادامت السياسة السوفيتية كما هي اليوم ، أن تربطنا بروسيا روابط من الثقافة المتشابهة أو الرأي المشترك، فقد رأينا أن عاقبة تلهف الشعب الروسي على الصحف الأجنبية أفضى إلى أن قرر زعماؤه التقليل من اتصاله بالعالم . ولن تثمر الخطط الموضوعة لتبادل الطلبة بين روسيا وغيرها من البلدان ، فإن روسيا لن تأذن بإيفاد طلبة إلا القليل ممن طبعتهم الشيوعية بطابعها ، فلا يفتنهم عن إيمانهم شيء من فتن المذاهب أو رغد العيش في الممالك الرأسمالية .

ويعمد المراقبون العسكريون إلى تقليب أوجه الرأي في مقدار الفوضى التي يعتقدون أنها ستعم روسيا بعد موت ستالين. ولا شك أن شيئاً من الاضطراب سيعقب موته ، ولكن لا جرم أن يكون ستالين وأعضاء المكتب السياسي قد تدبروا هذا الاحتمال ملياً ، فإذا مات ستالين انتقلت السلطة إلى المكتب السياسي . وسيكون الجيش مبعثراً في نواحي روسيا المترامية الأطراف ، فلا يبقى له أقل نفوذ سياسي . ومن المحتمل بطبيعة الحال أن ينشب بين أعضاء المكتب السياسي صراع شديد لانتزاع السلطة ، ولكن هؤلاء الأعضاء الثلاثة عشر ليسوا من الحمق ، فهم يدركون أن كل خلاف خطير بينهم سيكون فيه القضاء على وطنهم وعلى أشخاصهم .

وليس في روسيا اليوم جبهة منظمة تضم

المتذمرين ، وأوكرانيا هى الرقعة الوحيدة التى ينبعث منها بين الحـين والحين حركة تدل على وجود تيار من المعارضة . وخطر هذه الرقعة لا يغيب عن أذهان قادة السوفيت ، فهم أبداً يلاحظونها بعين ساهرة ويسلطون عليها دواماً سيف محاكمات التطهير ، وإذا اشتد ساعد أحد قادة المعارضة أجهزوا عليه لساعته .

ويقول قادة السوفيت إن الذى يسوّغ لهم اتباع هذه السياسة العنيفة بلا رحمة ، هو إيمانهم بالرسالة التى يضطلعون بها . وقد قصد ستالين جماعة من الشيوعيين الفنلنديين يسترشدونه فى الخطة التى يجرون عليها ، وسألوه عن أغراضه الرئيسية ، فكان جوابه أنه يريد أن ينهض بالشعب الروسى البالغ عدده ١٨٠ مليون من وهدة الفقر والجهل التى كان يتردّى فيها قبل الثورة ، ليصبح شعباً كريماً قادراً على بناء صرح مدنيـة جديدة ، وعلى الدفاع عنها والذود عن حياضها .

ولعل العبء الذى يلقيه قادة السوفيت على عاتق شعبهم هو أثقل عبء تحمله شعب من قبل ، ولكن هؤلاء القادة قد توّجوا هامة روسيا بإكليل النصر ، وهم الآن يَعِدونها بالأمن والرفاهية . ومادام الروس يثقون بهـذه الوعود ، فإنهم سيسيرون طائعين وراء قادتهم .



العقل راحة من تعب

منـذ جيلين هُرِع أحد سكان بوسطن إلى حكيمها الدكتور إدورد إفريت ، والغيظ ينهش قلبه ، فقد نشرت إحدى الصحف مقالاً نُقد فيه هذا الرجل نقداً لاذعا ، فجُن جنونه ، فسأل الحكيم ، ماذا يفعل : أيطلب اعتذاراً ينشر فى الصحيفة نفسها ، أم يقيم قضية ويطالب بتعويض ؟ فأصغى إليه الدكتور إفريت ، ثم قال : « ماذا تفعل ؟ لو كنت مكانك ياسيدى العزيز ، لما فعلت شيئاً . فنصف الناس الذين يقرأون هذه الصحيفـة لم يقع نظرهم على المقال ، ونصف الذين وقع نظرهم عليه لن يقرأوه . ونصف الذين قرأوه لم يفهموه ، ونصف الذين فهموه لم يصـدقوه . ونصف الذين صدقوه لا خطر لهم ولا شأن على أية حال ! »

باب الكتب



تلخيص كتاب

الأميرال رتشرد إ. بيرد



هذا هو الكتاب الذى تردد الأميرال بيرد أربعة أعوام فى كتابته. وهو وصف لتجربة خاصة فى القطب الجنوبى، ظل زمنا طويلا لا يستطيع أن يحمل نفسه على الإفضاء بها.

وما زال « وحيد » كتاباً من أروج الكتب وأوسعها انتشاراً منذ ظهر. وقد قالت عنه جريدة نيويورك هرالد تربيون، إنه « من أعظم الروايات قوة، وأشدها تحريكا للنفس، وهو كتاب عظيم ينبض بالحياة ».

وحيد

أنشأت بعثتنا إلى القطب الجنوبي قاعدة للأرصاد الجـــوية سميتها قاعدة « بولنج » . وكان موقعها قريباً من مركز القطب ، في صعيد من الجمد مترامي الجوانب مطبق الظلام ، بين قاعدة البعثة الأصلية ومركز القطب في داخل المنطقــة المتجمدة الجنوبية . وقد أقمت فيها وحدي أديرها طول ليالي شــتاء القطب الجنوبي من عام ١٩٣٤ ، فكانت أول محطة أقام فيها إنسان في جوف تلك القــارة المتجمدة الجنوبية .

وكانت فكرتي الأصليــة أنه ينبغي أن يتولى العمل في القاعدة ثلاثة رجال — اثنان للمراقبــة الجوية ، وعامل لاسلكي . ولكننا ما كدنا نصل إلى «أمريكا الصغرى» ، وهو الاسم الذي أطلقناه على قاعدة بعثتنا ، حتى كان شهر مارس قد انتصف ، وبدأ الشتاء يُقبل . وكان من جراء ازدياد البرد واشتداد العتمة ، ووجود ثغرات خفية في كتلة الجليد ، أن صار الزحف إلى الداخل خطراً . وأرسلت جماعة تقدمتنا بالجرارات لإقامة قاعدة في جوف المنطقــة المتجمدة على مسافة ١٢٣ ميلا إلى الجنوب ، فلاقت مصاعب ميكانيكية شتى . ولم يكن في الوسع نقل المؤن اللازمة لثــلاثة رجال في الوقت المناسب ، فكان لابد من الاكتفاء برجل واحد ، وهــذا الرجل هو أنا . فما كان يسعني أن أكلف واحداً من المرؤوسين بهذه المهمة .

وكانت هذه القاعدة الأماميــة ، فضلا عن هذا ، هي همي منذ البداية . ففي أثناء رحلتي إلى القطب الجنوبي في ١٩٢٨ — ١٩٣٠ خطر لي أن الأرصاد الجــوية إذا دونت في قاعدة داخلية دائمة ، ونُسِّقت مع البيــانات التي تجمع في الوقت نفسه في « أمريكا الصغرى » ، خليقة أن تلقي نوراً

كاشفاً على الأحوال الجوية فى هذا النصف الجنوبى من الكرة .

ثم إنى أردت أن أذهب من أجل التجربة ذاتها . فبعد سنوات عديدة من البلبلة المتراكبة التى أورثتنيها رحلات شتى، شعرت بشىء من الحيرة ، ووددت أن أذوق طعم السكون التام والوحدة ، وأن أغوص غَوْصاً على فلسفة تملأ شعاب النفس . أما من حيث الشئون العملية للحياة فقد كنت أشعر أن تجربتى كرائد، قد أكسبتنى الاعتماد على النفس، وكان هذا من سوء تقدير يدل عليه أنى كدت أفقد حياتى .

وطرت إلى القاعدة الأمامية فى ٢٢ مارس وعاد الطيار على الفور لئلا يجمد الزيت فى المحرك فتستحيل إدارته مرة أخرى . ووجدت الذين سبقوا بالجرارة عاكفين على حفر حفرة طولها ١٥ قدما ، وعرضها ١١ قدماً ، وعمقها ٨ أقدام ، وهى سعة كافية لكوخى الذى ركب لى خاصة ، ومتى نزل الكوخ فى الثلج فإنه يكون فى أمان من الريح وما تذروه من الثلج . والريح عند حاجز « روس » الثلجى ، الذى يقع على أقل من عشر درجات من القطب الجنوبى ، تثور بسرعة عظيمة وتذرو الثلج وتركه على أى جرم قائم . والحاجز منبسط مستو كأنه سهل ، وترى الثلج يتصاعد أبداً حتى يكتنف حواشى قبة السماء المضروبة على دائرة أفق لا ثغرة فيه .

وقد أطيلت الحفرة لتتسع « لشرفتى » التى صنعت بأن مُدّ السقف مقدار قدمين بعد الحائط عند الطرف الغربى ، وبذلك تهيأ لى ممر إلى سردابين متوازيين : أحدهما مخزن للوقود ، والثانى للمؤن . وفى أقصى طرف السرداب المفرد للطعام حفرنا ثغرة لبيت الخلاء ، وهو يمتاز ، كما قال أحد الرجال ، « بالمجرى المكشوف » . وفى أحد أركان السقف الناتىء باب يرتقى إليه بسلم ، ويؤدى إلى ظهر الأرض .

واتخذت لتدفئة الكوخ موقد زيت ذا غطاءين، تمتد مدخنته على أحد الجدران قبل أن تخرج من ثغرة فيه ، وقد ظننا أننا بهذا قد هيأنا بديلا من جهاز لنشر الحرارة ، ولكنه كان بديلا غير متقن . وكنا قد فقدنا أنبوبتين أو ثلاثاً على الطريق، فاضطررنا أن نصنع وصلات من صفائح سعة الواحدة منها خمسة جالونات، فصار هذا الجهاز الساذج البرىء المنظر ، هو الذى تتوقف عليه حياتى أو موتى .

وفى ٢٨ مارس حين عاد رجال الجرارة إلى « أمريكا الصغرى » ، أمرتهم أن لا يبذلوا من أجلى أى جهد لإنقاذى إذا كف الراديو عن العمل ، وقلت : « مهما يكن ما يحدث

فاذكروا أنى هنا فى هذا الكوخ خير حالاً مما عسى أن تكونوا على الحاجز إذا جئتم لمعونتى » .

وبعد أن ذهب الرجال هبطت إلى الكوخ فراقنى ما وجدت . فقد كانت وسائل العيش المكفول كلها فى متناولى ، فى عالم أستطيع أن أقطع ما بين أطرافه بأربع خطوات من ناحية، وثلاث من ناحية أخرى. ولم يكن عالماً مشرقاً ، فقد كان مصباح العاصفة فوق مرقدى خافت الضوء ، وكان مصباح البترول المدلى من السقف يلقى ضوءه كله على نقطة واحدة ، فتبدو الظلال أسود وأحلك. على أن هذا الخفوت أكسب المكان سعة عميقة حسنة الوقع . وكان معى فونغراف خفيف الحمل للتسلية .

ولما خلعت ثيابى فى تلك الليلة الأولى ، سخطت حين لمست قدمى العارية الأرض الباردة ، وبعد أن فتحت الباب للتهوية ذهبت أعدو إلى مخدعى قبل أن يدركنى البرد الداخل ، وسرنى — إذ تذكرت بيت الخلاء على مسافة ٣٥ قدما فى السرداب — أن كُلْيتىّ سليمتان .

ووجدت فى الأيام القليلة التالية أن الأجهزة الجوية ستكون مَشْغلة كبيرة ، وكانت ثمانية منها تعمل باستمرار ، ولم تكن تمضى ساعة من النهار لا أشتغل فيها بتعهدها أو بتدوين الأرصاد .

وكان الترتيب أن أتصل بالراديو « بأمريكا الصغرى » فى الساعة العاشرة من أيام الأحد والثلاثاء والخميس ، وكان جهازى يسمح بأن تتحدث « أمريكا الصغرى » إلىّ ، ولكنى كنت لا أستطيع أن أجيبها إلا بالنقط والفواصل، أى برموز مورس. وقد شجعنى تشجيعاً عظيما أنى نجحت فى أول محاولة لإرسال رسالة بالرموز على الرغم من قلة تجربتى . وقد استطاع جون داير ، وشارلى ميرفى أن يحلا رموز رسالتى بطريقة ما .

وأقبل شهر إبريل بالثلج والرياح ، فأحسست أنى آخر من بقى حياً من العصر الثلجى ، وأنى أستمسك بالحياة بما خلف لى عالم معتدل الجو ميسّر له العيش، من أدوات هزيلة . والبرد يصنع الأعاجيب ، فإذا هبطت درجة الحرارة إلى خمسين تحت الصفر ، فإن النور الساطع يخمد فى يدك ، وإذا هبطت إلى الخمس والخمسين فإن البترول يتجمد ، ولهيب المصباح يخمد على الذبالة ، وعند درجة الستين تحت الصفر يتغلغل البرد إلى أضأل قطرة من الزيت فى الجهاز ويقضى عليها ، وإذا كان هنالك أخف نسيم فإنك تستطيع أن تسمع نَفَسك وهو يتجمد إذ يسبح ، فتجد له

صـوتاً كصوت فرقعة شريط صغير من البارود .

وقد دعاني البرد — حتى برد إبريل المعتدل نسبياً — إلى التفكير في أمور كثيرة ، فقد جمد النوفوكين (مخدّر) في صندوق الأدوية ، وحطم أنابيب الزجاج ، وانفجرت زجاجات عصير الطماطم في صندوقين ، واضطررت أن أضع الطعام المحفوظ إلى جانب الموقد طول النهار ليذوب ماجمد منه . وكان الصقيع يتجمع على نقط الاتصال الكهربائي لجهاز الريح ، ومقياس سرعتها واتجاهها فوق الكوخ ، وكان تنظيفها عملا مؤلماً ، ولاسيما في الليالي العاصفة . وقلما كنت أهبط عن عمود مقياس الريح الذي يبلغ ارتفاعه إثنتي عشرة قدماً إلا بإصبع أو أنف أو خد أضرّ به الصقيع .

وكان الكوخ دائماً شديد البرد في الصباح ، وكان الصقيع يكسو مرقدي في حيث تكثفت أنفاسي . ولم يكن التوقي بقفازات من الحرير ليمنع أصابعي أن تجد لسعة وألماً من لمس المصباح أو الموقد حين أشعلهما . وكانت بشرة جلدي القديمة قد تقشرت عن الأطراف من لمس الأشياء المعدنية المقرورة ، فالجلد الجديد حساس إلى درجة لا تطاق .

وكنت قبل أن أبدأ الحياة في « القاعدة الأمامية » ، أتناول الحياة في يسر وكيفما اتفق ، وأعمل حين أحس بالرغبة في العمل ، أما الآن فقد صار النهج المنتظم هو وسيلة الدفاع الوحيدة ضد الوحشة التي تطير العقل . ولم يسعني إلا أن أعترف بالوحشة ، ولم أستطع على فرط اجتهادي أن أتلقى هذه الوحشة بغير احتفال ، لأنها كانت أعظم من أن تسمح بذلك ، ولهذا اجتهدت أن أشغل أيامي بالواجبات المنتظمة المطردة حتى لا أفكر في وحشتي .

وأخذ إبريل يمضي ، فأخذ النهار في القصر . وكانت الشمس منذ أسابيع تبكر في الغروب ، وتتأخر في الشروق . والآن ومابقي على ضوء النهار إلا أسبوعان ، فقد صارت الشمس كرة عظيمة لا تكاد ترفع نفسها عن الأفق . فكانت تدور ساعات قليلة وقد حجبها الضباب ، ثم تغيب عن النظر بعد الظهر بقليل . وألفيت نفسي أنظر إليها وأرقبها كما ينظر المرء إلى حبيب يفارقه .

وكان كل يوم تقريباً يأتي بما يذكرني بالأخطار المتنوّعة للعزلة ، وكان الصقيع لاينفك يسدّ مدخنة الموقد ، وأنابيب التهوية ومجرى العادم من المولد الكهربائي للراديو . ومع أن المشي كان دائماً رياضتي المحببة ، إلا أني لم أكن أجرؤ أن أدع عمود مقياس

الريح يغيب عن عينى ، وهو العلامة الوحيدة على مسافة مئات من الأميال .

وأردت أن أزيد مسافة ما أمشيه ، فوضعت علامات على طريق طوله مئة ياردة ، وغرست أعواداً من الخيزران طولها قدمان ، وجعلت بين كل عودين ثلاث خطوات ، ولكنى فى أحد الأيام المظلمة كنت ذاهلا فتجاوزت آخر عود ، فلما درت لأعود لم أر علامة ، فهالنى أنى لا أدرى إلى أى مدى ذهبت ، وفى أى اتجاه أسير ، فألقيت نور المصباح الكشاف على « الحاجز » ، ولكن قدمى لم تتركا أثراً على الأرض الصلبة ، فعرانى الخوف ، وكان أول ما خطر لى هو أن أجرى ، ولكنى كبحت هذه الرغبة ورحت أتدبر الموقف .

ولما كانت الحقيقة الوحيدة التى أستطيع أن أبنى عليها هى الاتجاه الذى أقبلت منه ، فقد حفرت فى الثلج صورة سهم مسدد إلى هذا الاتجاه ، ثم كسرت قطعاً من طبقة الثلج وكومتها وجعلتها بمثابة منارة . ثم تطلعت فوجدت نجمين على امتداد خط السهم ، فجعلت عينى عليهما وسرت مئة خطوة ووقفت ، وأدرت النور الكشاف حولى فلم أر شيئاً سوى الحاجز المسيح .

ولم أجرؤ أن أواصل السير مخافة أن أفقد المنارة الثلجية ، فعدت أدراجى وفى المرة التالية انحرفت ثلاثين درجة إلى اليسار ، وبعد مئة خطوة لم ار شيئاً ، كما حدث فى المرة السابقة .

فقلت لنفسى : لقد ضعت ! وهالنى الأمر ، وأدركت أن على أن أطيل المسافة من المنارة ، وقد أضل بعد ذلك ولا أهتدى إلى المنارة ، ولكنه لم يكن ثم بديل من هذا إلا أن أجمد ويقتلنى البرد حيث أنا . ولهذا استقر عزمى على أن أزيد المسافة ثلاثين خطوة فى الاتجاه نفسه ، فأعليت كوم الجليد بقطع أخرى ، وبعد أن خطوت الخطوة التاسعة والعشرين ، رأيت عوداً من الخيزران لا يزيد بعده على ثلاثين قدماً ، وما أظن أن بحاراً تحطمت سفينته ولمح شراعاً بعيداً ، يمكن أن يكون أعظم منى سروراً .

وكانت الأيام الأولى من شهر مايو أبدع ماص بى . فقد كانت الريح لا تكاد تتحرك ، وكان البرد يهبط من القطب ، وكانت السماء سوداء كالفحم ، وضوء الشمس الغاربة يسطع كالنار الموقدة ، وشمل « الحاجز » سكون ، فلا حس ولا نبأة . ولم أعهد مثل هذا السكون التام من قبل .

والوحدة معمل بديع يتجلى لك فيه مدى تأثير الناس فى أخلاقك وعاداتك ، فسرعان ما نبذت آداب المائدة ، ورحت

آكل بأصابعى ، أو من علبــة ، أو وأنا واقف .

وحياة الوحدة تمحو الحاجة إلى المظاهر الخارجية ، فبعد فترة كففت عن السخط واللعن ، وإن كنت فى البداية سريعاً إلى الإعراب عن نقمتى على كل ما يمتحن به صبرى ، ولم يزايلنى روح الفكاهة ، ولكنى الآن أضحك حين أضحك بقلبى ، كأنما نسيت أن أخرج صوت الضحاك ، ووجدت أيضاً أن الألفاظ ، حين أنطق بها ، تبدو لى خاوية وغير مألوفة .

وتركت شعرى ينمو ، لأنه طال حول عنق فأفادها الدفء ، وقد حرصت على أن أحلق ذقنى مرة كل أسبوع ، لا لسبب سوى أن اللحية تجمد من الأنفاس فيترد الوجه ويثلج . ونظرت ذات صبــاح فى المرآة ، فقلت لنفسى إن رجلا ليس معــه امرأة ، يذهب عنه العـجْـب ، فقــد كان خدّاى متقرحين، وأنفى أحمر وارماً من عضّ القرّ مئات من المرّات، ولكن منظرى لم تكن له قيمة. وكل ما كان يعنينى هو ما أشعر به، وقد كنت حسن الحال إذا استثنيت الصداع أحيانا.

وفى أوليـــات مايو نجوت ذات يوم بأعجوبة ، وكنت أتمشى كعادتى بعد الظهر خارج الكوخ، فألفيت نفسى فجأة منطرحاً على وجهى بطولى فوق الثلج، وإحدى ساقى متدليــة فى ثغرة مفتوحة ، فزحفت مبتعداً بوصة بعد بوصــة ثم تراجعت ، وألقيت على المكان نور المصباح الكشاف لأرى ماحدث.

فوجدت أنى اخترقت بساقى السقف الثلجى لثغرة خفية — ثغرة لاتستطيع أن تفطن إلى وجــودها من السطح الصلب . وكان طول الفتحة ثلاث أقدام فقط ، ولكن جوفها واسع كالكهف العظيم ، وجدرانها يتغير لونها من الأزرق إلى الزمردى وهو لون ثلج البحر ، ولم أستطع أن أرى قعرها، ولا بد أن عمقها يبلغ مئات من الأقدام . وقد كان من حسن حظى أنى تخطيت فتحة الفجوة بعرضها ، ولو أنى كنت سائراً فى أى اتجاه آخر ، لكان من الممكن أن أقع فيها . وقد غرست أعواداً من الخيزران فى موضع الخطر .

ولما كان اليوم السابع عشر من مايو ، بعد شهر من غياب الشمس تحت الأفق ، صار الشفق الذى يبدو عند الظهر، لا أكثر من شقّ فى الظلام يضيئه وهج محمر بارد ، وأصبح « الحاجز » عبارة عن ظل راكد هائل تعلوه كتل متراكبة من السحاب ، وطبقــات من الظلام بعضهــا فوق بعض ، وهــذا هو الليل القطبى ، ووجه العصر الثلجى الكئيب . فلاشىء يتحرك ، ولاشىء يُرى . فكأننا حيال روح الجمود .

وأقبل البرد من جوف الظلام الذى يزداد حلوكة . وفى يوم الأحد العشرين من مايو وقف مقياس الحرارة فى الكوخ عند درجة ٧٥ تحت الصفر . وعند منتصف الليل صعدت من الكوخ لأرى الضوء القطبي ، فما كدت أخرج كتفى من الباب حتى اعترانى شعور غامر بالاختناق ، وتفتحت رئتاى ولكن الهواء لم يصل إليهما ، فثنيت رأسى وتنفست فى القفاز .

وقلما كان الشفق القطبي يسطع بمثل هذا اللهب الخالص . وكان ممتداً فى السماء من الجنوب إلى الشمال على هيئة إهليلج عظيم ، وفيما وراء الطرف الجنوبى كان رداء النور الوهاج يطرح ثناياه وحواشيه على القطب الجنوبى .

وبينما كنت أرقب هذا المنظر تغيرت هيئة الشفق ، فصار أشبه بأفعى عظيمة وضاءة تتحرك ببطء على سمت السماء . وفى الوقت نفسه بدأت ثنايا ذلك الرداء الملقى على القطب تتموج كأنما أخرجتها عن جمودها قوّة سماوية ، وراحت الطيّات الأفعوانية تلتف على النجوم فتختنق واحداً بعد واحد ، فكنت كأنما أشهد مأساة كونية ، وكأن الأفعى التى تمثل قوات الشر ، تمحق الجمال .

واختفت الأفعى بغتة وعادت النجوم ، ورفع الرداء عن القطب كأنما نحّته الريح التى أقبلت فى تلك اللحظة تخفق فوق الحاجز ، فسرى فى بدنى دبيب الإحساس بأنى رأيت منظراً لم تقع عليه عين إنسان فانٍ آخر .

وصارت حياتى بقية هذا الشهر حياة عقل على الأكثر ، وأصبحت وأنا افكر وحدى فوق هذا الحاجز ، أقدر على التمييز بين ماهو عندى سمين وماهو غثّ ، وتعلمت ماطال تنبيه الفلاسفة إليه — أن الإنسان يستطيع أن يحيى حياة عميقة مستغنياً عن كثير من الأشياء . وتغير حتى رأيى فى النجاح وتعريفى له ، وملت إلى الاعتقاد أن غاية الإنسان الأولى ينبغى أن تكون التماس الوسيلة إلى مقدار من التناسق فى نفسه وبين أهله ، وبهذا يفوز بالسكينة .

وكانت هذه فترة جليلة . ولم أكن أشعر إلا بعقل أوتى السكينة ، ومع ذلك كنت أحس أنى أوفر حظاً من الحياة مما كنت فى أى وقت آخر . وما أقل لحظات السكينة والصفاء فى حياة الإنسان ، ولكن قليلا من هذه اللحظات حَسْبُه زاداً طول العمر .

وقد فزت حينئذ بنصيبي من سكينة النفس ، وقد بقيت الأصداء الجليلة تتردّد فى نفسى زمناً طويلا .

وهوت الضربة على رأسى يوم الخميس

الحادى والثلاثين من شهر مايو ، وكنت فى الصباح أتحدث مع «أمريكا الصغرى» ، وإذا بآلة البترول التى تولد فى السرداب الكهرباء لجهازى ، يضطرب عملها ويتقطع. فأرسلت إلى داير إشارة أن « أنتظر » ، ووجدت الهواء فى السرداب مشبعاً بغازات العادم ، وظننت أن بالوقود شيئاً ، فانحنيت على مولد الحرارة ، وكان هذا آخر عمل أتذكره. والذى أذكره بعد ذلك أنى زحفت إلى الكوخ على يدى وركبتى وأنا أتألم ، ورأيت جهاز الراديو كأنه ملفوف فى ضباب ، فتحسست حتى وجدت المفتاح وأغلقته .

ورقدت قليلا على السرير ، ولكن عدم انتظام حركة المحرك ذكرنى بأن على أن أوقفه لأتقى الاختناق ، فلما انقلبت عن السرير أصابنى الدوار ، واضطرب قلبى ، فزحفت ببطء وألم إلى مفتاح الكهرباء ، ثم ارتددت إلى السرير .

ومضت بقية هذا اليوم الأخير من مايو وكأنها خيالات وأحلام ، وكان يخيل إلى أن ما أعانيه من الألم فى عينى ، ومن الصداع والغثيان ، والخفقان العنيف ، وتعاقب نوبات الدوار الحارة والباردة — كل ذلك غير حقيقى إلا البرد فإنه كان حقيقياً. وكان الخدر الذى أحسه فى يدى ورجلى يدب فى بدنى كأنه شلل بطىء .

وقد صفا ذهنى فى تلك الليلة إلى حد تيسر معه أن أتبين ما حدث ، فلابد أن أنبوب العادم قد امتلأ بالصقيع ، فخرج أول أوكسيد الكربون إلى السرداب. على أنى قد أدركت ، حتى وأنا فى هذه الحالة من الذهول ، أن المحرك ليس السبب الوحيد لما أصابنى ، فقد كان الموقد المثقوب هو المجرم الأول . وقد يجىء التسمم بالأوكسيد بطيئاً متكاثفاً ويكون نتيجة التعرض آنا بعد آن للأبخرة .

وقد نجوت من كارثة كادت تحيق بى ، ولكن كان على أن أستعد لمواجهتها فى صورة أخرى ، وكنت لا أكاد أقوى على إضاءة الشمعة على الرف فوق رأسى ، فأى أمل لى فى جلب الطعام والوقود من السراديب ؟ وقد أستطيع أن أعيش عدة أيام بغير طعام ، ولكننى لا أستطيع أن أعيش طويلا بغير وقود . وكان لابد من ملء خزان الوقود كل يومين أو ثلاثة. وقد انطفأ الموقد حتى وأنا أفكر فى هذا !

وكان أقرب برميل للوقود على مسافة ١٤ قدما من الباب ، ولكنى لم أصل إليه إلا بعد وقت طويل ، لما أنا فيه من الضعف والألم . وبعد أن ملأت الوعاء لم أستطع حمله وفيه عشرون رطلا ، واحتجت أن أجره ، قدما فقدما ، إلى الكوخ . ولما نجحت أخيراً ، تنفست الصعداء لحظة ، فقد صار

فى وسعى أن أطرد البرد يومين على الأقل .

وكان النوم أقوى ما أشعر بالحاجة إليه، ولـكنه لم يسعفنى لفرط الألم فى رأسى وظهرى ورجلى، ووقع فى روعى وأنا راقد على السرير أنى لن أبرأ ، فإن أول أوكسيد الـكربون يعصف بالهيموجلوبين فى الدم ، فتحتاج الـكبد والمرارة إلى زمن طويل لإعادة المادة الناقلة للأوكسجين ، وهذا أمر يحتاج إلى أسابيع ، حتى وإن فاز المرء بخير عناية فى المستشفى . على أن أقسى البرد وأحلك ساعات الليل ، لم يكونا قد أقبلا بعد ، وكانت الشمس قد بقى على عودتها ثانية ثلاثة شهور تقريباً ، ولم أستطع أن أقنع نفسى بأن فىّ القوة الـكافية لانتظارها .

وكان اليوم التالى — أول يونيه — يوم جمعة ، وكانت تلك جمعة سوداء ، فقد استيقظت من حلم كله أهوال لأجد أنى لا أكاد أقوى على الحركة، وأدركت أن كل ما يسعنى أن أطمع فيه هو أن أطيل حياتى بضعة أيام ، وذلك بادخار ما بقى من قوّتى ، وبأن أقوم بألزم مايلزم ببطء شـديد ، وبتأنّ عظيم .

وكانت حاجتى الأولى إلى الطعام والوقود، وكانت النار خامدة منذ اثنتى عشرة ساعة ، ولم أكن قد طعمت شيئاً منذ ٣٦ ساعة ، فتمهلت فى كل عمل ، ونهضت عن السرير ودخلت فى ثيابى ، واعترانى كالإغماء حين لمست الأرض ، فقعدت على الـكرسى عدة دقائق ، لا أصنع شيئاً سوى التحديق فى الشمعة ، ثم استجمعت قوة كافية لإشعال الموقد ، وكان اللهب أحمر ذا دخان من سوء الاحتراق ، وكانت النـار عدوّى ، ولـكنى ما كنت أستطيع أن أحيا بدونها .

وكان الظمأ أطول شجرة فى غابة آلامى، وكأن السرداب الذى قطعت فيه الثلج لإذابته ماء ، على مسافة ١٠٠ ميل ! ولـكنى مضيت إليه ، وسرعان ما زَلت ووقعت . وكان مكان الثلج أبعـد من أن أستطيع بلوغه ، فلحست جدار السرداب حتى شعرت بمثل نار الحريق فى لسانى ، ثم جمعت من الثلج القذر على الأرض ماملأ نصف دَلْو ، وكان لايزال كتلة قذرة حين حاولت أن أشرب ، وكانت يداى ترتعشان ، فأريق الماء على بدنى كله ، ثم قئت كل ماشربت ، وكنت على وشك الإغماء ، فزحفت إلى السرير لأستريح .

وقد واجهت الموت مرات عديدة فى الجو، ولـكن الحوادث تجرى بسرعة فى الجو : تقرر أمراً فيزحمك الحـكم على الفور ، ومتى أقبل عليك الضيف الخفى فى برجك ، فإنه لايكون إلا واحداً مما لايحصى من المشاغل ، أما الآن فالموت غريب جالس فى غرفة

معتمة ، مطمئن إلى ما يعلمه من أنه سيظل مقيماً هناك حين أمضى أنا .

وغمرتنى موجات عظيمة من الخوف ، واستقرت فى أعماق نفسى ، ولم يكن الخوف من الآلام أو الموت ذاته ، بل من جراء القلق الفظيع على أهلى وما يصيبهم إذا لم أعد إليهم . وقلت لنفسى إنى ارتكبت خطأ جسيما حين ذهبت إلى «أمريكا الصغرى» . وكنت أيضاً فى ساعات المرارة هـذه أرى حياتى كلها تمر أمامى وتعرض على ناظرى ، وأدركت مبلغ غلطى فى تقدير قيم الأمور ، وكيف أنى عجزت عن أن أرى أن ما فى الحياة من أشياء بسيطة مألوفة لا بهرج فيها ، هى الأهم ، فما يكترث المرء فى النهاية إلا لأمرين : محبة أهله وألفتهم .

وكان العزم الوحيد الباقى لى وأنا مدرك له ، هو أن أكتب رقعـة إلى زوجتى ، وكان القلم والورق على رف قريب ، ولـكنى حين مددت يدى إليه وجدت ذراعى غير طليقة ، فقد جمد الكم بالماء الذى أريق عليه ، فانتزعت ذراعى انتزاعاً ، وأمدتنى اللهفة على الكتابة بالقوة اللازمة ، غير أنى كنت أضعف من أن أستطيع الكتابة وأنا قاعد ، وكان رأسى ينثنى على صـدرى كلما حاولت ذلك . فلما فرغت من الرسالة استرحت زمناً طويلا ، ثم كتبت رسائل إلى أمى ، وإلى بنى ، وإلى القوم فى «أمريكا الصغرى» ، وربطتها جميعاً بخيط لففت طرفه على المسمار الذى يتدلى منه المصباح .

وكان اليوم الثانى من شهر يونيو امتداداً لحوادث اليـوم السابق القابضة للصدر . فعملت مرة أخرى ما لا بد من عمله ، بالتجزئة . وكنت أنفق قوتى بقدر وقطرة قطرة ، وأزحف ولا أمشى ، وأستريح فترات طويلة بعد كل مجهود يسير أبذله ، ودخلت فى السرداب ثلاث مرات فى النهار ابتغاء الوقود ، وكنت أحمله فى وعاء ماء من الصفيح ، لأن خزان الوقد كان أثقل من أن أقوى على حمله .

وكان اليوم التالى يوم أحد ، ومعنى ذلك أن أتصل بالراديو بأمريكا الصغرى ، وأن أكذب وأنا أصف لهم حالتى ، وهو ما كانت كل شـعرة فى بدنى الذى ركبـه الوجع تلح علىّ أن أجتنبه ، وما أكثر ما سئلت لماذا لم أخبر القوم بما حدث ؟ وجوابى أن الخطر كان عظيما على من يجيئون لنجدتى ، فهناك الظلام الحالك المعترض بينى وبينهم ، والبرد ، والفجوات الفارغـة فى منطقة الحاجز ، والثغرات الغادرة ، وكلها حقائق ثابتـة لا سبيل إلى مغالطة النفس فيها ، فليس مما يتصوره العقل أن تعرض حياة رجال أنجاد لمثل هذه المهالك .

والله وحده يعلم من أين أوتيت القوة لتنظيف انبوبة التهوية من الصقيع ، وإدارة الآلة ، ولكن الأمر بعد ذلك صار لا يتطلب أكثر من ضغط إصبع لإدارتها ، وكنت أعلم أن الرموز لن تكشف عن حالى ، وكان للقوم آراء فى أعمال الربيع المقترحة ، فكنت أجيب بلا أو نعم ، وأكف وقد حلّ بى الإعياء .

ولعلى كنت فى تلك الليلة قريباً من الجنون ، فقد كنت فى عذاب ، وأبى أن يزايلنى الاعتقاد أنى فى سياق الموت ، غير أنى استطعت أن أشرب قليلا من اللبن مع بعض البسكويت ، وأصبحت فأحسست أنى أقوى قليلا . وفى العصر وسعنى أن أدير الفونغراف ، فسمعت ثلاث أسطوانات ، وكان شيئاً بديعاً أن أسمع أصواتاً كثيرة تخفق فى أركان الكوخ .

وقال لى صوت من الداخل : « إنك فى سبيل الشفاء ، ولك أمل حقيقى فى البرء . وربما كان واحداً فى المئة ليس إلا ، ولكنه أمل وفرصة » .

وقد حاولت فيما بعد ، وأنا راقد على السرير ، أن أحلل الموقف ، ففى خمسة أيام طويلة كالأبد كنت مفقوداً على هضبة عظيمة من الألم ، وقد سُدّ كل فج ، وقد تعذبت ، وجاهدت ، ورجوت النجاة ، وكففت عن الرجاء . على أن الإنسان لا ييأس ، فإن شيئاً حيوانياً أو آلياً فيه يدفعه إلى التشبث بالحياة والاستمرار فيها ، وسألت نفسى : ما الذى تتعلق به فى رجائك؟ ماذا يمكن أن يُصنع مما لم يُصنع إلى الآن ؟

وكانت الحاجة الأولى إذا أردت البقاء أن أنفق قوتى بحساب ، والثانية أن أتقى التسمم مرة أخرى . وينبغى أن أستعمل الموقد بقدر ، وأن لا أستعمل أبداً مصباح البترول المضغوط — وهو الضوء الوحيد الحسن ، ويجب أن أنام وآكل لأسترد قوتى .

ولكنى إذا اقتصرت على هذا النهج دون غيره ، فإنى خليق أن أجن لما تذكرنى به كل ساعة من هذه الحالة التى لا جدوى فيها ولا رجاء . فلا بد من شىء فوق هذا — إرادة الصبر على الشدائد ، وهذه لا تستمد إلا من أعماق النفس . ولكن كيف ؟ بأن أسيطر على خوالجى ولا أفكر إلا فيما هو خليق أن يفيدنى السكينة ، فإن عقلا متنافر الخواطر ، مظلماً من الارتباك واليأس ، حقيق بأن يقضى علىّ قضاء مبرماً كالبرد .

وفى تلك الليلة بذلت جهد المستيئس لأملأ ذهنى بأطايب الحياة ونعمها ، وأحطت نفسى بأسرتى وإخوانى . وأسريت بنفسى إلى حيث نور الشمس والخضرة والأشياء

النامية ، وفكرت فى كل ما سأصنع حين اعود إلى أهلى ، وبدت لى آلاف من الأشياء التى لم تكن قط إلا عارضة فى رأيى ، على أعظم جانب من الفتنة والخطر . وأخيراً ذهب عنى الاضطراب ، فلما أطفأت الشمعة شعرت أنى أعيش فى عالم بسيط غير معقد ، يتمنى الناس فيه الخير بعضهم لبعض ، وهم جميعاً وادعون مسالمون ورحماء فيما بينهم ، ويتناولون الحياة فى رفق ويسر .

ولم تسكن الأوجاع والآلام ، ولم يسعفنى النوم إلا بعد ساعات عديدة ، ولكن نومى فى تلك الليلة كان أعمق مما كان فى أية ليلة أخرى منذ ٣١ مايو . وفى الصباح كان عقلى وبدنى جميعاً أصح .

غير أن هذا التحسن كان نفسياً أكثر مما هو بدنى ، وقد قضيت ثلاث ساعات فى الاستعداد للاتصال بالراديو يوم الخميس : من حمل وقود ، إلى إحماء الآلة ، إلى غير دلك . وكنت ضعيف الحركة كأنى رجل هرم جداً .

وصرت بعد ذلك أرهب الاتصال المقرر بالراديو ، فقد كانت مهمة إعداد الآلة ، والخوف من الأبخرة ، يستنزفان ماادخرت من قوة ومقاومة . وكنت اخشى أن أكشف للقوم عن حقيقة حالى عفواً ، وفكرت فى أعذار أقدمها لوقف الاتصال ، ولكنها كلها كانت سخيفة . ولم يكن يسعنى أن أقطع الاتصال بلا كلام ، لأن أى صمت طويل من جانبى قد يحمل «أمريكا الصغرى» على القيام بعمل طائش على الرغم من أوامرى .

ومضت الساعات بطيئة جداً فى تلك الأسابيع الأولى من شهر يونية . وكان الألم فى عينى يمنعنى من القراءة ، وكان ملء الفونغراف يقتضينى جهداً يجب ادخاره لمهمة الحياة . وكان أقسى ما أحتمل هو العتمة الدائمة ، وكنت أتلهف على النور ، ولكن مصباح البترول كان يطلق أبخرة ، ويتطلب استعمال كباس لضغط البترول ، وهذا يستنفد من قوتى مالم أكن مستعداً لإنفاقه .

ثم أهوى عدوى الخفى على بضربة ثانية فى اليوم السابع عشر . ذلك أنى أدركت محرك الراديو ، فكانت حركته مضطربة حتى اضطررت أن أخفض الصمامات ، ودار المحرك على نحو حسن ، وإذا بى أحس بدوار وأقع على ركبتى ، فوقفت المحرك ، وزحفت إلى مرقدى ، وبى من السقم مثل ما كان بى فى الأيام الأربعة الأولى من الشهر ، ولم أكد أنام فى ليلتى تلك ، فقد جهدنى الوجع والتوصيم وهزنى خفقان قلبى .

وكانت الأيام التالية عقداً فى حبل الزمن ،

وقد استطعت أن أواصل تسجيل الأرصاد فى داخل الكوخ ، ولكن هـذه المهمة لم تكن تبدو ذات صلة بالحقيقة ، فبينما كان جزء منى يتحسس طريقه ليؤدى مهماته ، كان جزء آخر كأنما يراقبنى من المرقد ، وكان صوت خافت متذمر يقول إنك لن تستطيع الاستمرار ، ولست أنت الذى يعمل وإنما هى العادة ، أما أنت فقد انتهيت.

ولما كان اليوم الثامن والعشرون من يونية تلقيت نبأ طيباً من «أمريكا الصغرى» ، فقد انتوى الدكتور بولتر أكبر علمائنا أن يذهب بجماعة إلى القاعدة الأمامية ليراقب ظاهرة نيزكية موعدها أوليات أغسطس ، فلم أكد أصدق الألفاظ التى كانت تسك أذنى كالحصى ، فى السماعة ، ثم سألنى بولتر « وما رأيك ؟ »

وكان عقلى غير مستقر ، فما حدث من قبل إلا مرة واحدة — فى رحلة سكوت — أن قام أحد برحلة كبرى فى خلال الليـل القطبى الجنوبى . وقطع المسافة بين «أمريكا الصغرى» والقاعدة الأمامية لا يكون فى أسعد الأحوال إلا جهاداً شاقاً ، ولا يجوز أن تقع أغلاط . على أنى أذنت للدكتور بولتر فى القيام بارتيادات قصيرة ، وأن يبلغنى النتيجة. وقـد كنت وأنا أقول له هذا أعلم فى ذات نفسى أنى لن أقوى على رفض طلبه . ولقد تحملت كثيراً ، فليس يسعنى أن أطرح أية قشة أتعلّق بها .

وظللت عصر ذلك اليوم راقداً أفكر فى هل يمكن اقتفاء الأثر فى ظلام يولية ، فإن هذه الرحلة لن تكون فى خط مستقيم لكثرة الفجوات تحت الثلج ، وقد وضعت على الطريق فى شهر مارس السابق أعلاماً بين كل اثنـين منها سدس ميل ، ولعل العواصف الثلجية قد أطارت عشرات منها أو عفت عليها ، وتركت ثغرات عظيمة فى هذا الخط الذى يبلغ طوله ١٢٣ ميلاً .

وقد حاولت جاداً أن تكون تقديراتى مجرّدة عن الهوى ، فتجسمت لى المصاعب التى تعترض الرحـلة ، وانتسخ ببطء ذلك الأمل العظيم الذى نشأ بعد الظهر ، وحل ردّ الفعل محـله ، فانطفأت الشمعة وأنا منكسر النفس ، وبى كلال وملل شديدان .

ومضى شهر يونيـة ، وتفاقم البـرد ، وزحفت طبقة رقيقة من الثلج إلى الجدران الداخلية للكوخ حتى صـارت على مسافة ثلاث أقدام من السقف . ولم يذب الثلج وإن كان الموقد يظل مشتعـلا ست عشرة ساعة فى اليوم . وكان الطعام المحفوظ على مقربة من الموقد يحتـاج إلى الكسر بالمطرقة والإزميـل ، وجمد لحم أصـابعى

وتهرّأ من لمس المعدن البارد . وعلى كثرة ما كنت أحشو به معدتى ، وأتدثر به من الثياب ، كان يبدو لى كأن من المستحيل توليد حرارة كافيـة فى بدنى .

ولما صعدت فوق الكوخ كادت الريح تشق جلدة وجهى وتنزعها ، وعلى كثرة ما كنت أدور وألتوى ، لم أستطع أن أتقى وقعها المخدر ، وكانت أصابع قدمى ربما أصابتها القرّة ثم ماتت ، فأحاول أن ألينها ليجرى فيها الدم مرة أخرى ، فيجمد أنفى ، فأوجه همى إلى الأنف فتجمد اليد ، وكان الرسغان والعنق والساقان تنبض نبضاناً أليماً ، ويتعاقب عليها النار والقِرّة .

وتقلص الحاجز من البرد ، وكان يخيل إلى أنى أستطيع أن أحسّ ما تعانيه قشرة الأرض من أوجاع . وكانت الرجفات الثلجية تجىء بعنف شديد ، وكان لها أحياناً مثل صوت الرعد ، قصفة بعد قصفة . وكان من الجلى أنه مع تقلص الحاجز ، قد أخذت الفجوات تتفتح حول القاعدة الأمامية .

وفى الخامس من شهر يولية رمانى القدر بضربة أخرى فظيعة ، إذ تعطل مولد الراديو الذى يعمل بالبترول ، فقد انكسرت اليد المحركة ولم أستطع إصلاحها ، وبقى الجهاز الاحتياطى الذى يدار باليد ، وهو يحتاج إلى رجل يعمل لتزويد آلة الإرسال بالقوة اللازمة ، وإلى رجل آخر يتولى أمر المفاتيح ، فكان على — أنا الذى ليس له نصف قوة الرجل الصحيح البـدن — أن أتولى الأمرين وحدى .

فشرعت أدير المحرك بكلتا يدى ، وكان الجهد أعظم مما كنت أظن ، ولكنى استطعت إدارته أخيراً وبدأت الإذاعة .

وظللت خمس دقائق أنادى وأدعو ، ثم تحولت إلى جهاز الاستقبال ، وكانت أصابعى ترعش وأنا أهيئ طول الموجة التى عينها داير لهذا الجهاز ، فلم أسمع إلا خشخشة ، فجربت كل ما على لوح الموجات فلم أجد إلا صمتاً تاماً ، فكدت أبكى من خيبة الأمل . واسترحت دقائق على السرير ثم عدت إلى إرسال الإشارات ، وإن كان من الجلى أن قوتى ستنفد عاجلا إذا ظللت على هذا المنوال ، ولما تحولت إلى جهاز الاستقبال ، كان قد بلغ من إعيائى أنى لم أعد أعبأ بشىء . ثم جاء صوت داير من الظلام مقدار ثانية ، وما كدت أسمعه حتى انقطع ، فرحت أعالج مفتاح الصوت وأنا يائس ، لأهتـدى إلى الخط الدقيق الذى يؤدى الإذاعة إلىّ :

« استمر . استمر . لقد سمعناك . استمر من فضلك . سمعناك » . كان هـذا صوت داير ، فخطر لى أن هذا بديع .

وقلت لداير: إن المولد خرب، وإن الجهاز الاحتياطى يتعبنى، وأخبرته أن « الراديو لا يعول عليه من الآن فصاعداً، فلا تنزعجوا إذا لم تأتكم رسالاتى » .

ثم أقبل ميرفى يتكلم ببطء، قال: « إن الرحلة إلى القاعدة الأمامية خطرة كما تعلم، ولهذا فإن الاستعداد لها يجرى بأشد عناية، ولو كنت فى مكانك لما اعتمدت على إمكان وصول الجرارات قبل آخر يولية » .

فأحسست بصدمة، وخطر لى أنهم إنما يقومون بهذه الرحلة من أجلى، أفتراني كشفت لهم عن حقيقة حالى، دون أن أدرى ؟ وقلت لهم بحدة إذا كانوا يظنون أن الرحلة خطرة، فينبغى أن يعدلوا عنها .

فقال شارلى بلهجته الهادئة المتزنة، إنه يأسف لحمل كلامه على هذا المحمل: « وكل ما أعنيه، هو أننا نقدر مبلغ طول الشهور الثلاثة الماضية، وأننا نقدر أيضاً مبلغ خيبة الأمل إذا تأخرت الجرارة وقتاً طويلا » ، وتكلم طويلا ولكنى لم أسمع إلا القليل، لأن قلبى كان يخفق ورأسى يدور، فتعثرت إلى مرقدى . وكانت هذه هى النكبة الثالثة، وقد جاءت بعد خمسة أسابيع من سقم مستنزف للقوة، فكادت تقضى علىّ، فاضطررت إلى التمهل فى الحركة

وعاودنى الألم، ومعه القيء والأرق .

وكان الوجه الذى يطالعنى من المرآة فى تلك الأيام وجه رجل هرم ضعيف، فقد كان الخدان متهضّمَين خشنين من الصقيع والعينان كالجمرتين، وكانت ضلوعى بارزة، والجلد متهدّلاً على ذراعى . وكان وزنى ١٨٠ رطلا حين ذهبت إلى القاعدة الأمامية، ولكنى أشك فى أن وزنى تجاوز ١٢٥ رطلا فى شهر يولية .

وفى الخامس عشر أبلغنى ميرفى بالراديو أن رحلات بولتر التجريبية نجحت، وأنه سيحاول أن يقوم بالرحلة فى أول يوم طيب بعد العشرين من يولية، فرددت عليهم بقولى: «استوثقوا أتم استيثاق من أنكم لن تضلوا عن الطريق أو ينفد وقودكم . ولا تعرضوا حياة أحد للخطر »

فقال ميرفى: « سنخاطبك كالعادة يوم الخميس، ثم مرتين كل يوم بعد ذلك » فحاولت أن أرسل إليه أنى تلقيت هذه الرسالة ولكن قوتى نضبت . وقد وجدت العبارة التالية مدونة فى سجلات أمريكا الصغرى: (ثم قال بيرد: «حسن . أصغوا مقدار عشر دقائق كل يوم نن نن نن ...» فطلب داير إعادة العبارة، فلم يسمع جواباً)

وحتى الآن بعد أربعة أعوام يبدو الأمر كله غريباً كأنه خيال، فقد كنت أكذب ،

وكان القوم فى أمريكا الصغرى يكذبون أيضاً ، والفرق أنهم أدركوا أنى أكذب ، فاخترعوا قصة يغالطوننى بها .

ويظهر أن شارلى ميرفى بدأ يشعر فى الأسبوع الأخير من شهر يونية بأنى لست بخير ، وزاد شكوكه أنْ رآنى أستعمل الجهاز الاحتياطى الذى يدار باليد ، وأن الرموز لا تكاد تفهم ، وأن الفترات طويلة بين الألفاظ ، غير أنه هو وبولتر حرصا على أن لا يصدر عنهما ما يحملنى على الاعتقاد بأنهما يضعان خطة لرحلة إنقاذ ، لا لأى غرض آخر .

وفى ١٨ من يولية أبلغنى ميرفى أن بولتر وأربعة آخرين قد ساروا ، فما قاسى رجل محكوم عليه بالإعدام وهو يروح ويجىء فى سجنه لعل الحكم يخفف فى اللحظة الأخيرة ، أكثر مما قاسيت حينئذ . فقد كنت معنياً بأمرى فقط ، فالآن صار ضميرى الذى يعضّه الندم مسئولا عن حياة خمسة آخرين .

وفى الساعة الثامنة صباحاً أبلغتنى أمريكا الصغرى أنهم « صاروا على مسافة ١١ ميلا جنوباً ، ومن الجلى أنهم يجدون مشقة فى الاهتداء إلى الأعلام » .

وكان البرد قارساً وهو يزداد سوءاً ، وقد أشار الخط الأحمر على خريطة درجة الحرارة إلى أدنى من ٧٥ تحت الصفر ، فأحسست بأن عقلى يطير وأنا أفكر فى أمر هؤلاء الخمسة وهم يحاولون فى منطقة الحاجز أن يحتفظوا بحياتهم وحياة السيارة .

وعند منتصف الليل نمّ صوت ميرفى على القلق : « صارت الجرارة الآن على مسافة ١٧ ميلا جنوباً ، والمشقة تزداد ، والظاهر أن الأعلام كادت تختفى تحت الثلج . وكلما غاب واحد منها عنهم احتاجوا أن يسيروا فى دائرة حتى يهتدوا إليه ، وقد اقتلع بعض الأعلام وذهب » . فأعددت رسالة لتنقل إلى ميرفى ، ولكن ذراعى خذلتانى حين هممت بإرسالها ، وما من شىء فى الحياة أشعرنى مثل هذا العقم والعبث .

وفى الصباح التالى بعد ليلة من الآلام والمزعجات ، خيل إلىّ مرة أخرى أنى معلق فى ذلك الفضاء الغريب بين الشعور والغيبوبة . وكان هذا أبرد يوم فى الشتاء ، وكان مقياس الحرارة فى الداخل يشير إلى ٨٢ تحت الصفر — وبلغ من قسوة البرد أنى لما فتحت الباب لم أستطع أن أتنفس ، وحاولت أن لا أنظر إلى جهة الشمال لعلمى أنى لن أرى شيئاً ، ولكنى نظرت عسى أن تكون الجرارة فوق مرتفع ، فأرى نورها . وأخذت عينى ضوءاً مضطرباً تخفق قلبى ، ولكنه لم يكن سوى نجم فى الأفق .

ولبثت خمسة أيام أكابد عذاب القلق

ولا أستطيع الاتصال بأمريكا الصغرى ، وكنت أفتح الباب عشر مرات فى اليوم لأنظر إلى الشمال، وكنت فى كل مرة تقريباً تخدعنى النور المضطرب اللياح الذى كنت أتبين دائماً أنه من النجوم . وفى اليوم السادس والعشرين سمعت بالراديو خليطاً من الألفاظ مشوهاً . فهمت منه أخيراً أن بولتر ضل الطريق تماماً بعد ٥٢ ميلا إلى الجنوب وأنه عاد إلى القاعدة ، وأنه ليس ثم حيلة سوى الانتظار حتى يتحسن الجو .

وهكذا انتهى يولية ، وقلت لنفسى وأنا أرفع الصفحة عن التقويم : « هذا هو اليوم الحادى والستون منذ أصابنى أول انهيار ، ولم يتغير شىء فى الحقيقة فى هـذه الفترة ، وما زلت وحدى » . وكان كل ما حولى شاهداً بما حل بى ، فمن علب مبعثرة ملأى إلى النصف بطعام جمـد ، إلى كتب قد سقطت عن رفوفها وتركتها حيث سقطت ، والآن غطت الأرض والجدران الأربعة والسقف طبقة رقيقة من الثلج ، ولم يبق هناك شىء آخر تغشاه .

غير أن النهار كان يتنفس فى تثاقل فى الشمال ، ويطرد الظلام قليلا قليلا كل يوم . وعلى ضوء هذا الفجر برز الطريق المعلم بالرايات ، قليلا قليـلا من ظلمة الغموض . وإذا كان لى الآن أمل لا ينسخ ، فهو أن أرى الشمس وضـوء النهار يزحفان على منطقة الحاجز . وهذا على الأقل ما لا بد لى منه ، فما تنزل إرادة الحياة عن هذا القدر من الأمل .

وفى يوم السبت الرابع من أغسطس قام بولتر بمحاولة أخرى ، ونقص عدد رجاله إلى ثلاثة ، عسى أن يمضى بسرعة إلى القاعدة الأمامية .

وكان يوم الأحد يوماً أوثر أن أمحوه من ذاكرتى ، فقد قمت من النوم وأنا سقيم لا أطيق الطعام ، ومتعب لا أستطيع أن أتلهى بالعمل . وجاءت إذاعة الظهر بأخبار سيئة ، فقد تعثرت سيارة بولتر فى فتحة فجوة ، وهو الآن يحاول أن يخرجها منها ، فانهارت أعصابى . لماذا لا يصنع أحد شيئاً لمساعدته ؟ فأدرت مفتاح الراديو وسألت فى « ما هى الحكاية يا شارلى ؟ أليس هناك جرارة أخرى ترسل لمساعدته ؟ استخدم كل مواردك » .

فأجاب شارلى بلطف وقال إنه لا داعى للانزعاج ، فقد رفض بولتر كل معونة ، ثم قال : « اسمع يا ديك ! إن الحقيقة أن قلقنا عليك أشد . فهل أنت مريض ؟ هل أصابك شىء ؟ » .

فحاولت أن أهرب من الجواب بقولى

إنى فهمت كل شىء فيما يتعلق بالجرارة ، وهنا عجزت عن إدارة المحرك ، وبقى الجواب ناقصاً . وكتب داير فى سجل أمريكا الصغرى : « إن قوة بيرد تستنزف بعد كل بضع كلمات » فتهرّبى لم يخدع إذن أحداً .

وقد كتبت فى يومياتى بتاريخ ٦ أغسطس ما يأتى : « مما يجننى أنى بعد ٦٦ يوماً كشفت عن حقيقة حالى فى نوبة ملل . وإنى لأتمنى أن ينتهى الأمر على نحو ما ، فما أستطيع أن أظل هكذا يطفو بى الأمل لحظة ، ويرسب بى الإخفاق لحظة أخرى . . وسآوى إلى فراشى الآن يحدونى الأمل فى أن أراهم هنا الليلة التالية » .

وقد كنت ، منذ أول محاولة لبولتر ، أعدّ شعلا وصواريخ ، فإن جماعة بولتر إذا لم تجد نوراً يرشدها إلى مكانى تدعثر بالكوخ على مسافة مئة ياردة ولا تراه . وفى صباح اليوم التالى ، جعلت أدخل السرداب مرة كل ساعة فأخرجت ست صفائح من البترول وستة مشاعل من المغنسيوم وأعددتها على السطح ، فكنت كأنى استعدّ لآخر وثبة .

وقد نفعتنى هذه الاستعدادات البسيطة ، لأنها صرفتنى عن نفسى فترة من الزمن ، وتذكرت أنه لم يبق على طلوع الشمس إلا ثلاثة أسابيع ، وحاولت أن أتصور منظرها ، ولكن الأمر كان أعظم من أن أستطيع تمثله .

وبدأ بولتر مرة أخرى فى الثامن من أغسطس ، وفى الساعة الرابعة من عصر اليوم التالى علمت أنه خرج منذ ٣٧ ساعة ، وأنه قطع نحو ٤٠ ميلا .

ولما صعدت إلى السطح فى الصباح أقسمت أنى رأيت نوراً من ناحية الشمال . فأخرجت طائرة الإشارة ، وجعلت لها ذيلا من السلك والقماش ، ثم غمست الذيل فى البترول وأشعلته ودفعت الطائرة فى الهواء ، وكان منظرها يبعث على الارتياح وهى تترنح فى الظلام وذيلها مشتعل . وكان هذا أول عمل مبتكر عملته منذ زمن طويل ، غير أنى لم أتلق رداً من ناحية الشمال ، وأطلقت شعلتين من البترول على التعاقب بسرعة ، فلم يجىء جواب . وزايلتنى الحماسة ، وفترت الهمة ، فتهافتُّ من الإعياء .

وعدت إلى الكوخ ، وانطرحت على الفراش ونمت نوماً متقطعاً ، وقد خيل إلىّ مراراً أنى أسمع صوت جرارة ، ولكن هذه لم تكن سوى أصوات صرير فى منطقة الحاجز . وعند العصر صعدت مرة أخرى بمنظار الميدان ، فلم أر شيئاً يتحرك .

وفى ذلك المساء أبلغنى ميرفى وهو مبتهج :

« صار بولتر الآن على مسافة ٩٣ ميلا إلى الجنوب ، وهو واثق من النجاح . حظ سعيد لك يا ديك . خل الأنوار مشتعلة »

فلم أجب ، اتقاء لما عسى أن يصيبنى إذا أنا أدرت المحرك بيدى ، فليس مما يجوز أن يحدث أن يتقوّض كيانى الآن ، إذ لا بد من إعداد أنوار الإشارة .

وفى الساعة السادسة من صباح اليوم التالى دفعت الباب وخرجت . فرأيت من ناحية الشمال شعاع نور كشاف يتصعّد ثم يتصوّب ، ثم يتصعد مرة أخرى حتى يكون على سمت نجم ثم ينطفىء .

فامتلأت نفسى سروراً لا يوصف ، وحملت شعلة فى يدى ومضيت بها إلى الطائرة وأنا أكاد أقع من فرط اللهفة ، وربطت الشعلة بالذيل ، وأوقدتها ودفعت الطائرة فى الهواء إلى ٧٥ قدماً . فظلت الشعلة وهاجة خمس دقائق . وكانت عينى على الشمال طول الوقت ، بلا جدوى . وظللت نصف ساعة قاعداً على الثلج لا أفعل شيئاً سوى أنى أحدق . وكنت أعلم أنى رأيت نوراً ، ولكنى بعد كل هذه الخيبات كنت مستعداً أن أشك فى كل شىء . وكان لا بد من الحسم ، فقد احتملت كل ما يسعنى احتماله من القلق .

وحاولت أن أنهض فخانتنى قواى ، فزحفت إلى الكوخ وتدليت على السلم إلى فراشى . وأبلغنى ميرفى فى الساعة الثامنة أن أخبار بولتر انقطعت منذ أربع ساعات ، فسقطت السماعة من يدى ، وهبط قلبى فى صدرى ، وصار عقلى كالذاهل . ولما عادت إلىّ نفسى كان نصفى على الفراش والنصف يتدلّى منه .

وأدركت أنه لا بد من العناية بالإشارة ، فتحاملت على نفسى وسقتها إلى السلم ، فكان كل ما استطعته هو أن أرتقى فيه إلى منتصفه ، فلا شك أن بى حاجة إلى منعش ، وقد جربت الخمر مرة فكانت العقبى وخيمة . وفى هذه المرة وجدت فى صندوق الأدوية ، زجاجة هيبوفوسفات فيها استركنين ، فأخذت جرعة مضاعفة ، وشربت ثلاثة فناجين من أقوى شاى أستطيع أن أغليه ، فأحسست بخفة فى رأسى ، ولكن مُنّتى اشتدّت .

وبعد أن تقوّيت خرجت من الباب وأطلقت شعلة ، فلما خمدت ، تحرك شعاع من نور كشاف صاعداً هابطاً فى ظلام الأفق ، وقد يكون هذا وهماً آخر ، فقعدت وتعمدت أن أولى وجهى إلى الناحية الأخرى ، فلما كررت الطرف ألفيت الشعاع لا يزال يرتفع ويهبط .

وفى لحظة عجيبة زال عنى ما كابدته

فى يونية ويولية من اليأس والآلام ، وأحسست كأنى ولدت الساعة مرة أخرى . وبعد أن أضأت المشاعل حتى لم يبق منها إلا واحد ، هبطت إلى الكوخ وسخنت علبتين من الحساء لضيوفى .

وصعدت بعدذلك فرأيت جرم الجرارة. فأشعلت ، على سبيل التحيــة ، ما بقى من البترول والمشاعل،وأشفت النار على الخمود، وإذا بالسيارة تقف ويثب منها ثلاثة رجال . فلم أجرؤ على أن أتقــدم إليهم . وأتذكر أنى صافحتهم ، وهم يصرون على أنى قلت : « أهلا بكم ! تعالوا انزلوا فقد أعددتم لكم حساءً سخناً » فإذا كان هذا صحيحاً فكل ما أستطيع أن أقوله أنى لم أقصد إلى التمثيل، والحقيقة أنى لم أجــد ألفاظاً أنقل بها ما فى قلبى. وقيل أيضاً إنى تداعيت وسقطت عند آخر السلم . ولست أذكر هذا الذى حدث كله على وجه جلى .

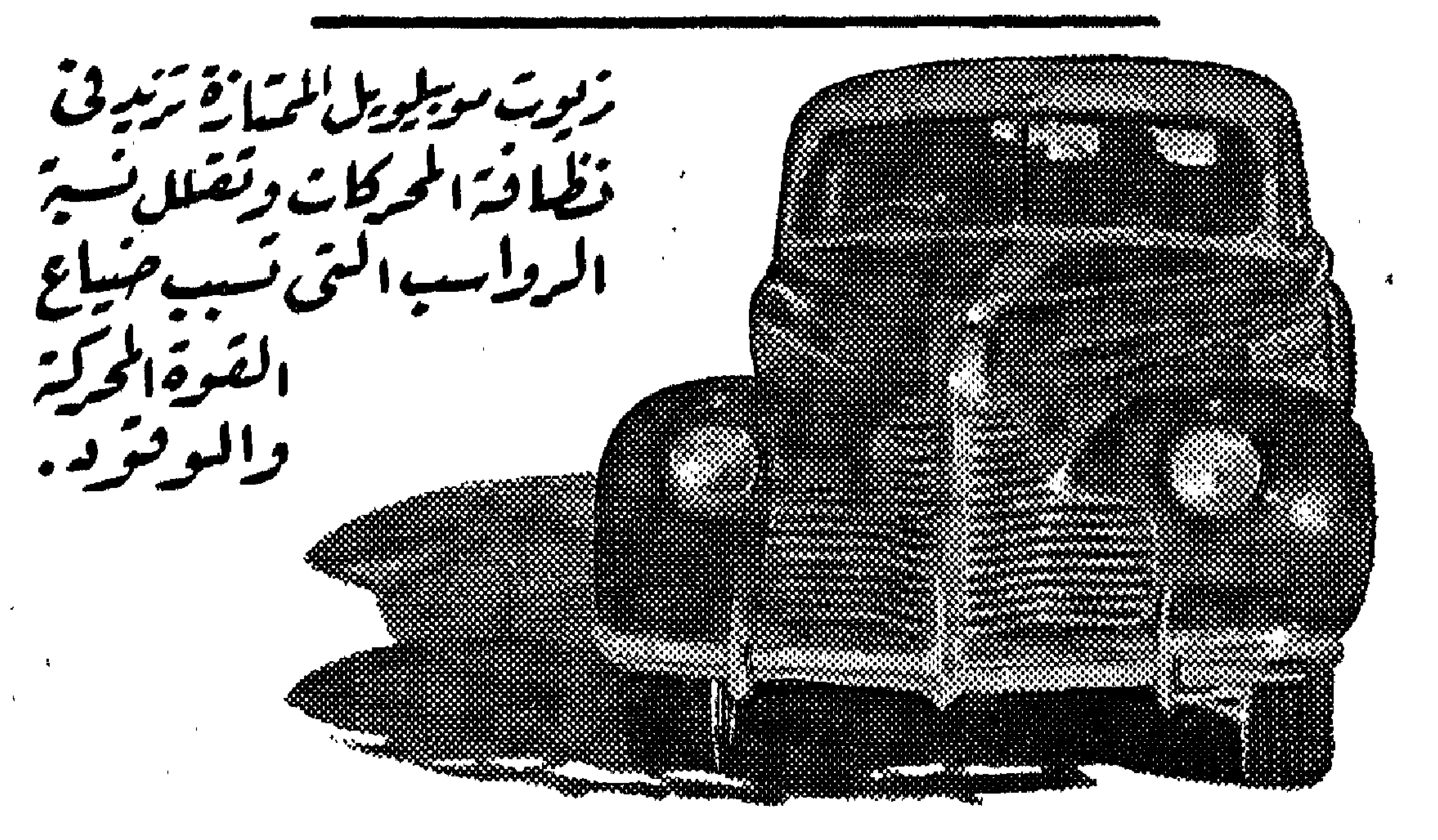
ومضى شهران قبل أن أستطيع العود إلى أمريكا الصغرى ، وكانا شهرين جميلين وإن كنا أربعة لا نستطيع أن نتحرك دون أن يكون أحدنا فى طريق الآخر . وطالت مدة نقاهتى ، ولـكن الظلام الذى كان فى قلبى تقشّع ، كما تقشع عن منطقة الحاجز وتدفق النور فى أثره تدفقاً عظيماً .

وقد بقى إلى الأبد جزء منى عنــد خط العرض ٨ر٨٠ جنوباً : وهو البقية الباقية من شبابى وغرورى ، على ما أظن ، وشكوكى على التحقيق . على أنى خرجت بشىء لم يكن لى من قبل على وجه التمام : وهو تقدير الجمال والإعجاز اللذين ينطوى عليهما كون المرء حياً . وخرجت بشىء آخر هو تقدير جديد لقيم الأشياء . وقد حدث كل هذا قبل أربع سنوات ، ولـكن المدنية لم تغير آرائى ، فأنا أحيا الآن حياة أبسط وأكثر سكينة .

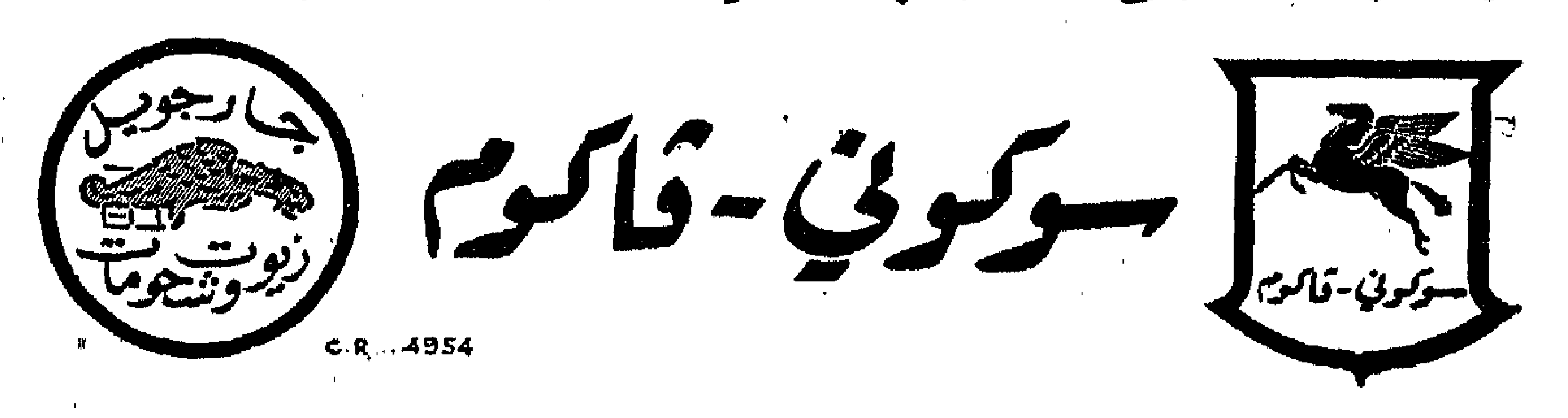
تستطيع أن تقول بحق أن أحبّ القراءة حُبًّا ينبعث من أعماق القلب — يجعل الشابّ أكبر مما تدلّ عليه سنّه ، ويجعل الشيخ أشبّ مما تدلّ عليه سنّه .

[ولتر مردك]

لماذا تسير السيارات سيراً منتظماً بواسطة زيوت موبيلويل



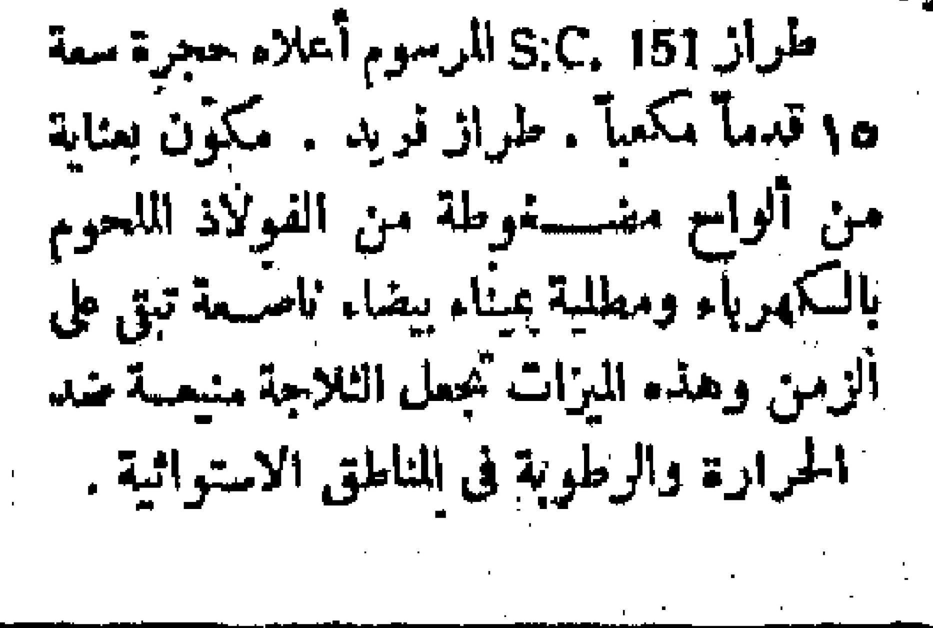
إنك تحصل بواسطة هذه الزيوت الفاخرة على حماية أجدى لسيارتك ويصبح قيامها أسرع وأسهل كما يقل استهلاكها من البنزين. وتستند شهرة زيوت موبيلويل الى ٨٠ عاماً من الأبحاث والخبرة. وان معاملنا الجبارة للأبحاث الكيمائية ولتكرير الزيوت ومنتجاتنا الفاخرة ونظامنا للتوزيع في جميع أنحاء العالم وخدماتنا الفنية - كل هذه العوامل مجتمعة كفيلة بان تضع شركة سوكوني - فاكوم في طليعة منتجي المواد البترولية في العالم !!



صممت خصيصاً
واختبرت خصيصاً ...



ثلاجات « برست كولد » "Tropic-Tested" مصنوعة فى إنجلترا ، ومختبرة فى جميع مراحل صناعتها اختباراً دقيقاً . وقد روعى فى تصميمها أن تقاوم جميع أحوال الإقليم ودرجات الحرارة . وهى تضم جميع التحسينات الحديثة وتؤدى خدمة كاملة بأقل مصروف وأعظم يسر فى صيانتها . أما تركيبها فهو البساطة بعينها .



طراز S:C. 151 المرسوم أعلاه حجرة سعة ١٥ قدماً مكعباً . طراز فريد . مكون بعناية من ألواح مضغوطة من الفولاذ الملحوم بالكهرباء ومطلية بمينا بيضاء ناصعة تبقى على الزمن وهذه الميزات تجعل الثلاجة منيعة ضد الحرارة والرطوبة فى المناطق الاستوائية .

PRESTCOLD
للتبريد



شركة E.A.S.T. ٣ شارع نمر بالقاهرة ، القطر المصرى . شركة إنجنيرنج آند مانيوفكتشرنج ليمتد ص ب ١١٩ تل أبيب ، فلسطين . أفريكان آند إسترن (للشرق الأدنى) ليمتد ص ب ١٧٦ حلب ، سوريا . أفريكان آند إسترن (للشرق الأدنى) ص ب ١٧ بغداد ، العراق . كولاتلى هانكى وشركاه (السودان) ليمتد ص ب ٢١٥ الخرطوم .

شركة پرسد ستيل ليمتد

THE PRESSED STEEL Co. Ltd., COWLEY, OXFORD, ENGLAND


پاركر "٥١"
PARKER "51"
كتابة جافة بمداد سائل !



حبال من الصّلب
إن حبال السلك « المهيّأة » التى تصنعها شركة « بثلهم ستيل » ، هى أعظم مرونة لأنها عولجت معالجة خاصة لإزالة بواعث الضغط فى باطنها ، فأسفر ذلك عن أنها صارت أصلح لمقاومة التعب الذى يعترى الأسلاك من جرّاء لفها وثنيها حين استعمالها ، فهى إذن أطول عمراً على تكرّر الاستعمال .
وشركة « بثلهم ستيل » إحدى الشركات الكبرى فى العالم لصنع الصلب ، تقدم لك أيضاً طائفة من منتجاتها مثل : الأسلاك ، والمواسير ، والألواح ، والصفيح ، والصلب اللازم للآلات ، والرفارف ، وكرات الصلب للبناء ، وضروب الصلب المستعمل للسكك الحديدية والطرق وغيرها .
وإن مصنع « سبارور بوينت » التابع لشركة بثليهم ، هو مصنع الصلب الوحيد فى الولايات المتحدة ، المشيد على حافة ماء المد . فالرسائل المعدة للاصدار تنقل رأساً من المصنع إلى السفينة ، فيعجل ذلك عمل الشحن ويخفض نفقاته .
Bethlehem Steel Export Corporation
25 Broadway, New York 4, U. S. A.
الوكلاء ... فى القطر المصرى : شركة الدلتا التجارية ، ش . م . م . فى العراق : مستانلى شمطوعة . فى فلسطين : رفائيل ملتز . فى سوريا ولبنان مشيل صحناوى وولده
79SS
BETHLEHEM STEEL

من عواصم الموضة العالمية
بالطائرة
لحفلة هذا المساء

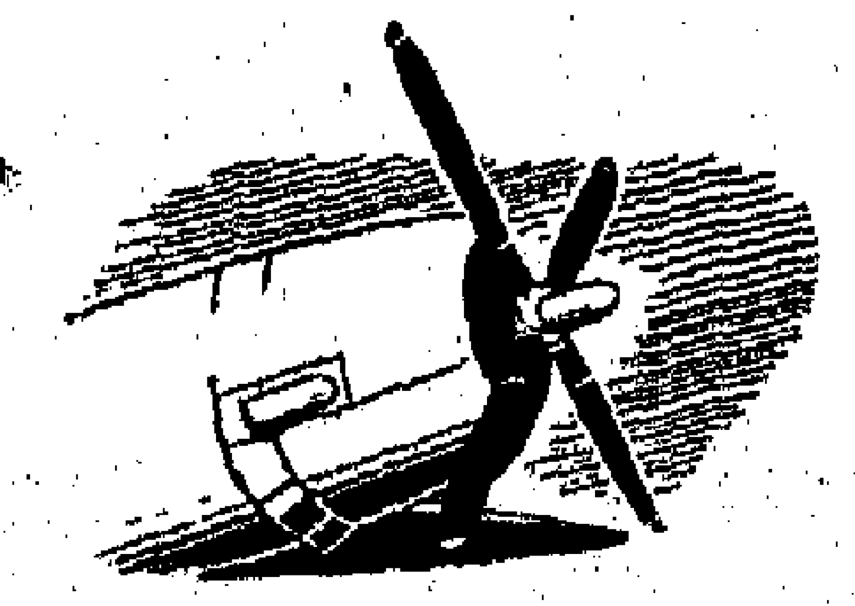
قد تلمحين فى مجلة من مجلات الموضة اليوم ، ثوباً أنيقاً متاحاً فى باريس أو نيويورك ، أو هوليوود ، وما هو أن تقع عينك عليه حتى يكون فى مقدورك أن تقتنيه غداً — فى هذا العصر ، عصر النقل الجوى العالمى الذى أسفر فجره .

إن خفة وزن الملابس ، وغيرها من أشياء المنزل ، تجعل نقلها بالطائرات أمراً ميسراً . وإن جهازاً جديداً لتحمير الخبز ، أو موسى كهربائية ، يمكن أن ينقل فى الطائرة بأجر قليل تدهشك قلته

فأطلب من المخزن الذى تؤثره بعنايتك ، أن يجرب النقل الجوى ، كلما صار هذا النقل متاحاً .

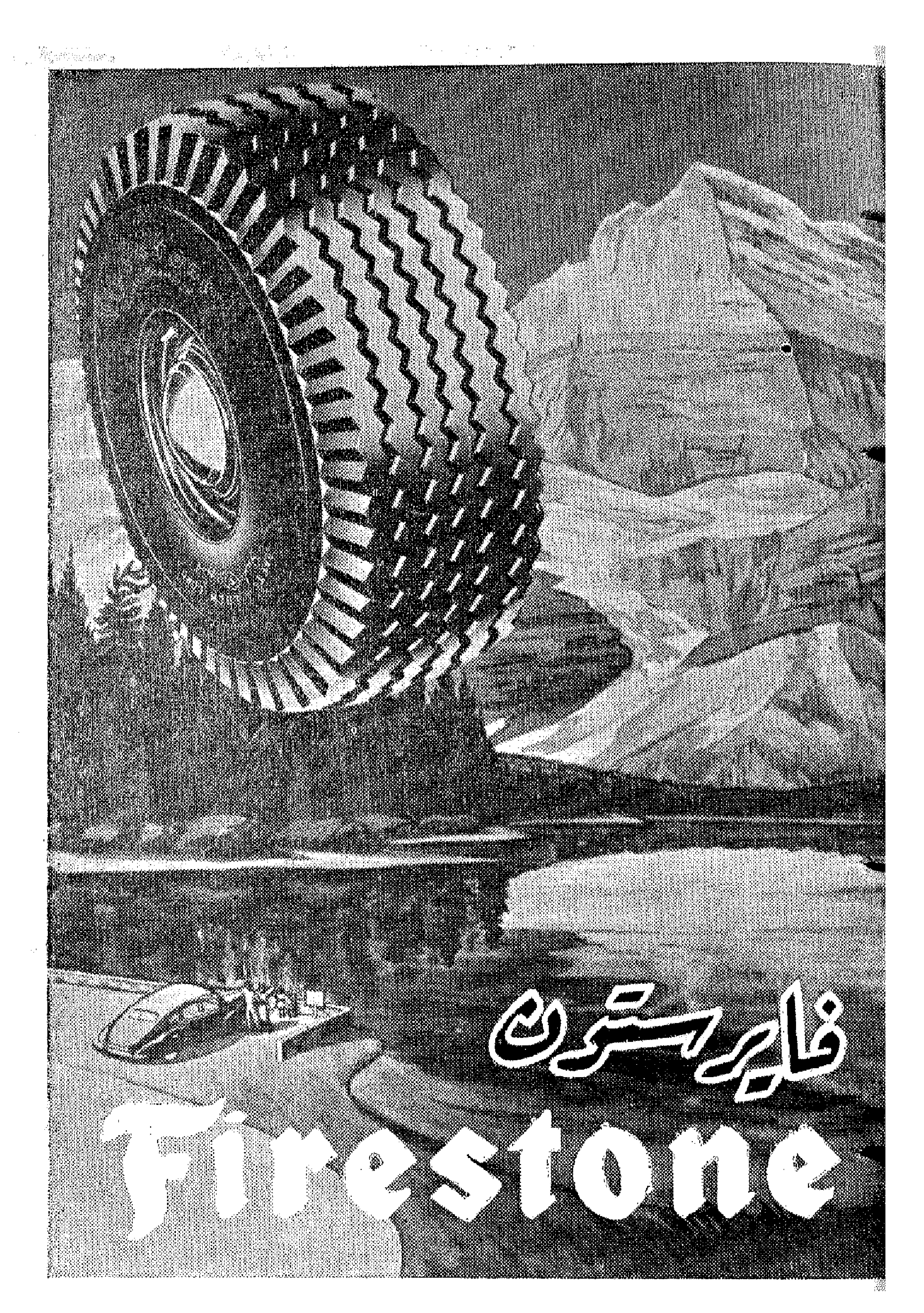
Curtiss Wright
Export Division

الهندسة التى بلتها الحرب وامتحنتها تعدّ خطوط الطيران العالمية بعونها



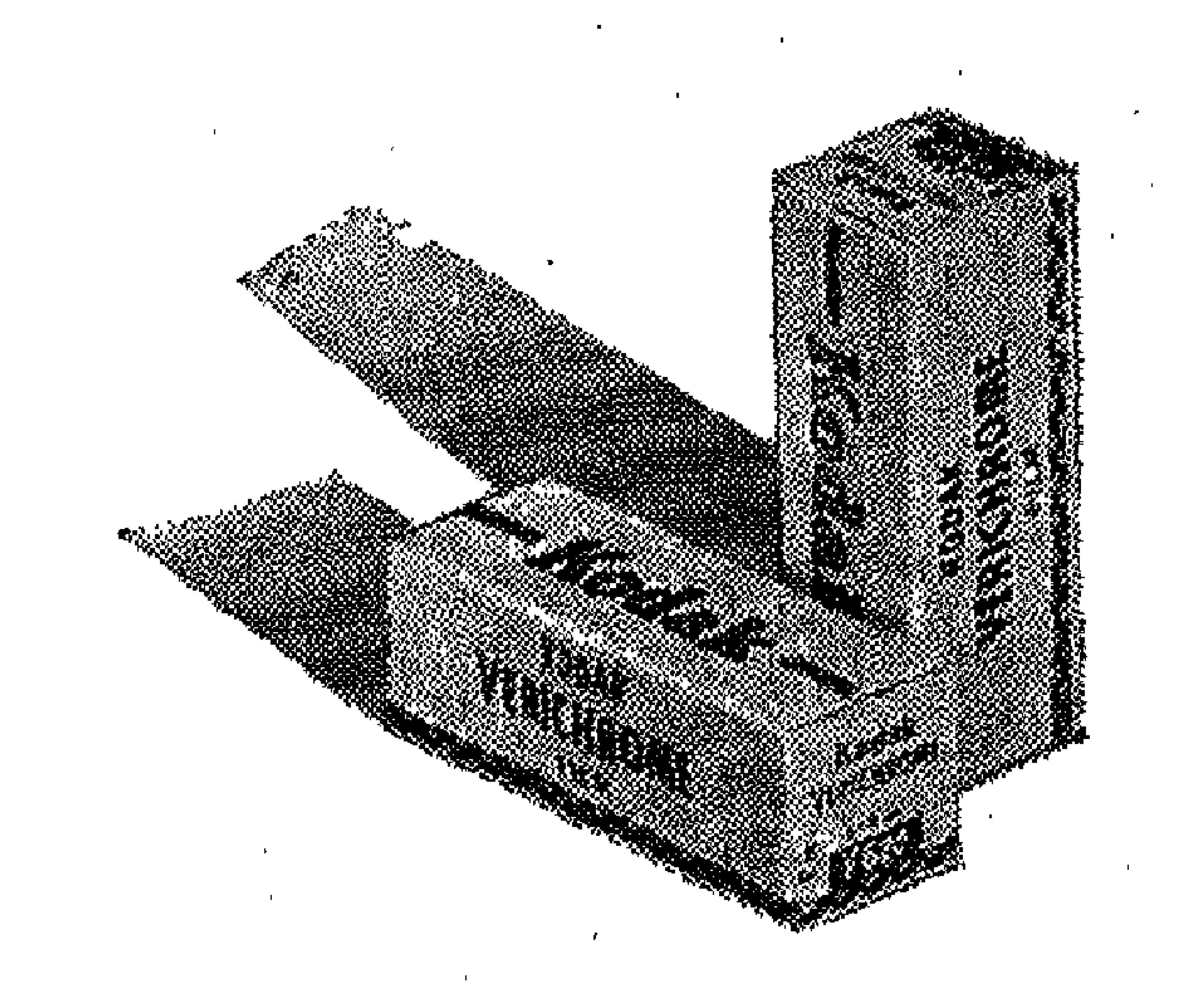
فى أثناء الحرب ، بلغت محركات رايت سيكلون ، ومراوح كيرتيس ذرىً جديدة من القوة والكفاية ، وامتحنت امتحاناً يعدل ألف سنة من التجربة والاختبار . وما تمّ لها هو الذى أتاح طائرات النقل السريعة التى تؤسس لها خطوط الطيران الدولية ، الآن .

REPRESENTATIVES AMERICAN EASTERN TRADING & SHIPPING CO., S.A.E., ALEXANDRIA


فايرستون
Firestone


... باللغة العربيّة هو "طفل"
... باللغة الإنجليزية هو "a baby"
... باللغة الإسبانية هو "un nene"

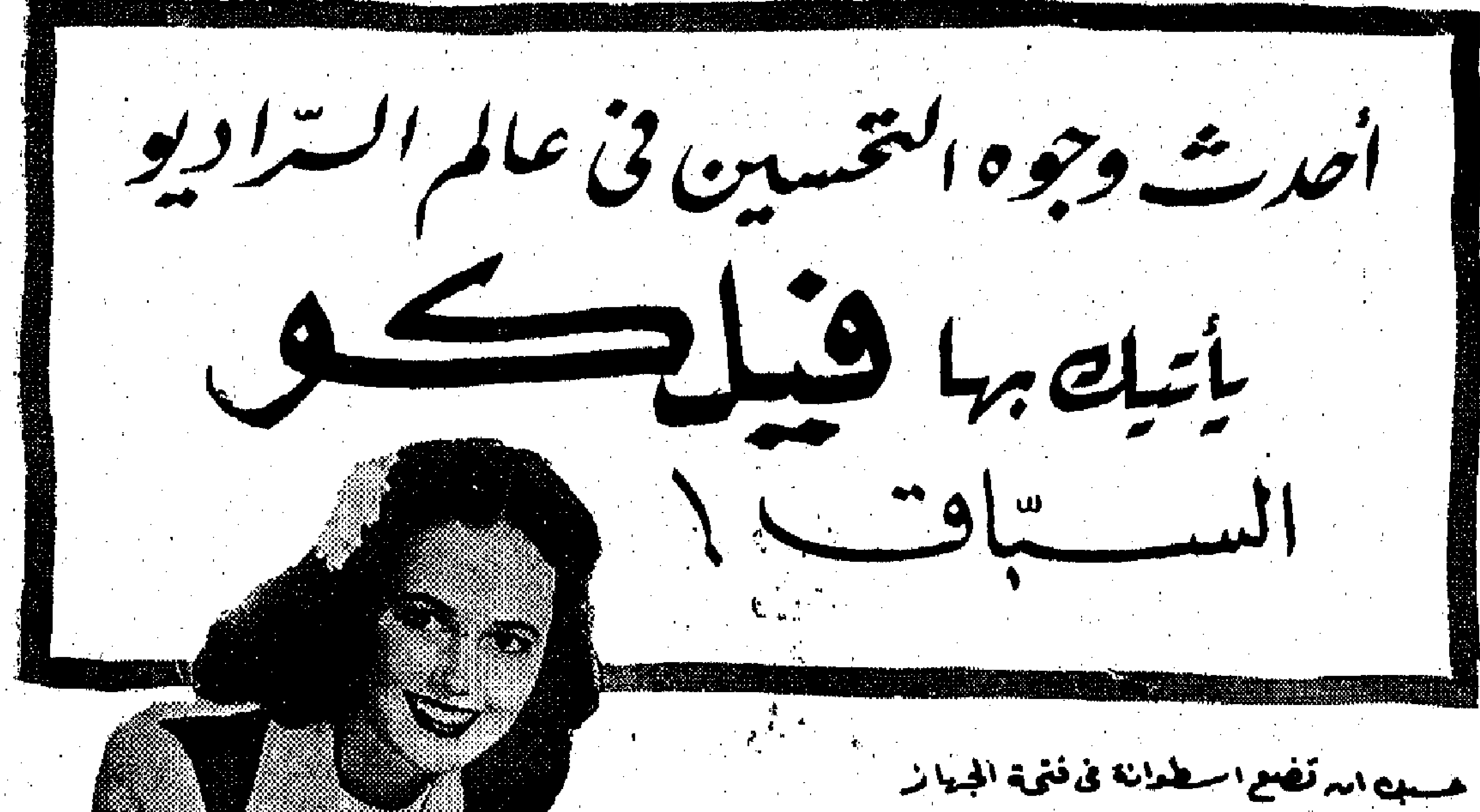
ولكنك تجد فى جميع
لغات الأرض كلمة واحدة
تدلّ على كلّ مايلزم لالتقاط
الصور، من أفلام، وآلات
تصوير، ومعدات وأدوات
هى كلمة : Kodak*



Kodak* ماركة قديمة سجّلتها منذ ٥٨ سنة شركات «كوداك»
والشركات المنتمية إليها، و«كوداك» لها هيئة عالمية من الوكلاء والموزعين، تيسر
لكل إنسان أن يظفر بمنتجات «كوداك»، فى أنحاء الأرض .

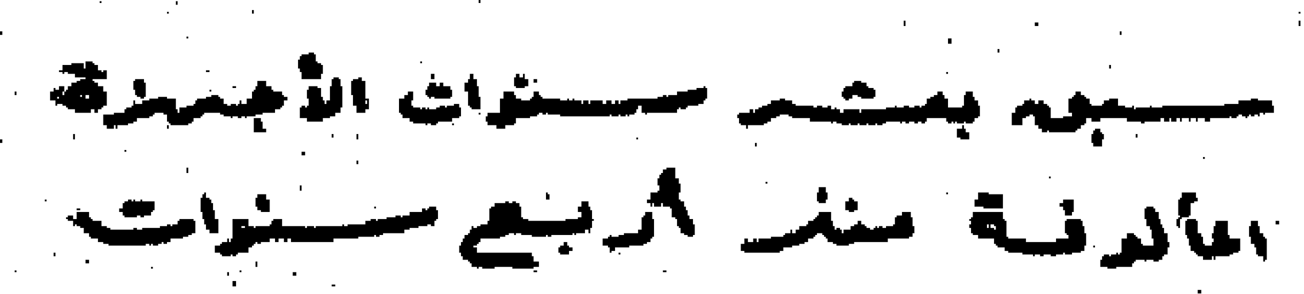
EASTMAN KODAK COMPANY, ROCHESTER N. Y. U. S. A.


Kodak

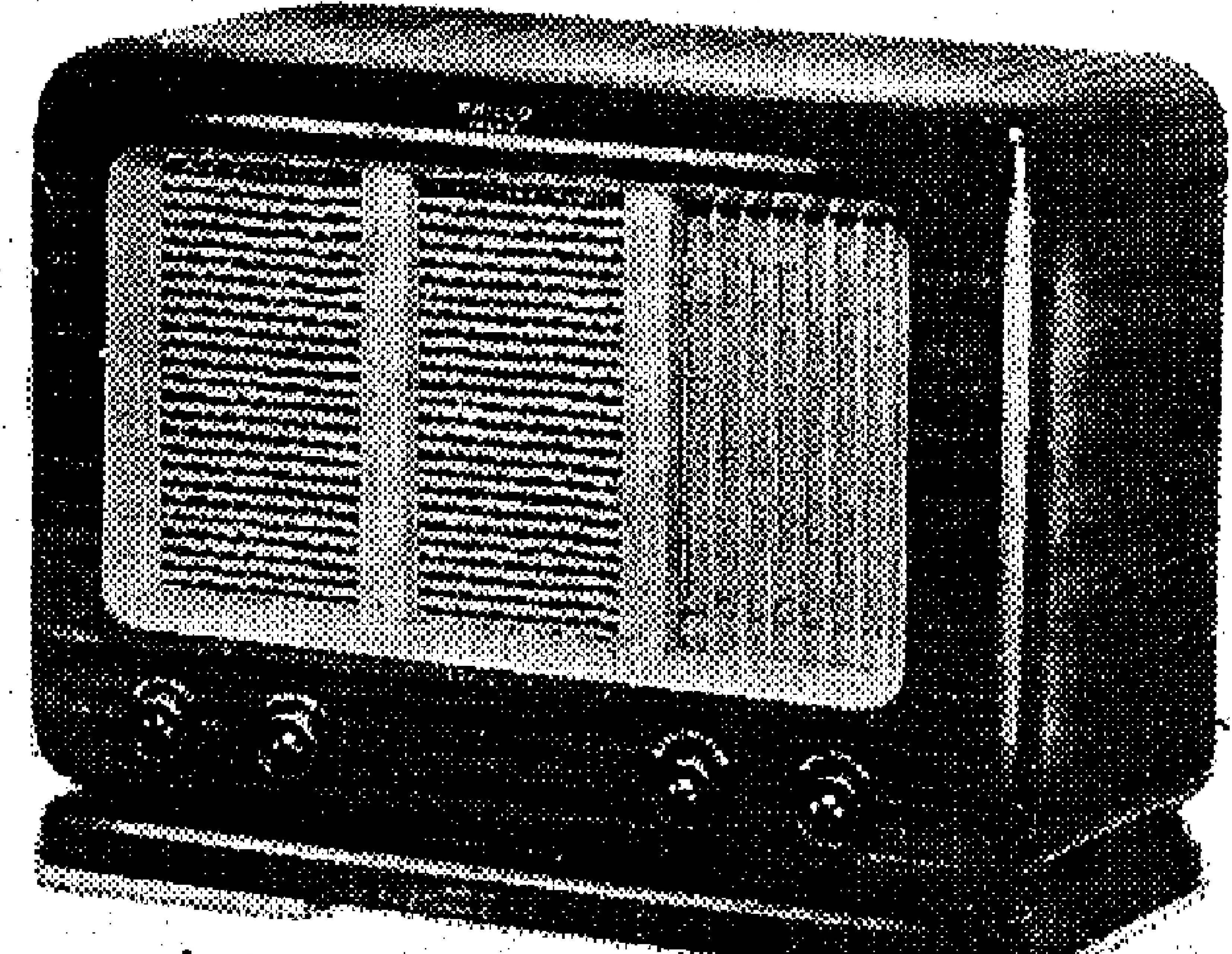


حسبك أن تضع اسطوانة فى فتحة الجهاز
... فإذا الأنغام تنساب فى الفضاء

فيلكو ١٢٠١ : يجعل عمل الراديو فونوغراف ذا الاسطوانة الواحدة ، أوتوماتيكياً . ضع أى اسطوانة من أى حجم فى فتحة الجهاز ، فيبدأ المحرك عمله ، وتنزل الإبرة على الاسطوانة من تلقاء نفسها ، وإذا الأنغام تنساب فى الفضاء ، ثم يتوقف المحرك ... كل ذلك يتم أوتوماتيكياً .

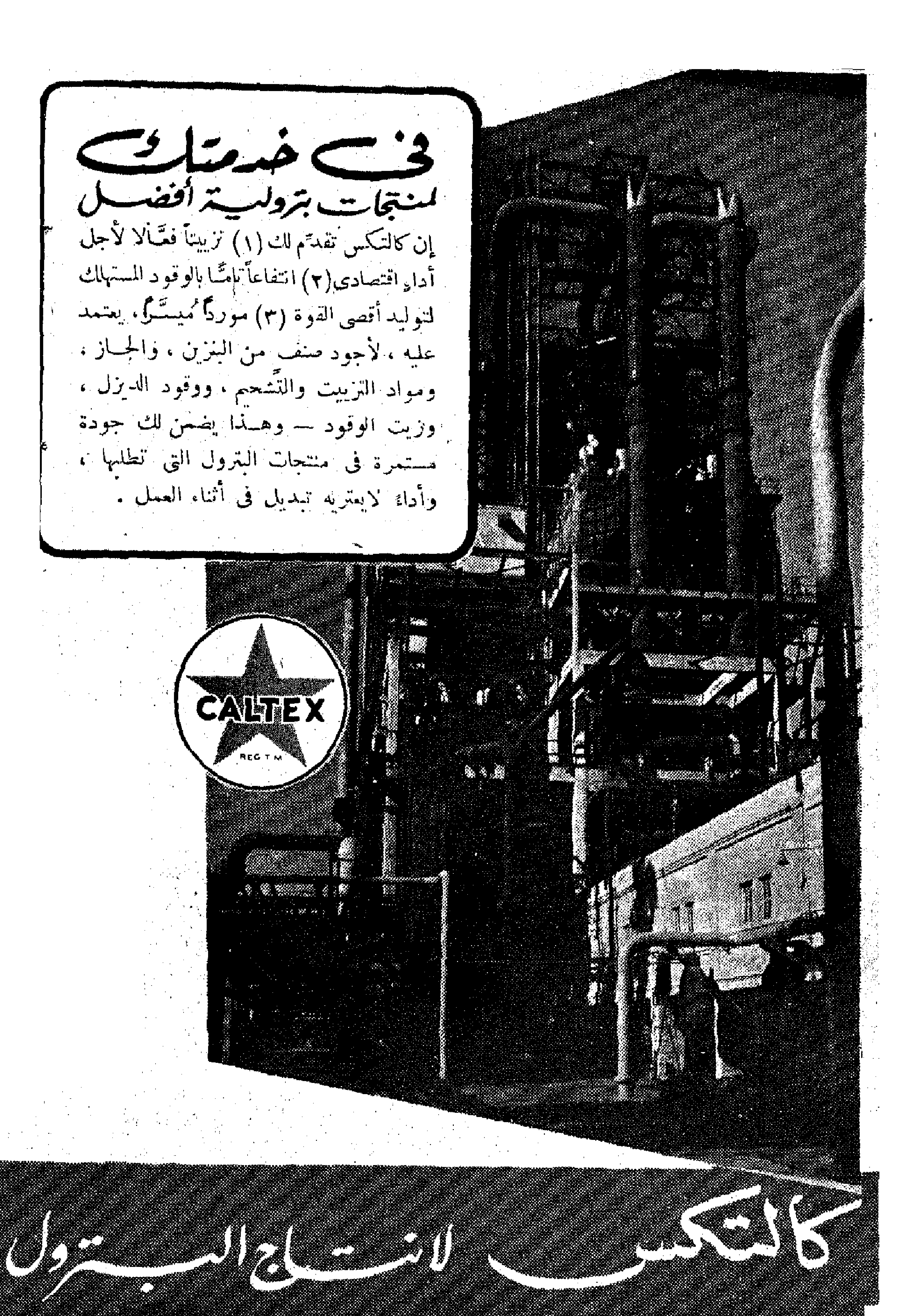


فيلكو - ترويك ٨٦٠ : يضبط على المحطات البعيدة التى تذيع على الموجة القصيرة ، بسهولة عظيمة كأنها محطاتك المحلية ! قوة عظيمة ، نغم مجيد ، موبيليا أنيقة فاخرة ، مناطق أمواج للضبط الدقيق ، يلتقط الإذاعات المحلية والتى تذاع على الموجة القصيرة .



PHILCO

المشهور بالجودة فى جميع أرجاء العالم

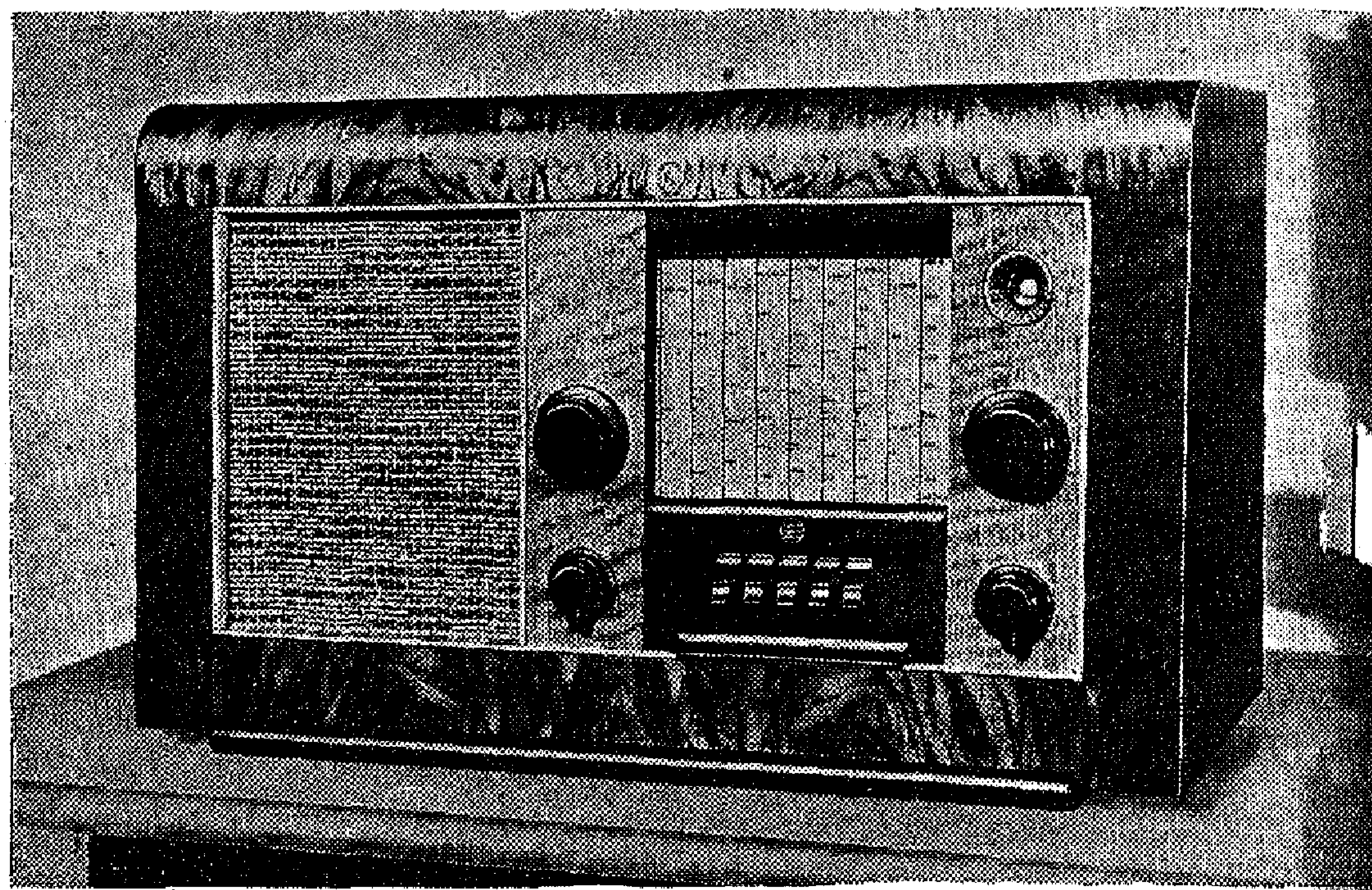


فى خدمتك
لمنتجات بترولية أفضل
إن كالتكس تقدم لك (١) تزييتاً فعالا لأجل
أداء اقتصادى (٢) انتفاعاً تاماً بالوقود المستهلك
لتوليد أقصى القوة (٣) مورداً ميسراً ، يعتمد
عليه ، لأجود صنف من البنزين ، والجاز ،
ومواد التزييت والتشحيم ، ووقود الديزل ،
وزيت الوقود — وهذا يضمن لك جودة
مستمرة فى منتجات البترول التى تطلبها ،
وأداء لايعتريه تبديل فى أثناء العمل .
CALTEX
REG T M
كالتكس لانتاج البترول



يعتمد عليها ..
شمعة إحتراق
شامبيون
CHAMPION
ذات الشهرة العظيمة
في الطائرات
CHAMPION
إن الطيران الموفق يقتضي سرعة عظيمة — ومسارعة عظيمة — وأداء
في المحركات لا تشوبهُ شائبة فلهذه الأسباب ، أصبحت شموع احتراق
« شامبيون » التي يعتمد عليها ، هي الشموع التي يفضلها الطيارون الذين
يعتمدون على كفايتها المؤكدة في التغلب على جميع أحوال الطيران غير الملائمة .
أصحاب سيارات الركوب ، وسيارات النقل ، والجرارات يعرفون هذه الحقيقة أيضاً .
فهم يفضلون شموع « شامبيون » ، لقوتها التي لا تضعف ـ ومتانتها الفذة ـ والاقتصاد
الأكيد في استعمالها على مدار السنة .
CHAMPION SPARK PLUG COMPANY Toledo, U.S.A. • Windsor, Can. • Feltham, Eng.
CHAMPION


CONSTELLATION



مثال الجهاز المستقبل من راديو إكو موديل A 24

راديو إكو ولمباته

بدأت تصل الآن

بدأت السفن تفرغ الرسائل الأولى من أجهزة راديو « إكو » الجديدة — الأجهزة المستقبلة ، المصنوعة فى بريطانيا ، والمشهورة فى جميع أرجاء العالم .

وقد صُنع راديو « إكو » ، خاصة ، لالتقاط البرامج العالمية المذاعة من جميع أقطار الأرض .

وإن خبرة « إكو » ، خلال الحرب فى شئون الراديو والرادار ، قد أسفرت عن أجهزة استقبال ، تفوق كل ما سبقها فى صدق الاعتماد عليها ، وحسن أدائها .

فحين تشترى الراديو الجديد الذى تريده ، أحرص على أن يكون من طراز « إكو » .

هذا رمز المنتجات الممتازة التى تصنعها شركة إ. ك. كول لمتد.

E.K. COLE LTD. ECKO WORKS SOUTHEND-ON-SEA, ENG.



ستوديبيكر ١٩٤٧ الجديدة

الأولى ـــــ فى الأسواق
الأولى ـــــ فى الطراز

هى منخفضة .. هى طويلة .. هى جميلة .. هى السيارات الرائعة « ستوديبيكر ١٩٤٧ » الجديدة من طراز « كوماندر » و « شامبيون » ـ السيارات الجديدة الأولى التى تمَّ صنعها بعد الحرب .

هنا جمال هو لحن رائع مفرغ فى قوالب المعدن ـ إنها مميزة بطراز جديد لقضبان الرادييتير ، التى تبرز شكل السيارة الإنسيابى المشيق ، والرفرفان الأماميان أصبحا جزءاً لا يتجزأ من السيارة ، ويمتدان على جانبى جسمها الواسع الإنسيابى الرشيق .

وليس فى السوق كلها ما يضارع سيارات « ستوديبيكر ١٩٤٧ » الجديدة الفاخرة فى تفوق أدائها ووفرة راحتها . وفيها من المبتكرات الهندسية ما يتراوح بين فرامل قوية تضبط نفسها بنفسها ، إلى إعداد مقاعد الركاب بحيث تتيح لهم أقصى ما يمكن من الراحة أثناء السير .

The Studebaker Export Corporation
South Bend, Indiana, U. S. A. Cables: Studebaker

Studebaker

مشهور فى جميع أرجاء العالم كرمز الامتياز فى السيارات ومركبات النقل

لهم أن يعرضوا على قرائهم موكباً عالميًّا من الآراءِ والحقائق والمثل الإنسانية العليا . وهذه أول مرة فى التاريخ أتيح لشعوب متفرقة على سطح الأرض أن يظفروا بمعين لا يغيض من القراءة الممتعة النافعة ، فيطلعوا على أحدث ما تمَّ فى ميادين النشاط الإنسانى : من طب وتربية وعلم وزراعة وصناعة وأدب وسياسة دولية . والذى نراهُ من اهتمام قراءِ الشعوب العربية بما فى المختار من فصول ، يدلنا على أنهم يعنون بما يزخر بهِ العالم من تيارات الفكر وآيات العمل ، وهذا الاهتمام هو إحدى الدعائم التى لا غنى عنها فى بناءِ المستقبل الباهر المجيد الذى يعيد إلى الذهن حضارة العرب فى أوج ازدهارها ، ويعيننا على أن نتبوَّأ مكانتنا فى موكب الأمم .

فؤاد صروف

مقتطفات من بعض الرسائل

محرم إبراهيم الدسوقى فوده — القاهرة

عندى ثلاثة أبناء أكبرهم فى التاسعة وأصغرهم فى السادسة ، وأنا أعتقد أن مجموعات المختار خلال عدة سنوات ، تكون مكتبة بسيطة عظيمة القيمة ، دون أن تكلف مجهوداً يذكر أو مالا كثيراً . وأنا أحتفظ لكل طفل من أولادى الثلاثة بمجموعة نظيفة وكل منهم يشعر بأنها ملك له ، يحافظ عليه ويعنى به .

إبراهيم عبد القادر المازنى — القاهرة

سد المختار فراغاً هائلا بين مئات الألوف من المتعلمين فى البلاد العربية ، فصار يتسنى لهم أن يظفروا بالقراءة الممتعة النافعة فيرتفع مستواهم الفكرى وتتسع آفاقهم . وقد لاحظت أن ابنىَّ الصغيرين يحتفظ كل منهما بنسخة من المختار ويأبى أن يشاركه فيها .

فارس الخورى — رئيس مجلس النواب السورى

إن مقالاته (المختار) تعظم شأن الإقدام وتعلى منزلة الفرد ، وتمجد الرجال والنساء الذين تحدوا العقبات والعوائق فاقتحموها وعملوا ما يبتغون . إنهم خير مثل لشبابنا .

حبيب أبو شهلا — وزير التربية الوطنية الأسبق فى لبنان .

إن مجلة المختار وسيلة فعالة فى متناول الجميع لمواصلة التربية التى تبدأ فى المدرسة ولا تقطع إلا مرحلة واحدة منها حين ينتهى عهد الدراسة . . فأرحب به عوناً لنا فى التربية الشعبية . . وعلى وجه خاص من ناحية ما يوريه فى النفوس من العزم ويوحيه من صدق النضال .

أحمد سامح الخالدى - مدير الكلية العربية القدس

إن ما أدركه المختار من نجاح حتى اليوم ليس نهاية بل بداية . وسبب نجاحه واضح . إن فى العالم العربى ليقظة ، وإن فى المختار لمتعة وفائدة للقراء مهما تختلف أراؤهم وأعمارهم .

أنيس المقدسى — أستاذ الأدب العربى فى جامعة بيروت الأمريكية .

نتسابق أنا وابنى الصغير البالغ من العمر ١٤ سنة إلى قراءة المختار كل شهر ونتحدث معاً فى كثير من محتوياته . فالمختار يحمل رسالة كان أهل الثقافة يتوقون إليها فيعرض المعلومات النفيسة عرضا يلائم ذوق الجمهور ، ملقياً على الجد طرافة القصة وجاعلا من الحقيقة مصدراً للحبور .

رسالة من رئيس التحرير

كل مجلة ، كـكلّ قارىء من قرائها ، يأتى عليها زمان ترى فيهِ أن من الخير لها أن تقف قليلا لتتدبّر ما مضى من عملها ، وتستوضح طريقها وغايتها ، وتكون على ثقة من أنها تؤدى للناس ما ينبغى لـكل مجلة صادقة النيّـة أن تؤديه حتى تسوّغ وجودها .

ولقد أشرفت المختار على ختام سنتها الثالثة ، فتلفت محرروها ينظرون إلى قرائهم الذين زاد عددهم على مرّ الزمن زيادة ثابتة . وهم يدركون اليوم ، كما أدركوا يوم أصدروها ، أن مهمتهم ليست مما يستخفّ بهِ . فهذه الألوف من القراءِ الذين يحبون المختار ، والذين يقطنون كل قطر من بلادنا العربية المترامية — من مصر إلى فلسطين وشرق الأردن ولبنان وسورية والعراق وجزيرة العرب إلى المغرب والمغرب الأقصى — والذين يعيشون فى قرى هادئة أو مدن زاخرة ، وفى المزارع الصغيرة أو القصور العظيمة ، كلُّ هؤلاءِ يشعرنا بالتبعة الضخمة التى يلقيها على كاهلنا شرف تكليفنا باختيار الفصول التى نجمعها ونقدمها إليهم فى أول كل شهر .

وشعورنا بالتبعة قويٌّ لا يفارقنا لحظة واحـدة ، ولـكن يخفف من عبئهِ ويحبّبه إلينا ما قام عليهِ الدليل شهراً بعد شهراً من أن المختار تسد حاجة الناس وتسدى يداً نافعة إلى الحياة الزاخرة التى تضطرب بين جوانح شعوبنا العربية . وقد كتب إلينا آباء ومعلمون يقولون إن المختار معوان لهم على إطفاءِ ما يساور شبابنا من ظماءٍ عجيب إلى المعرفة ، وكتب شبّـان وشِيب يقولون إنهم وجدوا أن المختار ينبوع متدفق يستمدّون منهُ ما يقويهم ويفتح لهم أوسع الآفاق . ورسائلهم هى أكبر عون لنا على معرفة كنه ما نؤديهِ لهم ، وما ينبغى لنا أن نتوخاهُ فى اختيار فصول من ذخائر المطالعة العالمية بحيث تسدى أعظم نفع لأمتنا العربية .

والذى يفعله محررو المختار كلَّ شهر من جمع مقالات كتبها كـتّـاب من شتى الأمم ، ثم اختصار أجودها لتكون يسيرةً على القراءِ ، قد أتاح

[البقية على الصفحة السابقة]

مطبعة مصر شركة مساهمة مصرية